جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الانبار

جائحة كورونا في العراق بين التأثير والاحتواء
(دراسة في تداعياتها السياسية والأمنية والقيمية)

إعداد :

أم.د.مؤيد جبير محمود
أ.م.د. احمد علي محمد
م.د.مهند حميد مهيدي
أ.م.د.فلاح مبارك بردان
م.د.معتز اسماعيل خلف
م.م.سعد جمار نشمي

الاشراف العام :

الأستاذ الدكتور مشتاق طالب الندا

رئيس جامعة الانبار

2021

المقدمة:

تتميز الظروف العالمية الراهنة باشتداد أزمة فايروس كورونا التي لم يكن أحدٌ يتوقع أن جائحة بهذه الخطورة، وبهذه السرعة في الانتشار ستضرب كل مكان في العالم. ولم يكن اكثر المتشائمين من المتخصصين في الأمراض المعدية أو في مجال حقوق الانسان والدفاع عن البيئة أو حتى من رؤساء الدول والحكومات على علم بأن تكون الأزمة على هذه الشاكلة من ضعف القدرة في المواجهة، وصعوبة ايجاد الحلول، مع غياب العلاج، وصعوبة الحصول على لقاح مضاد لهذا الفايروس المستجد خلال أقل من سنة واحدة على ظهور الفايروس في مدينة ووهان في الصين.

لقد أصبح العالم، وعلى حين غرة، محكوما بعقيدة الخوف، وبسطوة الموت الذي يصحبه الفايروس أينما حل وانتشر، فلأول مرة في العصر الراهن يجد الانسان نفسه عاجزا؛ رغم التقدم العلمي الهائل في مجال الطب، وصناعة الادوية، ومكافحة الامراض المعدية أمام هذا النوع من الفايروسات. في الواقع ليس الخوف وحده هو من يعبر عن هذا المشهد فقط، بل اصبح العالم كله من شرقه الى غربه يعيش في حالة ارتباك قلما عاشها من قبل عبر تاريخه الطويل. فالأزمات الكبرى لطالما كان لها تبعات لم تكن في الحسبان، على الرغم من كل الحسابات العلمية، والدراسات الاستشرافية التي يجريها العلماء باستمرار؛ فطبيعة هذه الحياة وعلى ما يبدو تشتمل دائما على عناصر مفاجئة تتسم بالخطر وعدم التوقع.

ويمكن القول أن العالم يعيش لحظة تاريخية فاصلة، إنها أشبه بموت قديم، وولادة جديد على مختلف المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والامنية والثقافية وغيرها، وعلى هذا الأساس فإن هذه الجهد العلمي يسعى إلى دراسة مختلف الظواهر المرتبطة بهذه المجالات؛ لما لها من أهمية قصوى في شرح وتفسير وتحليل هذه الأزمة والتنبؤ بمسارتها وما يترتب عليها من آثار وتداعيات.

وبقدر تعلق الأمر بمجالات اهتمام هذه الدراسة فالأزمة، وبلا شك، قد دفعت السياسيين والمفكرين والفلاسفة والاقتصاديين والقانونيين الى الاهتمام بها، ودراستها، والكتابة والتنظير حولها بما ينفع البشرية، ويفيد صناع القرار والمهتمين لإيجاد الحلول الناجعة، أو على أقل تقدير رفد المكتبة المعرفية بمساهمة جديدة تصب في مصب الجهد العلمي والمعرفي، فأزمة فايروس كورنا قد جعلتنا جميعا تحت تأثيرها، بين الكيفية التي يمكن من خلالها احتواء الجائحة وبين الكيفية التي تمكن العلماء والساسة من التقليل من آثارها الكارثية على الحياة والاقتصاد ومستقبل البشرية.

وانطلاقا من هذه المسؤولية الاكاديمية وجهت رئاسة جامعة الأنبار الموقرة مركز الدراسات الاستراتيجية، وبالتعاون مع قسم العلوم السياسية في كلية القانون العلوم والسياسية في جامعة الأنبار الى مواكبة هذه الأزمة واعداد دراسة حولها في المجالات المذكورة أعلاه.

وبناءً على شرف قبول هذه المسؤولية واستجابةً لرؤية السيد رئيس الجامعة المحترم البروفسور مشتاق طالب ندا يسرنا أن نقدم للقارئ الكريم هذا الجهد العلمي والبحثي الاكاديمي ليكون مدخلا علميا ومعرفيا وثقافيا في الحصول على مزيدٍ من المعرفة عن علاقة الجوائح والأوبئة بحياة الانسان، ومختلف مجالات حياته الأخرى في السياسة والاجتماع والعلاقات الدولية والامن والقانون والاقتصاد.

الفصل الأول: جائحة كورونا والفكر السياسي: إعادة تشكيل المفاهيم والقيم

أ.م.د. مؤيد جبير محمود*

المقدمة:

قد يبدو غريبا للقارئ الكريم أن يجد عنوانا يجمع بين الجائحة المرضية وبين الفكر السياسي، وقد يتساءل سائل عن طبيعة العلاقة بين الأمراض (الأوبئة والجوائح) وبين كلمة سياسي وما يرتبط بها من مفاهيم ومعاني ودلالات ورمزيات. وقد تبدو حالة الغرابة هذه مبررة في ظل حالة الانفصام الحادثة اليوم بين الفكر السياسي وصناعة السياسيات العامة في العديد من الدول؛ ومن ضمنها تلك التي تحتل مكانة متميزة في لائحة تصنيف أكثر الدول تطورا وتمدنا، فالسياسية على الرغم من أنها وليدة للفكر السياسي إلا انها كانت ولا تزال أبنة عائقة لأبيها، ومتنكرة له، الى الحد الذي يضطر معها الفكر الى الصمت أو عدم الحضور في لحظاتها الأكثر نزقاً وجنوناً وتغولاً.

ان الجدل والنقاش الذي أثاره فايروس كورونا ربما تجاوز الأطر التقليدية في النقاش والتفكير والجدل السياسي، وعلى الرغم من أن موضوع الفايروسات موضوع يقع في مجال العلوم الطبية والبيولوجية والصحة العامة، إلا أن له ارتباطات في كل المجالات؛ ومنها الفكرية والفلسفية والسياسية.

وبقدر تعلق الأمر بعلاقة الجائحة بالفكر السياسي، وتأثيرها في اعادة تشكيله، وتشكيل مفاهيم أخرى ترتبط بالظواهر السياسية والاجتماعية، يمكن القول بأن فايروس كورونا قد أسهم بشكل مباشر أو غير مباشر في التأثير في منظومة الفكر السياسي، وبخاصة موضوعة القيم، كذلك أدى إلى نقاش سياسي نخوبي في مختلف الأوساط الاكاديمية والبحثية والثقافية والتي تهتم بالنتائج السياسية المترتبة على انتشار الجائحة في مختلف أرجاء العالم، بل إن واحدة من النتائج المدوية هو أن الجائحة كشفت قصور الأنظمة الغربية الأوربية في مواجهة الجائحة، وكيفية التعامل مع آثارها السلبية وتداعيتها شديدة التأثير. لقد مثلت هذه الأزمة العالمية هذه فرصة أمام الفلاسفة والمفكرين والباحثين السياسيين للنظر والبحث والتأمل العميق فيها، ودفعتهم الى مضاعفة الجهود لتقديم قراءة موضوعية تُعينهم في فهم الظاهرة والتنبؤ بمساراتها المستقبلية وما سيترتب عليها من حتميات وضرورات.

وفي هذا البحث نطرح مجموعة من التساؤلات عن أثر الجائحة في اعادة التفكير بطبيعة الفكر السياسي في العالم اليوم، والمقارنة بين الأنظمة الديمقراطية والشمولية وطبيعة تعاملها مع الجائحة، والتثبت من صوابية تلك الآراء التي صدرت عن كبار المفكرين والفلاسفة عن نجاح الأنظمة الشمولية في

* – جامعة الانبار/ كلية القانون والعلوم السياسية/ قسم العلوم السياسية
Sa.mo208@uoanbar.edu.iq

مواجهة الكوارث. فضلا عما ترتب عليها من دعوات لإعادة النظر بمنظومة القيم الدينية والاجتماعية والانسانية ومقارنتها بمنظومة القيم الفردية التي تحكم الفكر الانساني والسياسي في العالم، شرقه وغربه. كذلك إعادة قراءة مفاهيم: الدولة والسلطة، والديمقراطية، والمجتمع المدني، والحريات، وحقوق الانسان، والثقافة، والاقتصاد، ومفهوم التباعد الاجتماعي. وما نوع المجتمع الذي سيخرج بعد هذه الجائحة؟ هل ستكون البلدان أكثر توحدا؟ ام عزلة؟ وهل ستستخدم أدوات السياسة والمراقبة لحماية الناس أم لقمعهم. وكيف ستواجه الدول والحكومات والمجتمعات هذه الأزمة ؟، هل باعتبارها مسألة قومية تقتضي العزلة والتعاون داخل إطار الدولة الواحدة أم هي مسؤولة دولية تقتضي التضامن، والتعاون الدولي بين كل دول العالم لمواجهة الكارثة التي تهدد مصيرهم؟ وعلى أي مستوى في الدولة تكون المواجهة؟ هل من خلال الشمولية والسيطرة المركزية والرقابة أم من خلال التضامن الاجتماعي وتمكين المواطنين.؟ وطرحت أيضا أسئلة ذات طابع صحي وسياسي في آن واحد. وهنا يتوجب على الدول والحكومات والمفكرين والباحثين تقديم اجابات علمية وموضوعية عنها.

المبحث الأول: أثر الجائحة في البعد النظري والمفاهيمي:

المطلب الأول : في معنى المفهوم والقيم وعلاقة الفكر بالواقع:

تأتي كلمة مفهوم في اللغة بثلاثة معان وهي المعرفة والعلم والعقل، فيقال مثلا فهمت الشيء أي عرفته وعقلته وعلمته. ويمكن ان يكون المفهوم لفظا، أو نصا، أو حدثا. والمفهوم هو " الصورة الذهنية، سواء وضعت بإزائها الألفاظ أو لا". وكذلك هو ما حصل في العقل من صور وانطباعات وأفكار[١]. وعرفته * Elizabeth warren: " عملية ذهنية تشير الى مجموعة من الموضوعات والخبرات، او الى موضوع واحد في علاقته بغيره من الموضوعات"[٢]. ويعرف أيضا بانه: " كل موضوع شعوري يتضمن معنى ودلالة، فهو كل شيء يمكن ان يفكر فيه الفرد أو يميزه عن غيره من الاشياء الاخرى، وهذا ما نسميه في علم النفس بالتصور، ويلحظ في معنى عام، أو كل ما يستدل به على عدد من الافراد او الموضوعات"[٣].

ويمكن القول بان المفهوم هو مجموع الصفات والخصائص التي تحدد الموضوعات التي ينطبق عليها اللفظ تحديدا يكفي لتمييزها عن الموضوعات الأخرى.

أما القيم فهي مفهوم غامض، وينظر اليها من زوايا ووجهات نظرة متعددة، لهذا فهي تختلف باختلاف المنطلقات، ولكونها أيضا متغيرة، ولها خصوصية المجتمع التي تنتمي اليه. ومع تعذر

---

[١] جميل صليبا، المعجم العربي، ج٢، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٩٨٢، ص ص ٤٠٣-٤٠٤.

*استاذة القانون، وسياسية امريكية من مواليد ١٩٤٩، درست في الجامعات الامريكية، ودافعت عن الفرص الاقتصادية، والسلامة الاجتماعية، وكتبت في النظريات القانونية والسياسية.

[٢] محمد زكريا، وحناش فضيلة، بناء المفاهيم، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، ٢٠٠٨، ص ١٧.

[٣] ابراهيم بيومي واخرون، بناء المفاهيم: دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، ج ١، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، القاهرة، ١٩٩٨، ص٣١.

الالمام بكل ما قيل حولها من تعاريف يمكن الاستعانة بالمعنى اللغوي الذي يعني: لفظة مشتقة من الفعل الثلاثي قام، والألف منقلبة على الواو، فأصل الفعل قَوَم، وتجمع القيمة، قِيَم[1]. وعليه وبالمعنى الاصلاحي وتأسيسا على معناها اللغوي يمكن القول بأنها منظومة من المثل العليا، أو المعايير التي يعتقد بها الانسان ، ولديها القدرة على التحكم في سلوكه، أو على أقل تقدير التأثير في هذا السلوك. وطالما أن الانسان هو ابن بيئته فإن يتأثر بقيم بتلك البيئة والمجتمع الذي يعيش فيهما بالضرورة. والقيم هي منظومة تتكون من مجموعة من الصفات النبيلة التي يؤمن بها الانسان، أما بالفطرة او بالاكتساب. وهي محددة ومرشدة أو موجهة للسلوك، في حالة الاختيار بين البدائل عندما يتعرض الانسان الى مواقف محددة في حياته. وقبل ذلك يمكن ان تؤثر أو تحدد حتى تفكير الانسان تجاه مختلف القضايا التي تواجهه في حياته اليومية.

وبموجب هذا الفهم فإن نظرتنا للحياة، وسلوكنا السياسي والاجتماعي ينطلقان من مجموعة من المفاهيم والقيم التي تشكل معرفتنا ووعينا، أزاء الله والانسان والكون والوجود والدولة والسلطة، وإزاء كل الظواهر السياسية والاجتماعية وغيرها التي توجد في الحياة، وتتفاعل في المجتمع، ويتفاعل الانسان معها، في عملية علائقية ترابطية وتفاعلية في الوقت ذاته.

والسؤال هل المفاهيم والقيم ثابتة في حياتنا؟ وهل هناك ثمة تغيرا وحراكا يمكن ان يعيد تشكيل المفاهيم والقيم، أم أنهما يتسمان بخاصية الثبات وعدم التغير أو التأثر؟

وللإجابة على مثل هذا التساؤل لابد من التذكير بأن الفكر عموما والمفاهيم والقيم خصوصا هي تعبير عن الواقع، وهي انعكاس لما ينتجه العقل الانساني في مكان وزمان محددين، وتخضع لمنطق التطور التاريخي، ومنطق الصيرورات والسيرروات، وهي تتأثر بالأحداث والتطورات، سواء كانت احداثا سياسية، أو اجتماعية، أو ثقافية، أو كانت احداث طبيعة، بفعل الأزمات والكوارث البيئية، أو بفعل الحروب. ولكي ندرك أي من المفاهيم أو القيم لابد من فهمها وادراكها في سياق تطورها التاريخي والعوامل التي تؤثر في مسار هذا التطور. وفي الدراسات السياسية والاجتماعية هناك ما يسمى بـ(الحراك المفاهيمي)؛ الذي يعني أن لإثبات لفظي ولا معنوي لطبيعة كل مفهوم، ويتعذر اغلاق المعنى على اللفظ في كل المفاهيم السياسية والاجتماعية، إذا انها تتصف بصفة النمو والتغير وحتى التبدل تبعا لما يجري من حركة نمو مستمر في الفكر والفهم والتفكير والاحداث والمتغيرات. ومفهوم المعنى يقع في صلب موضوعة المفاهيم وقد أولت الفلسفة الاسلامية والغربية أهمية متيمزة لموضوعة المعنى، وما يراد من معاني عندما نحدد المفاهيم. لهذا لابد للفظ ان يكون مطابقا للمعنى سواء كان على سبيل الحقيقة او المجاز، ويجب أن يكون ترتيب الالفاظ داخل السياق المفاهيمي معبرا عن الترتيب العقلي الذي يريده المتحدق أو الكاتب أو واضع المفهوم[2]. لذلك فإن المفاهيم والقيم تتغير بتغير المعاني نتيجة لأسباب كثيرة. ويمكن ان نفهم ذلك اذا علمنا ان للمفهوم

[1] نقلا عن مصطفى جابر العلواني، القيم السياسية العالمية في الخطاب القرآني، ط١، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا، ٢٠١٥.

[2] صلاح اسماعيل، توضيح المفاهيم ضرورة معرفية في :ابراهيم بيومي وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص ص ٣٤-٣٦.

بنية وعناصر أساسية مشكلة له فعلى سبيل المثال مفهوم العقل ومفهوم الحرية. فبعض المفاهيم تتكون من عناصر أساسية، وأخرى اضافية ، أو لاحقة للعناصر الاساسية. وعليه لابد للمتصدي لعملية تحليل المفاهيم أن يضع في اعتباره المعنى الذي يكتسبه المفهوم في فترة زمنية محددة.

وبناءً على هذا الفهم ولأن جائحة كورونا قد فرضت على الفكر والواقع السياسي الحديث عن ضرورة مواكبة التغيرات الحاصلة في بنية الفكر الساسي، وما يستتبعه من مفاهيم، وفي منظومة القيم التي ترتبط بشكل وبآخر بالبنيتين السياسية والاجتماعية (الاخلاقية).

ولقد كشفت جائحة كورونا، وبما لإيدع مجال للشك، أو حتى للدفاع ، عن حجم القصور في السياسات العامة، والبنى التحتية للأنظمة الصحية في مختلف دول العالم. والعلاقة بين الفكر السياسي والانظمة الحياتية، علاقة هي بالأساس علاقة موجودة وإن كانت غير واضحة، أو لم تحظ باهتمام كاف في العقود الأخير في عالمنا المعاصر؛ بفعل غياب، أو عدم حضور للمفكرين السياسيين في التأثير في توجهات الحكومات، والسلط، وصناع القرار من جهة، واستقرار الانظمة الحياتية، والصحية على نمط معين استغنى عن عملية طرح التساؤلات الفكرية، مع وجود النزعة الغربية الليبرالية التي تؤمن بعدم قدرة الفكر الإنساني على انتاج أفكار أكثر نجاعة، وفاعلية من الأفكار الديمقراطية.

وتبقى حالة التأثر والتأثير بين الفكر والواقع بمختلف مجالاته، حالة مستمرة ودائمة في المجتمع البشري، فعملية التأثير عملية تبادلية تفاعلية بصرف النظر عن ذلك الجدل المعرفي الذي يدور حول أيهما أكثر تأثيرا بالآخر، ومن الذي يؤثر فعلا في تطور الحياة، أو تراجعها، هل الفكر هو الذي يؤثر في الواقع ويدفعه للتغيير والتطوير، كما تذهب الى ذلك النظريات المعيارية المثالية، أم أن الواقع هو الذي يقول قولته، ويفرض شروطه على الفكر، ليكون الأخير مجرد انعكاس لذلك الجدل الديالكتيكي، والتناقض الطبقي، ولمنطق التاريخ وسنن التطور كما تقر بذلك النظريات الماركسية، أم أن الواقع والفكر كلاهما محكومان بمنظور اخلاقي هو الذي يحدد طبيعة المسار والبوصلة والاتجاه كما في النظريات الأخلاقية والسلوكية، وكما في النظريات الدينية قبل ذلك.

والفكر بوصفة عملية عقلية تأملية حول الظواهر الانسانية والطبيعية، هو ثمرة من ثمار سعي الانسان الدائم لإنتاج معرفة، إما لفهم ذاته والوجود من حوله، أو لتوظيف المعرفة في خدمته، وخدمة مصالحه، عبر محاولته المستمرة والأكيد للسيطرة على الطبيعة واخضاعها، والتحكم فيها. فالفكر والعمل هما ركنا الحياة الانسانية وشرط اساسي لوجدهما، وما ينتجه الانسان من أفكار هو تعبير عن ذاته وعن الواقع الذي يعيش فيه[١].

[١] ينظر عبد الرضا الطعان وآخرون، موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، ط١، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٥، ص ص١٧-٢٢.

*فيلسوف وحقوقي الماني، من اهم المفكرين في القرن العشرين، عاش قرابة قرن من الزمن ١٨٨٨-١٩٨٥ م.

ومنذ بداية تشكل الوعي الانساني، وزيادة معرفة الانسان بذاته، وعناصر قوته وضعفه، أدرك أن هناك عدد من التحديات والمخاطر تهدد حياته ووجوده دائما، ومنها الامراض لهذا دأب ومنذ وقت مبكر الى التعرف على جسده، وعناصر القوة والضعف فيه؛ وسعى للتعرف أيضا على البيئة التي يعيش فيها، وما يوجد فيها من امراض. لهذا كان للفكر الانساني، وما توصل اليه من علوم دورا أساسيا في الحفاظ على الجنس البشري.

وإن التحولات السياسية والاقتصادية والقانونية لا يمكن أن تحدث هكذا مرة واحدة، مستبعدة منطق العلم والحادث والطارئ، فعالم الفكر والسياسة وما يرتبط بهما من مجالات ، وكما يقول (كارل شميت)* لا يخلو من الطارئ والعرضي. فلم يكن أحد يتوقع هذه الجائحة. والواضح أن كورنا قد شكلت قاموسها الاصطلاحي الخاص بها مثل (التباعد الاجتماعي، والاحتكاك البدني الاجتماعي، الحجر الصحي، العزل الذاتي، الحجز الذاتي، تسطيح الخط البياني flattering the curve) وغيرها من المفاهيم والمصطلحات الحادثة.

المطلب الثاني: علاقة الأزمات بتطور الفكر السياسي

يمكن التأكيد هنا أن الأوبئة والجوائح التي تضرب الحياة البشرية تعد واحدة من أخطر الأزمات التي واجهها البشر ولايزال يواجهونها، وهذه الخطورة متأتية قطعا من طبيعة المخاطر التي تتضمنها؛ فهي تهدد حياتنا ووجودنا الانساني على هذا الكوكب؛ فليس هناك ما هو أثمن من حياة الانسان، ولقيمة هذه الحياة، فقد اتفقت الشعوب والدول على اعتبار (الحق في الحياة) هو أثمن حق في منظومة حقوق الانسان العالمية، فضلا على أن الأزمات الشديدة تشتمل على تحديات حقيقية تهدد هذه الحياة، والوجود الانساني، ورفاهية الانسان واستقراره؛ فهي تضرب الحياة الاقتصادية، وتعطل النشاط الانساني الاقتصادي. ويمكن أيضا أن تهدد وجود الدول والمجتمعات كما حصل على مر التاريخ الانساني اذا اسهمت الامراض والأوبئة والجوائح على أفول دول، واختفاء مجتمعات بل اختفاء مجموعات بشرية بالكامل[1].

إن النظرة العميقة لهذه الوقائع يفترض وجود علاقة ترابطية وسببية بين الفكر السياسي والأوبئة وما شابهها، فكثيرا ما تصطحب معها قدرة تحفيزية على بذل جهود استثنائية في السياسية والاقتصاد والاجتماع والادارة على مواجهة المخاطر، وليس هناك ثمة دافعا للإنسان أقوى من دافع ان تكون حياته في خطر لكي يتفاعل ويتاثر ويبادر ويعمل.

يخبرنا التاريخ أن الأوبئة كانت تحصد اعدادا هائلة من البشر في الأماكن التي تنتشر فيها، فالموت الأسود (الطاعون) الذي انتشر في أوربا في أوقات مختلفة قد حصد ما يقارب من ثلث الى ثلثي السكان ولم

١- للاطلاع يراجع كتابي تاريخ الأوبئة، والموت الأسود المعتمدين في هذا البحث.

يكن الطب في الموجة الأولى من انتشار الطاعون قبل عصر النهضة الأوربية في القرن الخامس عشر قادرا على فهم هذا المرض وما هي أسبابه، لذلك لم يكن أمام الانسان إلا اللجوء الى تفسيرين[١]:

الأول: التفسير الديني: فطبقة رجال الدين فسرت انتشار الطاعون على أنه غضب من الرب ، بسبب العصيان، والكفر، وغضبه على غير المؤمنين (غير المسيحيين)؛ الأمر الذي ترتب على هذا التفسير مجموعة من الإجراءات التطهيرية ضد غير المسيحيين وبخاصة اليهود؛ الذين منعوا من الاشتراك في الحكم او حتى في اعمال الفلاحة.

الثاني : الثقافة الشعبية (الاسطورية): عندما يعجز العقل الانساني عن فهم أسباب ما تصيبه من أمراض يلجأ الى تفسيرات غير واقعية تنطلق من ثقافته الشعبية المشبعة بالأفكار الغيبية والاسطورية ، وبخاصة مع سيادة نمط الايمان الشعبي بفكرة الشياطين والأرواح الشريرة ، وقوى ما وراء الطبيعة، التي تسبب الأمراض واللعنات والمصائب والكوارث وغيرها.

لقد احتاجت اوربا وقتا طويلا لكي تتجاوز هذه الثنائية التفسيرية، وبخاصة أنهما كانتا تهيمنان على تفكير ووعي الشعوب آنذاك، ولم يكن بوسع النخب المتعلمة والمتنورة أن تعبر أو تنشر افكارها التنويرية في ظل سيادة نمط هذه الثقافة الدينية والاسطورية في المجتمعات الأوربية. لهذا فإن الوعي الانساني في مجال الطب والصحة وكيفية مواجهة الأمراض قد تزامن مع تطور مجمل الفكر الأوربي وبخاصة الفكر السياسي. فأكثر المدن الاوربية التي كانت تهددها الأمراض وبخاصة مرض (الطاعون) كانت تقع بالقرب من السواحل أو مطلة مباشرة على البحار، وبخاصة المدن الايطالية. فقد كانت هذه المدن مدنا تجارية مهمة تربط بين الشرق والغرب. وبمرور الوقت ومن خلال التجارب، ومع تطور حركة الترجمة باكتشاف الآلة الطابعة في العام ١٥١٧ للميلاد، وترجمة الكتب العربية والاسلامية المختصة بالطب حدثت نهضة أوربية كبيرة. فلأول مرة في أوربا يجري الحديث عن فكرة (العدوى)، وان الأمراض يمكن أن تنتقل ما بين البشر، وما بين الانسان والحيوان والحشرات عن طريق العدوى. ومع انتشار وذيوع هذه الفكرة في المدن الأوربية واكتشاف العقل الانساني لعلاقة سببية بين التجارة والمرض، وبين الفئران القادمة من الصين عبر السفن التجارية، وبين انتشاره في المدن الاوربية بدأ فكرا جديدا يتبلور في أوربا على مختلف الاصعدة. فعلى الصعيد السياسي بدأت المدن الايطالية ونخبها السياسية بتطوير أنظمة أدارية اكثر قدرة على مواجهة الأمراض عبر تقرير مزيد من سياسيات التدخل الحكومي الضروري في الحياة الاجتماعية والصحية للناس، ولو كان على حساب تنازلهم عن كثير من حرياتهم. فهي ذات الفكرة التي تحدث عنها هوبز في نظريته للعقد الاجتماعي (التنازل طواعية عن مزيد من الحرية في سبيل الحصول على مزيد من الامن)، وفي أزمات الامراض يمكن الحصول على مزيد من السلامة، والصحة[٢].

[١] ينظر : شلودون واتس، الاوبئة والتاريخ–المرض والقوة والامبريالية، ط١، ترجمة المركز القوي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠.

٢ شلودن واتس، مصدر سبق ذكره، ص ص ٦٧–٦٩.

وعلى مدار السنوات التي انتشر فيها الطاعون في اوربا طورت النخب الايطالية على وجه الخصوص سياسات جديدة تمكنهم من أولا من إدارة المدن بتنظيمات جديدة، وتشريعات قانونية تتعامل مع هذه الظروف الاستثنائية، وثانيا لكبح جماح الساعين الى التمرد والثورة خوفا من انتشار الطاعون. وتحت شعار وعنوان (مكافحة انتشار الطاعون)استطاعت النخب الاوربية أن تبتكر سياسات وأجراءات نجحت في الأخير من مقاومة الطاعون والقضاء عليه نهائيا في أوربا.

ويمكن القول ان لا شيء ساهم في ظهور الوعي السياسي والسلطة السياسية مثل الاوبئة، حيث تجربة الموت تصبح تجربة جماعية، يشعر الناس جميعا بالمسؤولية تجاه انفسهم ومدنهم وبلادهم، تحدث الفجوات التي يسببها الموت، يهب الناس للإمساك بالسلطة لكنهم يتصارعون مع عائلات ذات نفوذ ونخب وسطوة[١]. وقد ساهمت الحركة الاحيائية* في تغيير النظرة الى الفلسفية المثالية الافلاطونية التي تحدثت عن مركز الانسان بوصفة يحتل مرتبة وسطى بين الملائكة والفئران. وهذه الافكار تراجعت مع تنامي الأفكار التجريبية التي جُلبت من الفكر والطب العربي والاسلامي، خاصة المصادر الطبية في الاندلس التي تتحدث عن أمراض العدوى[٢].

وكانت النظرة السائدة في اوربا تعتقد بان طبقة الفقراء بمختلف تسمياتها وبسبب قذارتها هي التي كانت سببا في انتشار الأمراض. وهنا تبلور ما عرف بـ(مفهوم النظام) الذي يسمح للسلطة بأن تتدخل في حياة الناس العاديين خلال أزمات تفشي الأوبئة. وقد نشأ هذا المفهوم في فلورنسا وما حولها ثم تطور وانتشر في فرنسا واسبانيا وانجلترا والسويد ليستقر على ما اخذ يعرف بـ (مبدأ التدخل) وهو الذي يعطي للسلطة السياسية الحق في التدخل في شؤون الناس الخاصة، وفي حيواتهم. ونتج عن رصد هذه الظواهر أن استقر في فكر الانسان السياسي العلاقة بين الاوبئة وحركة الناس. لهذا هناك بأن الحركة الاستعمارية، والحركة التجارية بما فيها تجارة العبيد كانت سببا من أسباب انتشار الأوبئة في مختلف المناطق حول العالم؛ فكلما زادت حركة الناس زادت معها التفشي والانتشار. وعلى هذا تطرح اليوم فرضية أساسية بأن انتشار كوفيد -١٩ بهذه السرعة هو انعكاس لسهولة حركة الناس بين دول ومناطق العالم عبر ما يسمى بـ(بالعولمة) التي جعلت العالم أشبه بالقرية الصغيرة.

وتأسيسا على هذه الرؤية انبرى عدد من المفكرين السياسيين الى القول بأن هناك ثمة تغيرا اساسيا سيطرأ على جوهر آليات العولمة في كل العالم، وان عملية تبدل وتشكل جديدتين تحدثان الآن بفعل الجائحة، ربما سيسهمان في نقل مركز العولمة من الغرب إلى الشرق.

*حركة ثقافية وفلسفية لعصر النهضة تعتقد في قدرات الانسان وذكائه وتفرده اكثر من اعتمادها على الدين.

[١] ينظر : ميشيل فوكو، ولادة الطب السريري، ط١، ترجمة اياس حسن، المركز العربي للابحاث والدراسات، قطر، ٢٠١٨.

[٢] جون هريسون، الجذور الشرقية للحاضرة الغربية، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٦، ص٢٠١٤.

وتذكرنا الجائحة وما ارتبط بها من تداعيات أن الجوائح قد ترتبط بشكل وآخر بفكر سياسي معين، فقد أدت القوى الاستعمارية الامبريالية الى المساعدة في انتشار الامراض ونقلها الى شعوب لم تكن تعرفها من قبل. وإن كان نقل الامراض لم يكن مقصوداً في أحسن النوايا فإن السياسات المرتبطة بالاستعمار والاستعباد قد أسهمت فعلا في تفاقم ظاهرة انتشار الأوبئة في مختلف مناطق العالم. فحركة الناس فيما مضى، وبخاصة هجرة الأوروبيين الى أمريكا قد أسهمت في إبادة السكان الأصليين بسبب نقلهم أمراض خطيرة مثل الجدري والزهري والانفلاونزة التي لم تكن معروفة لديهم، ولم يكن لديهم مناعة ضدها، بالإضافة الى الحروب التي شنها المستعمرون ضدهم[١].

ان نظرية العدوى التي اكتشفت قبل أن يكتشف روبرت كوخ* موضوع الجراثيم، ووضعه للنظرية العامة للجراثيم، كانت مأخوذة من كتابات العرب المسلمين في مجال الطب والأمراض المعدية، والدليل على هذا هو تطبيق بعض المدن الأوروبية لاجراءات الحجز الصحي، والعزل المناطقي عند انتشار الامراض المعدية كالطاعون والكوليرا والجدري، وهذه الاجراءات لم يكن الأوربيون يعرفونها، الى ان وصلتهم من المسلمين[٢]. وتأثر الفكر السياسي الأوربي بما توصل اليه العلماء المسلمون من مناهج تجريبية في العلوم قائمة على اساس التجربة والملاحظة، فظهر ما يعرف بالاتجاه التجريبي في الفلسفة والعلوم وفي مجمل تفكير العقل الغربي تأثراً بما ترجموا من كتابات مهمة للفخر الرازي وابن سينا وغيرهم ممن تحدثوا عن نظرية العدوى نتيجة لاعتمادهم على مناهج التجربة والملاحظة[٣].

وترتب على هذا التطور الفكري والعلمي أن تراجع فكر أفلاطون ونظريته في السياسية والعلم بما فيها الطب لصالح المنهج التجريبي الجديد، فقد كانت هذه النظرة الافلاطونية التي تبنتها الكنيسة، وبخاصة في موضوعة تدرج المخلوقات تمثل عائقا امام تطور العلم ومناهجه التجريبية. وفتح المجال في أوربا وفي كل العالم لمرحلة جديدة يكون عنوانها الاكتشافات العلمية وما ارتبط بها من تبدل على مستوى الفكر والمفاهيم والعقائد والقيم وكل شيء في هذا الوجود*.

نخلص في هذا الفقرة إلى أن الأوبئة بصفتها أزمة حادة، وتحدي كبير يهدد حياة البشر يمكن ان تكون متغيرا فاعلا ومؤثرا في طبيعة الفكر السياسي، وما يستلزمه من مفاهيم وأنظمة وسياسات. والفكر والبيئة

---

[١] معتز ممدوح، امراض الامبريالية، كيف نشر الاستعمار الاوبئة، متاح على الانترنت على الموقع التالي:
https://www.ida2at.com/how-do-colonial-spread-epidemics

*عالم طبيب وعالم بكرتيا الماني(١٨٤٣-١٩١٠)، حاصل على جائزة نوبل للطب لاكتشافه البكرتيا المسببة لمرض السل، وهو مؤسس لعلم الجراثيم كعلم طبي مستقل.

[٢] شلودون واتس، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩.

[٣] ينظر جوزيف بيرن، الموت الاسود، ط١، ترجمة عمر سعيد الايوبي، هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة، الامارات العربية المتحدة، ٢٠١٤، ص ص٣٨٧-٤١٤.

*التجريبية فلسفة مادية تقوم على أساس ان المعرفة تستند الى الحواس والتجربة فقط، ولايمكن الاعتماد علىأي معرفة اخرى سواء كان مصدرها الوحي ام العقل.

يبقيان في حالة تفاعل دائمي بمنحنيات متدرجة يؤثران في بعضهما، ويتأثران بعناصر أخرى. ويمكن لعملية التفاعل ان تنتج مركبا جديدا، وحالات جديدة، متغيرة متبدلة غير مستقرة كلما استقرت في حال ، انقلبت أو تغيرت الى حال أخرى، وهذه هي طبيعة الفكر والوجود في هذه الحياة.

فتطور علم الأوبئة أدى فيما ادى اليه، الى أفول النظرية السياسية القديمة القائمة على أساس المثل، لتحل محلها نظرية سياسية وفلسفة جديدة تقوم على أساس المشاهدة والملاحظة والتجريبية، وبالتالي الانتقال معرفيا من الفكر العقل المجرد، الى الفكر الذي يمزج العقل بالحس والتجربة. وأدى هذا التطور أيضا الى اعادة النظر بفهم الإنسان لذاته، وإدراكه لماهيته، ولماهية الوجود، والواقع الذي يعيش به، وتطور من قدرته على مواجهة الأوبئة والتهديدات، وبالتالي فتح المجال لتعزيز الأفكار التي تدعو الى تطبيق سياسات واقعية تنطلق من الواقع والمصلحة البشرية، وفي الوقت ذاته تراجع تلك الأفكار التي تقوم على قناعات غيبية، وركون الى سلطة رجال الدين والسحرة والمشعوذين التي تفسر الظواهر الطبيعية وغيرها تفسيرات اسطورية لا علاقة لها بالواقع. فالأوبئة أصبحت تفهم في سياق علم الاوبئة والطب ولا علاقة للكواكب والتنجيم والسحر بهما، وليست هي قدرا، كما يروج لذلك رجال الدين، بل هي امراض لا سبيل لفهمها ومواجهتها إلا من خلال المعرفة التي علمت الانسان كيف يقي نفسه، ويتعامل مع ما يقتضيه الوباء من اجراءات عزل وحجر وطمر وتباعد.

المبحث الثاني : أثر جائحة كورونا في مفهوم الفكر السياسي المعاصر:

المطلب الأول: كورونا والجدل الليبرالي الماركسي القديم- الجديد:

يقينا ان الفكر الإنساني يتأثر بكل شيء في هذ الكون، وليس هنا ثمة فكر يتصف بالجمود والثبات مهما تعددت الأفكار والآراء والقناعات حول ذلك، لهذا فإن الفكر يبقى يتسم بقابليته على التجديد والتغير والتبدل، تبعا لتغيرات ذاتية وموضوعية، وتبعا لطبيعة الانسان مالك العقل المفكر الذي يبقى في حالة مستمرة من التغير، والتبدل؛ وبخاصة الانسان الذي ينتمي الى النخب المفكرة والمثقفة. لهذا فإن فايروس كورونا قد فتح بابا واسعا للنقاش، واوجد مناسبة للمفكرين والفلاسفة لإعادة طرح الأسئلة التي تمثل تحديات وقلق مستمر للإنسان المعاصر في ظل البروبوغاندا المستمرة بأن عصر الأفكار والأيديولوجيات قد انتهى لصالح نمط محدد من الفكر السياسي، وهو الفكر النيوليبرالي المعبر عن الهيمنة الامريكية العسكرية والسياسية والثقافية على العالم.

لذا فإن النقاش في كورونا لم يتوقف عند تلك الحدود التقليدية للنقاش ، فقد أعيد طرح مقولات اليسار النقدية للرأسمالية واليسار النيوليبرالي، وظهرت رؤى فلسفية جديدة تتحدث عودة القيم والمؤسسات التقليدية مستصحبة معها نزعة التخويف من نتائج الحداثة التي أفرغت العلاقات والقيم الانسانية من مضامينها. فقبل ما يقارب الثلاثين عاما كتب (جاك دريدا)* في كتابه (أطياف ماركس) يتساءل هل الماركسية في طريقها إلى الفناء؟، وهل انها أنها تستطيع أن تغسل نفسها من آثار الماضي، وتنتفع من خبرته، وتعود الى الحياة من جديد[1].

إن دريدا فيلسوف التفكيكية أراد أن يدحض بمقولته هذه تلك القناعة التي انتشرت كروح مقدس في الاوساط الفكرية والثقافية منذ هزيمة الشيوعية امام الرأسمالية بأن (الأفكار تموت) ومنذ أن كُتبت تلك المقولة (المخادعة) بان الأيديولوجيات تموت. فالذين يزعمون أن التاريخ في نهايته، ولم يعد بمقدوره أن ينتج فكرا آخر غير الفكر الليبرالي بصيغته الامريكية هم يشبهون (حفاري القبور)، وهم بزعمهم هذا ينتجون أيدولوجية جديدة. لهذا سارع اتباع الفكر اليساري في العالم الى القول أن الماركسية وان بدا للعالم أنها انتهت، ولكنها في جوهرها لديها القدرة على الانبعاث من جديد. والسؤال المهم هنا هل ستعيد جائحة كورنا ماركس من جديد ليطل على العالم بمقولاته التي تنبأت بحتمية سقوط الرأسمالية ونماذجها

[1] علي حسين، مائدة كورونا، مفكرون وادباء في مواجهة الجائحة، ط١، دار الكتب العلمية، بغداد، ٢٠٢٠، ص ٧,

*جاك دريدا فيلسوف وناقد ادب فرنسي ١٩٣٠-٢٠٠٤، أشتهر بمنهجه التفكيكي في الفلسفة ولاسيما نقده للفكر الاوربي التقليدي.

*صحفي وسياسي ومنظر ماركسي بريطاني، ١٩٤٢-٢٠٠٩، كتب في الماركسية وعمل في السياسة.

السياسية سبب أنها تقوم على الاستغلال وتدمير البيئة. وهنا نذكر بالمقولة الماركسية التي أشار إليها الكاتب الانجليزي (كريس هارمان*: " بأن الرأسمالية لن تدمر الانسان فقط، بل كذلك الطبيعة"[١].

وعلى هذا وفي ظل هذه الجائحة أعيد الحديث بأن صاحب (رأس المال) هو الذي سيخلص البشرية من المأزق الذي وضعتهم فيه الرأسمالية، بسبب فشلها في إدارة أزمة الوباء. فالمفكرون في العالم في هذه المرحلة استحضروا كل ادواتهم المعرفية في توظيف قناعاتهم الفكرية في توجيه النقد الى الدول والمجتمعات الغربية، وبخاصة سياساتها الاقتصادية والاجتماعية التي بان قصورها الكبير وهي تواجه الجائحة وما ترتب عليها من تداعيات. يقول المفكر الامريكي المشهور نعوم تشومسكي بأن وباء كورونا قد اخرج اليسار من من جديد من عزلته، وان هذا الوباء كان من الكوارث المتوقعة بسبب السياسات النيوليبرالية، مؤكد ان فشل الحكومات الديمقراطية في مواجهة الفايروس قد أثبت فشل سياسات السوق، وانكشاف عورة السياسات الاجتماعية والاقتصادية للنظام العالمي الحالي الذي تقوده الليبرالية الرأسمالية. أما (سلافوي جيجيك)* ذهب في موقفه الفلسفي من الجائحة الى الحد الذي أخذ يبشر بأن الشيوعية الجديدة هي الحل للقضاء على هذا الوباء. معتقدا بأن الأزمة ستوجد مجتمع شيوعي جديد، وينبت منها فكر جديد غير الفكر الشيوعي التاريخي، وإن التضامن والتعاضد العالمي للتغلب على الفايروس بمثابة إكتشاف ثوري. وعلى الرغم من ان المواطنين الآن اكثر عزلة الا أنهم باتوا اكثر اعتمادا على بعضهم البعض. ان التكلفة النفسية لهذا الفايروس ستكون اكثر كلفة، كما أنها تخلق أشكالا جديدة من جنون الارتياب تتجلى في ظهور العديد من نظريات المؤامرة على شبكات التواصل الاجتماعي؛ التي تكرر دائما ان الصين وروسيا هي وراء الفايروس[٢].

وفي ظل غياب الفكر الاسلامي عن الإدلاء بدلوه في هذه الأزمة العالمية الشديدة احتلت الماركسية مركز الصدارة في النقاشات التي أجراها سلافوي جيجيك، ونعوم تشومسكي، وآمارتيا صن، ويورغن هابرماس، وريجيس دوبريه، وأروناداتي روي، وتوماس بيكيتي، وآلان باديو. منطلقين من الفكرة الأساسية " بان الماركسية في سعيها المحموم لتحقيق أقصى الأرباح إنما تدمر البيئة" وقد جاءت التطورات الأخيرة بفعل فايروس كورونا لتؤكد أن " التراكم الرأسمالي والتوسع اللامحدود للسوق يتعارض مع متطلبات حماية البيئة والانسان، وأن قوانين الربح تجعل من الصعب توقف الرأسمالية عن نهب الموارد الطبيعية واستغلال قوة العمل"[٣].

---

[١] علي حسين، مصدر سبق ذكره، ص ٨.

*سلافوي جيجيك ، فيلسوف وناقد سلوفيني، من مواليد ١٩٤٩، قدم مساهمات مهمة في النظرية السياسية ونظرية التحليل النفسي، وهو احد اكبر الباحثين في علم الاجتماع في جامعة ليوبليانا.

[٢] .....، في الازمة كلنا اشتراكيون، كيف يرى سلافوي جيجيك ازمة كورونا؟ متاح على الانترنت على الموقع التالي: https://www.aljazeera.net/midan/reality/community/2020/6/9/

[٣] علي حسين مصدر سبق ذكره، ص ٩.

الفيلسوف (ميشيل أونفراي)* دعا الى اعادة التفكير بالماركسية وتخليصها من أرثوذكسيتها، ومن حصرها الصراع الطبقي في ذلك الصراع التقليدي بين الطبقة البرجوازية وطبقة العمال والفلاحيين. وإن الجائحة تفرض علينا انتاج نمط جديد للماركسية تأخذ بنظر الاعتبار تجاوز الأطر التقليدية للصراع الطبقي، وتجاوز الثنائية التقليدية في التفكير، وتنتج منهجا نقديا يقدم مقاربة جديدة تستطيع مواجهة كل أشكال الاستبداد والاضطهاد ضد الفئات الصغيرة، وان لا تقتصر على طبقتي الفلاحين والعمال بل يجب أن تتسع لتشمل كل العاطلين والمهاجرين والمحرومين والمتضررين[١].

وطرح سؤال أساسي في خضم هذه الجائحة عن أي الأنظمة السياسية أكثر قدرة على مواجهة الجائحة هل هي الدولة المركزية الشمولية أم الدولة الديمقراطية؟ وهل الوباء يساعدنا على خلق مجتمع بديل خارج النظم الرأسمالية؟، مجتمع يحق نفسه بأشكال التضامن والتعاون العالميين كما تعتقد ذلك جوديث بتلر؟.

ربما هذا السؤال طرحت بشكل متواصل في اكثرية النقاشات الفكرية والسياسية التي حدثت في العالم بعد انتشار الفايروس، فالصين قدمت نموذجا ناجحا في مواجهة انتشار الفايروس وفي القضاء عليه بشكل كامل. وبخاصة نجاح الصين في استخدام تدابير مركزية وعاجلة في سياسات العزل والحجر الصحي، وهذا هو انعكاس لطبيعة السلطة المركزية الشمولية في الصين التي نجحت في تعبئة شعبها لقبول التدابير الصارمة، والطاعة العمياء لهذه السياسات والتدابير.

و(مارسيل غوشيه)* اعتبر ان مثل هذه الاستقراءات هي مجرد دعاية للنموذج السياسي الاستبدادي في الصين، معتبرا ان هذا النجاح مشكوكا فيه، وانه لايمكن بأن يغطي على عيوب النظام السياسي الصيني، ولايمكن بأي حال من الأحوال مقارنته بالنموذج الديمقراطي الذي هو على حد وصفه أكثر فعالية في مواجهة الأوبئة[٢].

وعلى الرغم من منطقية هذا الرأي إلا أنه لا يعفينا من التأمل في طبيعة التجربتين، الصينية والغربية في مواجهة الجائحة، فثمة فوارق أيدولوجية وثقافية بين التجربتين، فالوباء هو اختبار حقيقي للقوة الثقافية لكلا النموذجين، فأي من الثقافة استطاعت أن تقنع مواطنيها بالالتزام بإجراءات الحجر الصحي والسلامة

*فيلسوف فرنسي معاصر من مواليد ١٩٥٩، يعتبر امتداد لفلاسفة ما بعد الحداثة، وأبرز من اسهم في الفلسفة الفرنسية المعاصر، يعتبر من مفكري اليسار الاوربي.

[١] .....مراجعات صادمة لفيلسوف اوربي، هل ستنهار اوربا وحضارتها العريقة. متاح على الانترنت على الموقع التالي: https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2020/5/20

*فيلسوف ومؤرخ فرنسي، يعمل مدير للدراسات بالمدرسة العليا للابحاث في العلوم الاجتماعية، مركز الابحاث السياسية، ريمون آرون.

[٢] مارسيل غوشيه، مع كورونا اكتشفنا السيادة الثانية ، ترجمة سعيد بو خليط، متاح على الانترنت على الموقع التالي: https://www.alnaked-aliraqi.net/article/75569.php

الصحية عموما، هل هي الثقافة التعددية أم تلك التي تقوم على أساس الوحدة الثقافية، والصهر الثقافي في إطار الوحدة الفكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية للجميع.

ولا يعني هذا أن من ينتقد الرأسمالية اليوم، ويستدعي مقولات الماركسية بأنه ماركسي الفكر والايديولوجية، إذ لا يريد الكثير من المفكرين والفلاسفة المعاصرين ان يضعوا أنفسهم في هذه الخانة أو أن يصنفوا على أنهم شيوعيون أو ماركسيون. وهناك قطعا من يريد ان يعطي فهما آخر لماذا استدعي ماركس، والماركسية في هذه الأزمة؟. هل فقط لأنهما يمثلان الضد المغاير للفلسفة الرأسمالية وأذرعها المختلفة؟ أم أن هناك وجه أخر للمسألة؟.

وفي الواقع ان هذا الفهم ينطلق من فكرة منطقية انتشر الحديث عنها في كل العالم تقريبا، وهي انكشاف ضعف النظم الصحية في الديمقراطيات الغربية، على الرغم من احتلال الانسان مركز الاهتمام في هذه الديمقراطيات. وطرح سؤال أساسي قي هذه النقطة تحديدا عن علاقة الديمقراطية بضعف او قوة النظم الصحية والحياتية في المجتمعات الغربية، وفي المجتمعات غير الغربية التي تتبنى الأنظمة الديمقراطية؟ ؛ فما هو متعارف عليه هو تلك الفرضية التي تزعم قوة الديمقراطيات وقدرتها على النهوض بكل القطاعات بما توفره من كفاءة وشفافية ومكاشفة ومحاسبة، وبما تستند عليه من قيم تضع الانسان في مركز القدسية والأولوية.

والمفارقة هنا ليست في انكشاف عيوب النظم الصحية في الدول الغربية فقط، بل ما كان متوقعا من قبل كثير من المهتمين بأن الحزب الشيوعي في الصين الذي يتبنى الأيدولوجية الماركسية سيفشل في مواجهة الجائحة، ولكن الحزب قلب كل التوقعات، وزاد من مساحة سيطرته وتوسعه وقبضته على السلطة. ولمواجهة الأزمة استحضرت الصين العبارة المشهورة لمؤسس زعيم الحزب الشيوعي ماوتسي تونغ " الحرب الشعبية" والتي كان قد دعا اليها لتحرير الصين من الاحتلال الياباني عام ١٩٣٨م. وهذا ما دعا الرئيس الصيني " شي جين بينغ" أن حربهم مع الفايروس تنتمي الى روح ومعتقدات وايديولوجية ماو، وإن النصر الذي ستحققه الصين سيكون تأكيدا لهذا النهج، وتأكيدا للماركسية[١].

المطلب الثاني: كورونا من منظور فلسفي معاصر : الأسباب والتداعيات

الأزمة التي أحدثتها كورونا لم تكن تكن أزمة عادية، ولم تكن أيضا متوقعة، ومثلت لدى الكثيرين مفاجئة استثنائية، ويصعب التكهن بها وهي بمثابة بجعة سوداء*؛ فالمستوى المتطور من العلم، وثورة

[١] ....جائحة كورنا: كيف استغل الحزب الشيوعي الصيني الوباء، متاح على الانترنت على الموقع التالي: https://www.alhurra.com/arabic-and-international/2020/04/20/

* البجعة السوداء: نظرية البجعة السوداء هي نظرية تُشير إلى صعوبة التنبؤ بالأحداث المفاجئة. تقوم هذه النظرية على الفكرة السائدة بأن البجع كله أبيض، أما وجود البجع الأسود فهو نادر ومفاجئ، وكان ذلك قبل أن يُكتشف البجع الأسود في أستراليا الغربية الذي كان حدثا غير متوقع ومفاجئا.

*رينيه ديكارت ١٥٩٦-١٦٥٠ فيلسوف وعالم ورياضي وفيزيائ فرنسي، صاحب مبدأ الكوجيتو (انا أشك إذا أنا موجود).

المعرفة والتكنلوجيا شكلت قناعة مطلقة بأن الحكومات والأنظمة قادرة على مواجهة أية أزمة وبائية. وكان التصور السائد في الأدبيات التي تنتمي الى الفكر التنويري تزعم دائما بأن الحداثة تنوير عقلاني مستمر، وأن الاعتماد على المعرفة العلمية ستحرر الانسان من القيود وتجعل منه سيدا على نفسه، ومالكا للطبيعة بتعبير ديكارت*. وقد رسخ الفكر التنويري كثير من اليقينيات الفكرية التي كانت عبارة عن لاهوت معلمن، ومن هذه الاطلاقيات هو الشعور المتعاظم بمركزية الانسان مرتكزا على فلسفة التقدم، باعتبار ان تاريخ البشرية من وجهة النظر الفكرية التنورية هو تاريخ صعود الوعي الانساني نحو الافضل والاحسن. ولكن أزمة كورونا قد اعادت الى الواجهة المخاوف مجددا والشك وعدم اليقين؛ الذي بدأ يتسرب الى الانسان نفسه، فالإنسان المتطور أصبح عاجزا أمام هذا المرض غير المرئي[١].

فما الذي حصل؟ وكيف اعادت الجائحة الاهتمام بالفكر السياسي، ودفعت الفلاسفة والمفكرين الى البحث عن الخلل، وكيفية مواجهة الجائحة، ودور الفلسفة والفكر في هذه المواجهة الاستثنائية غير التقليدية؟

سبق ان حذر الفيلسوف (أدغار موران) * بلغة واضحة من أن البشرية تواجه فراغا في فكرها السياسي، وفقدت بذلك بوصلة مسارها البشري، وأنها لن تتمكن من السير قدماً، بل سنتهاوى إذا يقول : البشريّة أمام فراغ يشوب فكرها السياسي؛ نحن لا نُحسن اليوم تدبير معاشنا. فالسياسة اختُزلت بالاقتصاد، والاقتصاد اختُزل بجشع النيوليبرالية التي لا تُقيم وزناً لا للإنسان ولا للطبيعة. ... وأن الخطر الذي يتهدد البشرية لن يكون نوويا بل سيكون خطرا يهدد الصحة ، خطر كوني لفيروس ما". وبالتالي فهو من الأوائل الذين توقعوا كارثة وبائية عالمية تتسب فيها السياسات الخاطئة، وتدهور المحيط الذي نعيش فيه. وإن ظهور الفايروس يطرح تساؤلات منطقية عن أسباب ظهوره، ومن يتحمل مسؤولية انتشاره، هل هم البشر أم الحيوانات؟.

وكان موران من أشد المنتقدين للسياسات الأمريكية والأوربية التي جعلت البشرية تواجه مخاطر نووية وبيولوجية تهدد الحياة والبيئة معا. وتعليقا عى الجائحة يقول :" نحن في في تاريخ للبشرية حيث نتقاسم جميعنا المصير نفسه. وهو يعتقد بان الفلاسفة يمكن أن يتعاملوا مع أزمة كورونا وفق وجوه متعددة، تكشف عن عمق الأزمة الانسانية التي تعانيها البشرية، وعدم قدرتها على اكمال شروط انسانيتها بفعل الركون الى منطق الاقتصاد على حساب الاهتمام بالإنسان والمجتمع، وبالتالي أدت الى وجود أزمة للدولة الوطنية لأنها كشفت الخلل البنيوي والسلوكي عندما اعطت الأولوية لرأس المال على حساب العمل. وهي ازمة اجتماعية أيضا لأن بينت بما لا يقبل شك عن اتساع الهوة بين الاثرياء والفقراء. وعلى

[١] رفيق عبد السلام، عالم مابعد كورونا الى أين؟، مركز الدراسات الاستراتيجية والدبلوماسية، متاح على الانترنت على الموقع التالي: https://www.csds-center.com/tag

*فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي معاصر من مواليد ١٩٢١، ينتمي الى الفلسفة البنائية النفسية او هذا هو يقدم نفسه، وهو مؤلف موسوعي الف اكثر من ١٠٠ كتاب.

الفلاسفة أيضا ان يقاربوا هذه الأزمة من منظور حضاري، يأخذ بالحسبان سيادة النمط الاستهلاكي على الفكر الانساني الحضاري، مما أدى الى تسطيح الوعي البشري بالشكل الذي يمنعه من رؤية الواقع وما يعتلج فيه من ظواهر ومظاهر وتعقيدات. وهنا يقول بأن حياتنا نحن البشر كانت أبسط لو أصغينا إلى ضمائرنا بشكل جيد. ويجب أن تصحح البشرية ذلك الاعتقاد الذي يزعم بأن التنافس الحر والنمو يشكلان مخرجا اجتماعيا، وان الانسان بلغ الابدية والحتمية في التحكم في الطبيعة والسيطرة عليها بفعل الذكاء الاصطناعي.

في كتابه نهاية الانسان الصادر عام ٢٠٠٢ م يصر (فرانسيس فوكوياما)* على ان العلم والتكنلوجيا يمثلان موطن الهشاشة في الحضارة الغربية، لان كل رموز الحضارة تحولت الى اسلحة شريرة ، مثل ظهور السلاح البيولوجي، الذي يدعونا الى تحكم سياسي اكبر في استخدامات العلم[١]. وهنا تلقي هذه الاطروحة مع قناعة الفيلسوف آلان دو بوتون* الذي يقول: أن طريقة تعاملنا مع الفايروس نابعة من قناعتنا بأننا بالعلم والتكنلوجيا قد سيطرنا على الطبيعة واخضعناها لنا . لذا من المهم بأن الفلسفة تساعدنا بطريقة نظرتنا الى الكون، ومن خلالها يمكن لنا أن نعرف ذواتنا بشكل أفضل على طريقة سقراط اعرف نفسك. إن استمرار الدول المتقدمة باتباع منهج الاستثمار الرأسمالي القائمة على فكرة تحقيق اكبر قدر ممكن من الأرباح على حساب البيئة والحياة يمكن أن تنتج كوارث قد تؤدي بالنهاية الى دمار كوكبنا بالكامل. فضلا عن وجود هذه الاحتمالية كامنة في الترسانة النووية الهائلة التي تمتلكها الدول الكبرى. وهذا ما نبه له موران من أن هيمنة منطق الاستثمار له آثار كارثية على حياة البشر لا تقل أهمية عن خطر الأوبئة[٢].

وثمة منظور فلسفي آخر ينظر الى الأزمة من زاوية أخرى ترتبط بتنامي ما يعرف اليوم بـ(التيار الشعبوي)، فالأزمة لا تتمثل فقط بالفايروس والطريقة التي انتشر فيها فقط، بل تتمثل أيضا بسوء إدارة الأزمة من كثير من الحكومات الغربية - وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية -ومحاولة استغلالها سياسيا من هذا التيار الصاعد بقوة الى واجهة الفكر السياسية، والأنظمة السياسية في أهم الدول الغربية مثل الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وغيرها. وان كانت نسبة تسرب أفراد هذه التيار الى الديمقراطيات الغربية تختلف من دولة وأخرى. ولكن الخطورة تكمن في احتمالية أن تعزز هذه الأزمة من قوة هذا التيار، عن طريق فرض المزيد من القيود والعزلة على المجتمعات الأوربية، وهذا ما ينسجم مع طبيعة التوجهات الفكرية والسياسية لهذا التيار المتشدد.

وانطلاقا من هذه القناعة يؤكد فوكوياما على ان هناك علاقة قوية جدا بين القيادة الشعبوية وسوء ادارة الوباء مستشهدا بما سماه نموذجي ترامب ونظيره البرازيلي، وقال انهما يتجاهلان الخبراء ويعتقدان أن

---

[١] علي حسين، مصدر سبق ذكره، ص١٣.

*فوكوياما: عالم وفيلسوف واقتصادي سياسي امريكي، من مواليد ١٩٥٢، أشتهر باطروحاته المثير للجدل في كتابيه الانسان الاخير، ونهاية التاريخ، والذي جادل فيهما بأن انتشار الديمقراطيات الليبرالية والسوق الحرة والرأسمالية في انحاء العالم قد يشير الى نقطة النهاية للتطور الاجتماعي والثقافي والسياسي للانسان، وقد ارتبط اسمه بتيار المحافظين الجدد في الولايات المتحدة الامريكية، ويعتبر من اهم المنظرين السياسين والفكريين لهذا التيار.

*الان دو بوتون: كاتب وفيلسوف بريطاني من مواليد ١٩٦٩، ألف العديد من الكتب الادبية والفلسفية وله تاثير واضح الان بالفكر الغربي المعاصر.

[٢] فوكوياما ،.....هيبة امريكا ممكن ان تتراجع، متاح على الانترنت على الموقع التالي:https://www.aljazeera.net/news/2020/6/11

الاقتصاد أكثر اهمية من الصحة. معبرا عن مخاوفه من تدهور الممارسات الديمقراطية وتنامي ظاهرة التعصبات القومية، والانعزالية ، وكراهية الاجانب، والهجمات ضد النظام الليبرالي الدولي[1]. وهذا الصعود يزيد من احتمالات نشوب صراع عالمي، فقد يكون خلق صراع خارجي مفيدا في تشتيت الانتباه عن الاخفاقات الداخلية في مواجهة الوباء. ان الوباء يمكن ان يؤدي الى انتشار الفاشية، وأشكال متطرفة من كراهية الأجانب ومعادة الهجرة. وعلى الرغم من انتقاده لإدارة الرئيس ترامب المحسوب على تيار المحافظين، إلا أن فوكوياما يعتقد بإمكانية النظام الديمقراطي الليبرالي على الصمود على خلاف المشككين بذلك. ومع هذا يؤكد أن الفايروس يمكن ان يوجد بيئة مناسبة لتنامي التيارات الراديكالية في العالم، وكذلك الفاشية، ورواج نظرية المؤامرة في العالم. وهذا ما يراه سلافوي جيجيك بأن موجة واسعة من الفايروسات الأيديولوجية اخذت بالانتشار في العالم مثل نقل الاخبار المزيفة، ونظريات المؤامرة، والعنصرية، والطبقية بكل أشكالها، ويقول " لعل الجائحة تفيد بنشر فايروس بيولوجي آخر اكثر فائدة وهو فايروس التفكير في مجتمع بديل خارج الدولة القومية، مجتمع يحقق نفسه بأشكال التضامن والتعاون العالميين"[2].

غير إن الاعتقاد بإمكانية بذر هذه الازمة لبذور صراع عالمي محتمل قد يحتاج إلى براهين كثيرة حتى يصمد أمام قراءة موضوعية للمسرح العالمي اليوم، ومع هذه، فإن الوضع الراهن في ظل الجائحة يمكن أن يعزز حقيقة مفادها إن العالم يتغير جوهريا على مستوى القطبية، وتوازن القوى. فثمة قناعة أخذت تتسرب بأن نظام القطبية الواحدة الذي تتفرد فيه أمريكا أخذ بالتشكل لصالح نظام متعدد القطبية في ظل صعود الصين وروسيا، وتراجع الولايات المتحدة عن كثير من سياساتها لصالح تلكما القوتين العظميين. مع تبلور قناعة جديدة لدى صناع القرار الامريكي بواقعية وحتمية هذا المسار، ولابد من الاقرار به حتى وإن كان اقرارا ضمنيا يقوم على أساس إدراك قوة الخصم والتعامل معه على هذا الأساس.

واعادة الأزمة للنقاش موضوعة العولمة حيث وجه لها موران نقدا شديدا ، إذ كشفت الجائحة مكامن ضعفها وبخاصة بأنها إطار فكري يخلو من قيم الترابط والتضامن. فالعولمة ركزت على الاقتصاد وآليات السوق والتقنيات، وفشلت في التركيز على بلورة تفاهم بين الشعوب، وأظهرت الأزمة عمق المشكلة، وحدة الانغلاق والعزلة التي أبدتها كل أمة إزاء الأمم الأخرى. وعلى حد اعتقاد (اليف شافاك)* بأن كورونا أعلنت بداية النهاية للعولمة، فالتكامل الاقتصادي الذي تتباهى به أوربا وأمريكا نراه يتدمر. ومن زاوية أخرى تحذر شافاك من تنامي نزعة الاستبداد تحت مواجهة كورونا، فالكثير من الحكومات تستخدم الوباء كذريعة لفرض سلطتها، وتقليص مساحة الحريات العامة، والحريات السياسية، وهناك وعلى مختلف خارطة العالم من الدول والحكومات من يستغل الجائحة لفرض مزيد من السلطات، والقيود، على الحراك الجماهيري المطالب بالإصلاح والتغيير. وهذا ما سنتناوله في المبحث الثالث القادم.

---

[1] علي حسين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣.

[2] علي حسين، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.

**اليف شافاك: روائية تركية من مواليد ١٩٧١، ترجمت اعمالها الى ما يزيد عن ثلاثين لغة، اشتهرت بكتابتها رواية قواعد

المبحث الثالث :أثر الجائحة في مفاهيم السلطة والدولة والديمقراطية وحقوق الانسان:

المطلب الأول: أثر الجائحة في مفهومي السلطة والدولة:

إن من أكثر الظواهر التي يدور حولها الفكر السياسي هي ظاهرتي السلطة والدولة، بل يمكن القول أن جل تأملات الانسان عبر تاريخه الطويل كان حول هذين المفهومين الذين يرتبطان بحياته ارتباطا مباشر، والسلطة كظاهرة بشرية قبل ان تكون سياسية متأصلة في المجتمع البشري، ومارسها الانسان عبر مراحل حياته، والدولة هي مفهوم لاحق على مفهوم السلطة، ولكنه يتسم بالسعة والمؤسساتية والتنظيم، فهو يضم بين جنباته كل السلطات، والهيئات الأخرى. لهذا فإن أثر الأوبئة عبر التاريخ هو أثر مغير وفاعل في طبيعتهما، من حيث الشكل والمضمون، ومن حيث الدوام والزوال.

وفيما يتعلق بهذه الفقرة تنبأ كثير من الفلاسفة والباحثين المشهورين حول العالم بأنه سيكون لجائحة كورونا تأثيرات عميقة في البنية الفكرية والسياسية في العالم، فقد نشر (جاك أتالي)*، مقالا بعنوان : (ما الذي سيولد منه) ؟ أي ما الذي يمكن ان يولد من الأزمات التي اوجدتها الجائحة في العالم على مستوى السلطة السياسية. فهو يعتقد بأن هذه الأزمة يمكن ان تنتج سلطة سياسية ، وشرعية جديدة "غير مؤسسة على الإيمان أو القوة أو العقل، وإنّما على "التعاطف" في وقت الأزمة"[١].

ويحاول أتالي أن يربط بين الأوبئة والسلطة، مستشهدا بالتاريخ كدليل على صحة نظرته بحصول تغير جوهري في بنية السلطة السياسية، فهو يعتقد أن الأوبئة اجبرت أوربا القديمة بإجراء مراجعة شاملة لمكانة (رجال الدين) و (والسياسة)، وكان من نتيجة هذه المراجعة أن تشكل ما بات يعرف لاحقا بـ(جهاز الشرطة) الذي اسندت له مهمة تطبيق إجراءات الحجز الصحي والعزل المناطقي أثناء انتشار الأوبئة. وبالتالي حلت سلطة الشرطي تدريجيا محل سلطة رجال الدين الذين عجزوا عن التأثير في انتشار الطاعون بمجرد الطلب من الناس التوبة، والإيمان.

ويستعرض أتالي عملية التحول والتغير في طبيعة السلطة في المراحل التاريخية الأخرى مستندا الى ذات الحجة تأثير الأوبئة في الفكر والسياسة وفي وعي الفرد والسلطة معا، فيؤكد أن في أواخر القرن الثامن عشر، ونظرا لتطور البحوث العلمية التجريبية، تطورت مكانة الأطباء، وزاد حضورهم في السياسة

---

[١] Jacques Attali, Technology to reign supreme after the coronavirus, provided on website: https://asia.nikkei.com/Editor-s-Picks/Interview/Technology-to-reign-supreme-after-the-coronavirus-Jacques-Attali.

* منظر سياسي، وعالم اقتصاد فرنسي، والمستشار السابق للرئيس الفرنسي الرّاحل فرانسوا ميتران، منو مواليد ١٩٤٣، وأول من ترأس البنك الاوربي لاعادة البناء والتنمية ١٩٩١-١٩٩٣.

والمجتمع، لنكون امام مفهوم جديد هو (سلطة الاطباء)، بديلا عن سلطة الشرطة، ولتتكون ما بات يعرف بـ(سلطة العلم)[١].

ومن خلال هذه المنهجية التاريخية يريد أتالي أن ينتقد النظام القائم في أوروبا والذي يعتقد بأنه معرض للانهيار، فهذا النظام قائم على آليتين رئيستين (اقتصاد السوق والديمقراطية) وتقديس الفردية والربح الاقتصادي قادرا على مواجهة هذه الجائحة بشكل فعال وبالتالي يمكن أن نشهد تبدل في طبيعة السلطة ومنظومة القيم التي ترتبط بها. وستذهب السلطة الى أولئك (الأفراد والمنظمات) الذي اظهروا تعاطفاً ومساندة للناس أثناء هذه الجائحة. وهذا التبدل في مواقع السلطة وبحسب أتالي سيحدث ربما بعملية تتسم بالبطيء؛ فعملية الانتقال تجري وفق سياقات تحول الاهتمام الى القطاعات الصحية، على مستوى الاستثمار، والبرامج الحكومية، أو على مستوى تغير اهتمامات الناس الذي سيوجهونها الى قضايا ذات مساس بحياتهم، ونظامهم الصحي، بدل الهوس الذي أوجدته نزعة الاستهلاك المحموم[٢].

إن أهم ما ترتيب على هذه الجائحة هو تبلور (مفهوم الشك)، الذي انطلق من سؤال او فرضية أساسية ما الذي حققه البشر كي يوجه الأوبئة والامراض بعقلانية؟

وفي ظل الجائحة تتضاءل الاجابات، وتتعذر الحلول، مما ينتج قرارات ارتجالية متسرعة تتضاءل معها السلطات الدستورية إلى أبعد الحدود، وتتضخم مساحة السلطات التنفيذية على حساب السلطات التشريعية. لهذا فقد أوجدت الجائحة مشكلة جديدة واجهتها المجتمعات، هي مشكلة (ثنائية الضبط الاجتماعي، وحقوق الانسان) في ظل تنامي هواجس ومخاوف عند كثير من الفلاسفة والمفكرين على واقع الديمقراطية وحقوق الانسان في ظل أزمات الأوبئة حتى في تلك الدولة التي تعتبر الأكثر تمثيلا وتطبيقا للديمقراطية وما يرتبط بها من مفاهيم وآليات وقواعد عمل سلوكية. وبالتالي أصبح الجائحة تمثل خطرا محدقا على واقع الديمقراطيات في العالم، بل تمثل تحديا يفرض على المفكرين والناشطين الحقوقيين والمدنيين بذلك كل ما في وسعهم لضبط حركة السلطات التنفيذية المتنامية على حساب واقع الحريات الانسانية . لهذا نجد مفكرا بمكانة (يورغن هابرماس)* يؤكد على ضرورة الاهتمام بالحريات الفردية في زمن الجائحة، وإنها تمثلا تحديا فعليا للديمقراطية، ويدعوا الحكومات الى أن تكون اجراءاتها الاستثنائية المتعلقة بالحظر وتقييد حركة الناس مؤقتة، وليست منهج دائم ومستمر في السلوك الحكومي تجاه المواطنين، فيقول " يجب ان يظل تقييد حقوق كثيرة مهمة تتعلق بالحرية محدود جدا زمنيا. لكن هذا

---

١ NTERVIEW | Visionary Jacques Attali on A New Type of Western Society After the Pandemic, provided on website, https://japan-forward.com.

٢ محمد شوقي الزين، ما بعد كورونا او النموذج العالمي الرابع، متاحة على الانترنت على العنوان التالي: https://www.mominoun.com/articles

*فيلسوف وعالم اجتماع الماني معاصر، من مواليد ١٩٢٩، ينتمى الى مدرسة فرانكفورت النقدية الشهيرة، واشتهر في نظرية (فعل التواصل)، ويعتبر من اهم الفلاسفة المعاصرين .

الاستثناء في حد ذاته هو مطلوب، كما حاولت ان أبين، بما يفترضه الحق الأساسي في الحياة والسلامة الجسدية من حيث هو ذو أولوية"[1].

وهذا ما يراه أيضا المفكر العربي (نسيم طالب)* الذي يعتقد بضرورة أن يكون نظام الاحتواء مؤقتا حتى وإن كان أفضل وسيلة لمواجهة الوباء، فبعد الانتهاء من الوباء يجب العودة سريعا الى نظام اللامركزية، حيث يمكن للحكومات المحلية ان تتخذ قرارات ناجعة بعيدا عن بيروقراطية السلطات المركزية[2]. والاجراءات التي تتخذها السلطات فيما يتعلق بالعزل الصحي يجب أن تمارس على مستوى ضيق، فالمحلية والإقليمية تعطي حلولا أفضل في أثناء الأزمات وعندما تكون الديمقراطيات تسير بشكل سيء. وهو يدعو الى سلطة تمتلك الصلاحيات والاجراءات السريعة كما فعلت السلطات الصينية. ويقول بأن هناك دولا توقعت مثل هذه الكارثة واتخذت اجراءات مسبقة مثل سنغافورة، على عكس ألمانيا وهولندا وبعض دول أوربا التي وصف اجراءاتها في مواجهة الفايروس بأنها غبية وسمحت لنفسها بأن تتفاجأ بأحداث متوقعة. ويعتقد أيضا بأن العولمة غير المشروطة كانت جزءا من المشكلة، وهي مسؤولة عن عدد كبير من التهديدات التي تعرضت لها البشرية عبر عصورها، مذكرا بأمراض الطاعون التي اجتاحت أوربا والعالم فيما مضى. أي انه يحمل العولمة وما تقتضيه من جعل العالم مكان صغير مترابط، تنساب فيه الحركة بسهولة ويسر وسرعة فائقة، وحدود مفتوحة جانب من أزمة تفاقم انتشار الوباء.

أما الفكر الماركسي (طارق علي)** ينتقد الدولة الديمقراطية الليبرالية الغربية كان يتوجب عليها أن تتعلم من الدروس القاسية للأزمة العالمية في العام ٢٠٠٨ ولكنها بدل ذلك استمرت في مناهجها وآليات عملها لتنتج لنا هذه الكارثة الجديدة. ويقدم رؤية جديدة بدا أنها متمسك بها من خلال تعليقاته حول الفايروس بأن الحركات الجماهيرية وليست الأنظمة البرلمانية هي التي ستؤدي في النهاية الى التغيير المطلوب، وهي التي سيكون بإمكانها مواجهة الفايروسات مستقبلا سواء كانت طبيعية أو سياسية (مصنعة).

رفيق عبد السلام* يدق جرس الانذار من أن ازمة كورنا قد أستدعت منطق الدولة التدخلي ثانية، من خلال الحاجة الماسة لضرورة تدخلها في القطاع الصحي على اعتبار أن الأزمة هي صحية. ويستحضر مقولة المفكر توماس هوبز عن حتمية تخل الدولة بوصفها تمثل (القوة العلوية والقاهرة) وعلى الجميع أن يقبل بمشروعية التسليم والخضوع لهذه القوة، ففي الازمات التي يجد الإنسان فيها أن حياته في خطر حقيقي ليس أمامه من خيار سوى أن يقبل ويقر بتنازله عن جزء أساسي من حرياته الشخصية في سبيل

[1] علي حسين، مصدر سبق ذكره، ص ص٤٦٠٤٧.

[2] علي حسين، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣.

*نسيم طالب: فيسلوف عربي لبناني من مواليد ١٩٦٠ اشتهر بكتاباته الجريئة، وتأليفه عدد من الكتبية السياسية والاجتماعية والأدبية، وأشهر كتبه البجعة السوداء.

**طارق علي: روائي وصحفي وكاتب ومنتج افلام بريطاني الجنسية من أصل باكستاني ومن مواليد ١٩٤٣، وهو مسلم علماني انتقد السياسات الامريكية والاسرائيلية ومن اهم كتبه صدام الاصوليات.

غايه هو يراها (أي الإنسان) هي الأهم والأسمى من بين كل غاياته في الحياة. الخوف من الموت والمصير المجهول لطالما كان هو الدافع الأثر حضورا وتأثيرا في السلوك البشري. ويستغرب عبد السلام من تلك النقاشات التي تستوحش حضور الدولة القوي في هذه الجائحة إذ يقول: اكتشف الناس فجأة حضور الدولة مع هذه الجائحة بينما هي "مرافقة لهم من المهد الى اللحد، من شهادة الميلاد الى شهادة الوفاء، حاضرة في سن القوانين وفي منازعات الجار مع جاره، وفي الطرقات وفي المعاملات وفي كل شيء"[١]. وهو يرفع الغطاء بقوله هذا عن ذلك الوهم الذي يتوهمه الفرد ربما في الديمقراطيات بأن الدولة اختفت وتحولت فقط الى هياكل غير مرئية، بينما أن الحقيقة تقول غير ذلك، وحتى الانسان في قرارة ذاته- ومهما كانت ثقافته السياسية أو قناعاته الليبرالية- يقر في اعماقه بأهمية الدور الذي تؤديه الدولة بصفتها الوظيفية من توفير الامن والحماية والخدمات، وقبل ذلك ما تمثله من رمزية سياسية على مستوى السيادة والكرامة الوطنية، أو على مستوى الاذعان والقبول الذي يظهره الفرد تجاهها في كل الأحوال.

وبقول مع كثيرين بأننا سنشهد مزيدا من التوجه نحو المركزية والدولنة. ومن المؤكد بأننا أيضا سنشاهد عودة الدولة (السلطات والصلاحيات والقوة الشرعية) الى مساحات مهمة كانت قد انسحبت منها لصالح الشركات الخاصة المستفيدة من الاجواء التي أوجدتها النيوليبرالية. ويضيف أن عودة الدولة الى ما يجب ان تكون حاضرة فيه ليس بالأمر الجديد ولا بالبدعة السياسية، فلطالما كان للدولة حضورها الضروري والفاعل في اوقات الازمات، ونتذكر جيدا كيف تدخلت الدولة بقوة في الأزمة العالمية التي ضربت العالم في العام ٢٠٠٨، وذلك بضخها الاموال وفرض القيود على البنوك، وهذا بطبيعة الحال يتناقض مع جوهر السياسات النيوليبرالية القائمة على أساس حرية الأسواق وفق آلياتها الذاتية. ومع هذا فالدولة والسلطة ليستا خيرتين بل هما شريرتين بطبعهما، ويميلان دائما الى التمدد والاستحواذ، ما لم يجدا قوة كابحة ورادعة لهما، وإن لم يجدا هذه القوة فإنهما ينزعان الى الفساد على غرار تلك المقولة السياسة الخالدة (ان السلطة مفسدة، والسلطة المطلقة مفسدة مطلقة) أو كما قال مفكرنا العربي الاجتماعي ابن خلدون (أن الملك يميل الى الانفراد). ولحاجة تدخل الدولة سيكون من الصعب المحاججة كما فعل الرئيس الامريكي رونالد ريغان في خطابه الافتتاحي الاول " بأن الحكومة ليست حلا لمشكلتنا، الحكومة هي المشكلة"[٢].

[١] رفيق عبد السلام، مصدر سبق ذكره.

*سياسي تونسي وعضو حزب النهضة من مواليد ١٩٦٧، شغل منصب وزير الخارجية في حكومة حمادي الجبالي.

[٢] رفيق عبد السلام، المصدر السابق.

المطلب الثاني: أثر كورونا في مفهومي الديمقراطية وحقوق الانسان:

في الدول الديمقراطية هناك مسألة أساسية في قياس مدى تمثلها لجوهر الفكر الديمقراطي، ومديات تطبيق الفكرة الديمقراطية من الناحية الواقعية، وليس الناحية النظرية المثالية المجردة، فالعبرة بالتطبيق، ولا قيمة لفلسفة وفكر ونظرية سياسية مالم تتحول الى واقع فعلي في سياق عمل مؤسساتي مجرد، متحرر من هيمنة السلطة والمزاج والانفعال الانساني. وقد نجحت الدول الغربية في تطبيق الديمقراطية في الشكل الذي حقق انسجاما واتساقا بين فلسفتها وآلياتها ومظاهر تطبيقها[١].

بلا شك إن المعادلة أعلاه ظلت حقيقة ماثلة، ومثالا يحتذى به، وموضوعا كبيرا لمختلف الدراسات والبحوث في كل العالم، بل أصحبت التجربة الديمقراطية الليبرالية في الغرب تجربة ملهمة لكثير من الشعوب الطامحة الى التقدم الذي لايمكن ان ينجز إلا بتحررها من قبضة السياسيات المتخلفة، ومن سطوة الانظمة المستبدة.

ولكن هذه الصورة النمطية عن الديمقراطية وانظمتها السياسية سرعان ما اهتزت ولو قليلا في ظل ارتباك الحكومات الديمقراطية الكبير في مواجهة الجائحة الذي اعتبره كثير من المفكرين والمهتمين نوع من فشل الانظمة الديمقراطية، أو تراجعا خطيرا في مكانتها باعتبارها أفضل الأنظمة السياسية في العالم، أو كما روج لها فوكاياما في طروحاته النظرية المثيرة للجدل بأنها (النظام السياسي الأخير الذي يمكن للعقل الانساني انتاجه أو أن يتوصل إليه). وكانت هذه الدولالديمقراطية تعتقد (بأن الوباء يليق فقط بافريقيا ولكن ليس بأوربا الديمقراطية).

إن تدخل الدولة بقوة في مجالات لم تكن تتدخل فيها قد أثار جدلا واسعا عن التهديد الكامن في هذه التدخلات الحكومية السلطوية للديمقراطية وحقوق الانسان في ظل حالة الطوارئ والغلق والحظر والعزل المناطقي. لقد لجأت أكثر حكومات الدول في العالم الى اتباع سياسات صارمة واجراءات شاملة ومشددة لم تعهد الديمقراطيات مثلها من قبل، مثل ايقاف عجلة الاقتصاد، غلق المطارات بالكامل ، فرض حظر للتجول شامل وجزئي احيانا، وكأن العالم يعيش حالة حرب، بل طبيعة هذه الازمة الطارئة قد تجاوزت المفهوم التقليدي لحالات الطوارئ في أوقات الحروب والكوارث الطبيعة، وخلقت مفهوما جديدا عن نوع من الحروب البيولوجية مع عدو خفي غير مرئي تعجز الدول عن مواجهته رغم ترسانتها الهائلة من الاسلحة النووية والبيولوجية. هذه الحالة الطارئة والاستثنائية قد أثارت مخاوف الديمقراطيين من أن تتمدد السلطة على حساب الديمقراطية وحقوق الانسان، وبخاصة أن هناك دول كثيرة سجلت عليها ملاحظات لفشلها في حماية حقوق الانسان في اثناء تطبيقها للحظر واجراءات السلامة الأخرى. فكثير من الدول انتهكت فعلا المواثيق الدولية لحقوق الانسان بحجة المحافظة على الحياة ومنع انتشار الفايروس. فضلا عن قيام رؤساء دول وحكومات للترويج لأفكار مثل(مناعة القطيع) أو (ضحايا الحروب) التي ولدت حالة استهجان

[١] ينظر: محمد عابد الجابري، الديمقراطية وحقوق الانسان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٦.

وتنديد من قبل المنظمات المهتمة بحقوق الانسان والحريات الديمقراطية في مختلف دول العالم. فالإهمال الكبير الذي تعاملت به السلطات الصحية في دول مثل بريطانيا والولايات المتحدة مع شريحة كبار السن كان خرقا أكيدا لحقوق الانسان ووضع التجربة الديمقراطية في هاتين الدولتين وغيرها على المحط وطرح سؤال أساسي عن حقيقة الديمقراطية وحقوق الانسان في هذه الدول. ومنظر ممرات المستشفيات المليئة بالمرضى من كبار السن قد صدع أسطورة الانسان الأخير، وقدسية الفرد الغربي، وتطور المؤسسات الصحية، فالأزمة إذا جاز الوصف قد أسقطت (ورقة التوت عن عورة الديمقراطيات الغربية)، وأظهرت عيوب لم تكن منظورة من قبل.

لهذا فإن الفيلسوف (بول أوستر)* حذر من أن الديمقراطيات بما فيها الديمقراطية الامريكية يمكن أن تنهار وتتحول بشكل مطلق الى دولة استبدادية، ويجب على الأمريكيين أن لا يسمحوا لذلك بأن يحصل[١]. وأوضح الفيلسوف (ميشيل انفري) أن الفايروس اظهر للعالم أن أوربا التي كانت قوة اقتصادية عالمية في طريقها لتلتحق بالإمبراطوريات الكبرى التي سطعت بفعل عجزها عن مواجهة التغيرات الكبرى في العالم. وواحدة من أسباب انهيار الحضارة الأوربية هو السياسات الليبرالية التي تبرر وضع كبار السن في ممرات المستشفيات وتركهم يلفظون أنفاسهم الاخيرة، مثلما ترك الفرق الطبية في مواجهة الموت من غير تزويدهم بما يحتاجه من عدد ومستلزمات طبية[٢].

ومن جانب آخر يرى فوكوياما بأن عواقب الأزمة السياسية ستكون كبيرة، وانها ستتسبب بفقدان هائل للوظائف، وكساد اقتصادي ممتد، وديون غير مسبوقة، وهذا ما يمكن ان يخلق توترات وبيئة خصبة تقود الى صدامات سياسية. وكذلك يمكن ان تزيد الأزمة من عمق الفجوة بين الفقراء والاغنياء في العالم. لكنه يعود فيؤكد مثلما تجاوزت أوربا لآثار الكساد الكبير عام ١٩٢٩ متجنبة توليد الفاشية فإنها أسهمت في ضخ دماء جديدة في عرق الديمقراطية الليبرالية، وسيتجاوز العالم الغربي آثار هذه الجائحة، بل يمكن ان تكون هذه الأزمة هي الصدمة الضرورية التي يمكن ان تخرج الأنظمة السياسية من تصلبها البنيوي وخلق اصلاحات ضرورية.

تمثل حقوق الانسان هم دائم، وقلق مستمر عند المفكرين والفلاسفة والنخبة المثقفة المدافعة عن حقوق الانسان خشية أن تثلم الانجازات العالمية الكبرى في هذا المجال، فالحق في الحياة أصبح مهددا بفعل تعذر ايجاد علاج ولقاح لهذا المرض، استمرار فرض حظر شامل وتام على الناس لمدد طويلة. من هنا يستشرف كثيرون بأن الديمقراطية وحقوق الانسان مهددتان في أفضل الديمقراطيات في العالم. وفي ذلك يقول (اداوارد سنودن)* " أنه بينما ينتشر الاستبداد مع فرض قوانين الطوارئ، وبينما نضحي بحقوقنا

[١] علي حسين ، مصدر سبق ذكره، ١٤٥،

*بول اوستر:

[٢] علي حسين، المصدر السابق، ص ١٦٥.

*خبير امريكي مشهور في امن المعلومات.

لإنقاذ انفسنا من الفيروس، فإننا نضحي أيضا بقدرتنا على ايقاف الانزلاق الى عالم أقل ليبرالية، وأقل حرية، الدول ستعمل على تطوير بنية القمع في عصر ما بعد كورونا"[1].

ويقول السموني ان هذا الفايروس قد سمح للحكومات من الاجهاز على مبادئ الديمقراطية وحقوق الانسان، فالحزب الشيوعي الصيني على سبيل المثال فرض تحكمه بقوة على السكان، فرض حظر تجوال شديد جدا، وبخاصة على مدينة ووهان بؤرة الفايروس ومنطلقه الاول الى كل العالم، ومنع الاعلام من تغطية الاحداث هناك الى درجة طرد فيها مراسلي واشنطن بوست ونيويورك تايمز الأمريكيتين. وكذلك منع التجمعات العامة، تقييد حرية التنقل، تشكيل اللجان السرية[2]. وفي العراق ولبنان والجزائر منعت السلطات اقامة اي تجمعات او تظاهرات تحت عنوان (انتشار الوباء) . وفي فرنسا تم أيضا انتقاد سياسة الحكومة في التكتم، وتقييد حرية تدفق المعلومات، كما أدينت أيضا اجراءات دفن الموتى في أكثرية دول العالم حيث أنها لم تكن تتناسب مع حق الانسان في الحياة والممات، وحرم الأهالي من دفن مواتهم كما في الولايات المتحدة وايطاليا والعراق وغيرها من الدول.

وأدت أيضا الى تأجيل الانتخابات في معظم الدول وهذا ما له من تأثير سلبي جدا على الممارسة الديمقراطية. واوقف الاتحاد الاوربي كل مناقشاته البرلمانية مستبقياً فقط تلك المتعلقة بمناقشة كورونا. وزادت الحكومات من اجراءاتها الرقابية فعلى سبيل المثال لا الحصر الحكومة الاسرائيلية سمحت لجاهز الامن الوطني " الشين بين" المختص بمكافحة الارهاب او التركيز عليها، بجمع البيانات عن المواطنين تحت ذريعة ماكفحة كورونا. وفي العراق أعطت الحكومة الأذن للقوات الامنية في الجيش والشرطة بمختلف صنوفهما بتطبيف حظر التجوال الشامل أو الجزئي بطريقة لا تتناسب مع معايير حقوق الانسان، حيث أن كثير من المؤسسات الامنية لا تستطيع التميز بين (مفهومي حظر التجوال الأمني، وحظر التجوال الصحي) فكان التركيز على الحركة بشكل متعسف في بعض الاجراءات مع تقليل أهمية تطبيق إجراءات الحظر الصحي(التباعد، لبس الكمامات، منع التجمعات، وغيرها). ويبدو أن هذا الحال لا يختلف كثيرا عن العراق في دول كثيرة كمصر وايران والهند وغيرها من الدول التي يتعذر ذكرها جميعا هنا. ان توظيف قانون الطوارئ في هذه المواجهة يتنافى أيضا مع الفهم الموضوعي لقانون الطوارئ ويترافق معه من ممارسات وسلوكيات، فهذا القانون شرع في أكثر دول العالم للتركيز على مواجهة خطر الارهاب، أو مهددات السلم المجتمعي والامن القومي. لذا كان هناك امتعاض من قبل المواطنين من هذه الممارسات التي اعتبرها تعارضا صارخا مع لائحة حقوق الانسان والحريات الديمقراطية الأساسية.

[1] نقلا عن د.خالد الشرقاوي السموني، أزمة الديمقراطية وحقوق الانسان في زمن كورونا، جريدة الجزيرة، العدد ١٧٤٠٩ ، الجمعة/ السبت ٢١/٢٠ شوال متاحة على الانترنت على الرابط التالي:

https://www.al-jazirah.com/2020/20200612/ca2.htm

[2] المصدر نفسه.

وفي المجر أستغل رئيس الوزراء فيكتور أوربان أزمة الوباء لتفكيك النظام الديمقراطي في البلاد، وذلك بفرض حالة الطوارئ، وتعليق الانتخابات، ومنع الحكومة سلطات تقديرية واسعة خلافا للدستور والقوانين النافذة، ومنح بموجب قانون الطوارئ سلطات مكنته من سجن كل شخص ينشر معلومات عن كورونا تتعارض مع توجهات الحكومة لمدة خمس سنوات، متجاوزا ومتعديات صلاحيات السلطة التشريعية[١]. كما عُدَ فرض الحكومات للرقابة الرقمية الصارمة انتهاكا لخصوصية الانسان الذي ضمنتها مقررات معاهدات ومواثيق حقوق الانسان، حيث دأبت كثير من الحكومات على توظيف تكنلوجيا المعلومات لتعقب الاشخاص بحجة مكافحة انتشار الوباء. مع ان هناك من بخلاف هذا الرأي ويعتقد بأن من حق الحكومات الحصول على اية معلومات طالما تصب في جهود مكافحة الوباء.

[١] ....، ازمة كورنا محور معركة بين رئيس الوزراء والمعارضة، متاحة على الانترنت على الموقع التالي: https://www.france24.com/ar/20200424

المبحث الرابع: جائحة كورونا واعادة تشكيل القيم الاجتماعية:

المطلب الاول: التغير والتبدل في القيم الاجتماعية:

كيف تتبدل القيم؟ وهل فعلا يمكن ان يحدث ذلك ؟ سؤال أساسي طرح في جائحة كورنا بعد الصرخة الكبيرة والمدوية التي انطلقت من أوربا قبل غيرها، هذه الصرخة هي أشبه بتساؤل عن معنى التضامن الانساني في ظل الأنظمة السياسية والاجتماعية الفردية. لقد أدرك الناس فعلا الحاجة الى هذا التضامن بعد أن كشف الجائحة غياب هذه القيمة من مجتمعاتهم بفعل الفردية المطلقة، والانغلاق والعزلة التي يعيشها الفرد، وهو ينهمك كل يوم في عمله وحياته الخاصة، بعيدا عن كل ماله علاقة بالقيم الجماعية، التي ترسخها الفلسفات والاديان التي تقوم على فكرة القيم الجماعية.

لهذا وغيره نجد ان فيلسوفا مثل (نعوم تشومسكي)* قد صب جام غضبه على النيوليبرالية التي يصفها بالنفعية والمتوحشة والتي تتحكم باقتصاد العالم من خلال فلسفة العرض والطلب، ويرى ان لا خيار امام الانسانية سوى الخروج من (الطاعون الليبرالي) وأن ازمة كورونا هي جزء واحد من كابوس رهيب يواجه العالم، وإنن لم يشرع البشر جميعا في أن يتضامنوا فيما بينهم لتحقيق عالم أفضل بكثير من العالم الذي يعيشون فيه فإنهم حتما سيواجهون عيوب النظام الاقتصادي والاجتماعي العالمي كله. ويرى بأن الدولة القومية فقدت قدرتها على الفعل السياسي، ونوع من رد الفعل الدفاعي الحدسي في مواجهة التحدي السياسي الحقيقي"[١].

والفايروس علامة تحذير ودرس يدفعنا الى التفكير بجذور الازمات وليس مظاهرها. ويبدي قلقه من العزلة التي يعيشها العالم بسبب الفايروس لأنها ستؤثر في خلق حركة اجتماعية نشطة يتطلبها موقف المواجهة، ويمكنان نستعيض بالتواصل الاجتماعي لخلق التضامن العالمي المطلوب. ويبدي ثقته بقدرة البشرية على ايجاد وسائل للاستمرار وتجاوز الازمة ويكفي في سبيل ذلك امتلاك الارادة والعزم والتصميم. ويرى بان الفلسفة يمكن أن تكون رأس الحربة في جهود الاصلاح. فمن من المحتمل ان يفرض الوباء علينا (طب الكوارث) لعدم قدرة المستشفيات على استيعاب المرضى. وينطلق تشومسكي في رؤيته هذه من نظريته في الاخلاق ودفاعه عن مستقبل الطبيعة الانسانية في وجه صرعات التدجين. حيث يعتقد أن مواجهة كورونا تتطلب منا اولا تحرير كل الطاقات البشرية وعدم حصرها في دائرة الخبراء[٢]. أما الفيلسوف (الان تورين)* بأن أزمة كورونا ستوجد مفهوم جديد هو (مجتمع الخدمات). فحجم الاخفاق بين بنا لاشك فيه غياب هذا المعنى الاجتماعي في المجتمعات الغربية وانظمتها الحياتية والصحية.

---

[١] علي حسين، مصدر سبق ذكره، ص ٥٥.

نعوم تشومسكي، عالم لسانيات وفيلسوف ومؤرخ وناقد امريكي، وهو ناقد كبير للسياسة الامريكية، من مواليد ١٩٢٨،

[٢] علي حسين، المصدر السابق، ص ص٥٢-٥٣.

*الان تورين، عالم اجتماع فرنسي معاصر من مواليد ١٩٢٥، كتب بالسيسيولوجية الثورية، وانتقد بكتاباته مفهوم الحداثة.

*جوديث بتلر، فيلسوفة امريكية معاصرة من مواليد ١٩٥٦، لها اسهامات في الفلسفة النسوية، والادب، والخيال الفلسفي المعاصر.

والمفكرة والكاتبة (جوديث بتلر)* ترى بأن الفايروس قد اعادة طرح مفهوم المساواة في المجتمع، فبعد الخلل الكبير الذي احدثته الرأسمالية واقتصاد السوق جاء هذا الفايروس ليصيغ مفهوما جديدا للمساواة في المخاطر وفي فرص الموت والحياة. فهو يعاملنا جميعا نحن البشر على قدم المساواة. وفي جانب آخر تنتقد سياسات الرئيس الامريكي الخالية من المضامين الأخلاقية والذي فضل الاقتصاد على الصحة. وهي تعتقد بأن ترامب يستغل الفايروس سياسيا من أجل تحقيق مكاسب سياسية، سواء بالعمل على ايجاد علاج أو لقاح للفايروس، منتقدة بشدة اطروحته بأن السوق هو الذي يجب ان يقرر كيفية تطوير اللقاح وتوزيعه، وتتساءل هل " هل يصح لنا أن نفترض أننا نعيش وفقا لمعايير هذا العالم المتخيل؟ . وتنتقد في الوقت ذاته ذلك الشعور التميزي الذي تروج له أوربا بأن (حياة الأوربيين فوق جميع حياة البشر). وتحمل بتلر الرأسمالية مسؤولية خلق هذا التفاوت بين البشر، فالفايروس لا يميز، ولكننا نحن من نقوم بتحريكه خدمة للقوى اليمينية المتطرفة ولكراهية الأجانب. لهذا فهي تدعو الى احياء القوانين الاشتراكية التي تحمي الضعفاء، والدعوة الى احياء الحركات الاجتماعية لتقف بوجه الرأسمالية (المتوحشة)[١].

وعلى الجانب الآخر من الكرة الارضية في الشرق تنتقد (ارونداتي روي)* السياسات المتطرفة التي اتخذتها حكومتها الهندية لمواجهة الفايروس، وفي الوقت الذي توجب عليها التفرع لمثل هذه المواجهة غير التقليدية، راحت تقمع مئات الالاف من المسلمين وذلك احتجاجا على قانون المواطنة التميزي ضدهم. وترى ان الفايروس ولد خوفا نفسيا شديدا عند الناس. ومع هذا فإن الأوبئة عبر التاريخ أجبرت الناس على الانفصال عن الماضي والتفكير بالمستقبل بطريقة أو أخرى للخلاص، وهي بوابة لعالم آخر. وانتقدت بشدة عمليات الاغلاق التام من غير ان تفكر الحكومة بمئات الملايين من الفقراء. والحكومة عززت من اجراءاتها الطبقية والتميزية في ظل الفايروس، وعززت أيضا ثقافة الهندوس التميزية ضد المسلمين الى درجة أن أخذ التجار الهندوس يطلقون اسم كورونا على أي مسلم يدخل الى السوق[٢].

وطارق علي يقارب الأزمة من منظور اخلاقي بيئي، اذ يعتقد بأن الملوثات البيئة هي واحدة من الأسباب الأساسية في انتشار الفايروس. ولفت الى أهمية ان يكون الحفاظ على بيئة نظيفة ومستدامة هو قيمة عليا في حياة الشعوب والدول، ولا يجب العودة مجددا الى الاستثمار في الصناعات الملوثة في البيئة.

---

[١] Judith Butler and COVID-19: Capitalism Has its Limits provided on website: https://biopolitica.flinders.edu.au/news/

اورنداتي روي: ناشطة هندية وكاتبة سياسية من مواليد ١٩٦١، فازت بجائزة بوكر لرواية العالمية عام ١٩٩٧ عن روايتها إله الأشياء الصغيرة. وهي مشهوره بدفاعها عن العدالة الاجتماعية والاقتصادية. *

[٢] اورنداتي روي، لاشيء يمكن ان يعود الى طبيعته بعد الان، متاح على الانترنت على الموقع التالي: https://www.independentarabia.com/node

وانتقد أيضا الطريقة التي تعاملت بها الولايات المتحدة مع مرضى كورونا، مشبها إياها بذات الطريقة التي تم التعامل بها مع الأمريكي من أصول أفريقية جورج فلويد عندما صرخ " لا استطيع التنفس"[١].

والفيلسوف (أورهان باموق)* يدعو الى أهمية ان تكون الشجاعة من القيم الاساسية في حياتنا، وأن لا ندع الخوف يسيطر علينا، وطالما نحن خائفون ستستمر إجراءات الحجر الصحي، ويعتقد بأن الأوبئة تثير حفيظة الناس وتقوي (النزعات القومية) في دواخلهم. ويكشف الوباء لنا بكل وضوح هشاشة وجودنا الانساني، فالخوف والموت يعززان رغبتنا في الانعزال، لكن بالمقابل الشعور بأننا جميعا نواجه المصير ذاته هو ما ينتشلنا من هذه العزلة، وبولد تضامنا جديدا من نوع آخر[٢]. وهذا ما يتفق معه موران الذي يدعو ايضا الى بلورة مفهوم حقيقي (للشجاعة) يتضمن المحافظة على سلامة العقل الانساني، وضرورة التمسك بالقيم الانسانية الاجتماعية بوصفها معايير عليا تحكم سلوكنا تجاه بعضنا البعض وتجاه البيئة. ويجب مقاومة التيارات النفعية السائدة التي يغلب عليها نمط الليبرالية المعولمة الباحثة عن الربح بصرف النظر عن تداعياته النفسية والاجتماعية على الانسان.

ومن منظور معرفي قيمي تقارب (اليف شافاك) الأزمة ، وتدعو الى أهمية بناء مجتمع المعرفة والتواصل مع بعضنا البعض، وتقول " إننا بحاجة اليوم الى بناء عالم أفضل بعد الوباء، وتؤكد ...أن ما نحتاجه اليوم المزيد من المعرفة والمزيد من الحكمة"[٣]. وان العالم لن يعود كما كان مقبل، نحن في مفترق طرق حسب تعبيرها، والامر متروك لنا في الاختيارات التي سنتخذها: سواء أكانت تجعل القوى الظلامية والعزلة، والخطاب الشعبوي هو السائد، أو أننا سنتعلم من هذه الأزمة أن نصبح اكثر عطفا وأكثر انتباها في السعي لتحقيق المساواة ومساعدة الاخرين[٤].

لقد حركت الأزمة الراهنة من الناحية الفعلية المياه الفكرية الراكدة في الحياة الغربية التي ظنت أن لاشي افضل مما توصلت اليها، هذا الحراك دفع المفكرين والفلاسفة الى اعادة قراءة كل جزئية في حياتهم من السياسية الى الاقتصاد الى الاجتماع الى منظومة القيم الاجتماعية، وحاجة الانسان اليها التي اكتشفها فجأة في ظل شعوره بالخوف والخطر والعزلة. ولفهم كيف تتبدل القيم، لابد من مقاربتها من منظور اجتماعي واقعي.

[١] طارق علي، كورونا والبحث عن الاوهام الضائعة، متاح على الانترنت على الموقع التالي: https://www.rawafidpost.com/archives/9756

[٢] علي حسين ، مصدر سبق ذكره، ص ص ١٢٤-١٢٥.

*أورهان باموق: كاتب وروائي تركي، من مواليد ١٩٥٢، وهو التركي الوحيد الحاصل على جائزة نوبل في الادب.

العشق الأربعون.

[٣] علي حسين، المصدر السابق، ص ١٥٩.

[٤] المصدر نفسه، ص ١٦٣.

المطلب الثاني: كورنا والقيم الاجتماعية:

لقد أسهمت هذه الأزمة بإعادة قراءة موضوعة القيم، لأهميتها في جهود مكافحة الوباء، ودورها في تعزيز موضوع التضامن الاجتماعي الانساني بقوة، وانطلاقا من هذه الاهمية يمكن قراءة هذه الفقرة من المقاربات التالية:

أولا: العودة الى الدين

من الطبيعي في الأزمات وكما اعتاد البشر أن يعود الى معتقداته الدينية للاعتصام حولها، أو لتمنحه تفسير لما يتعذر عليه ادراكه، فالإنسان دائما بحاجة الى الركون الى القوة الالهية. ولكن هذه العودة قد تحمل في مضامينها مخاطر في ظل غياب وعي ديني مستنير بحقيقة الدين والعلم؛ فالوعي الديني الناقص أو المزيف يؤدي الى كوارث عديدة ومنها مخاطر صحية على حياة البشر. وتتجسد هذه الكوارث بعدم الالتزام بالتعليمات- تفسير الوباء بأنه عقوبة من الله تعالى- اللجوء الى السحرة والعرافين والعطارين مما يشكل خطرا فعليا على حياة الناس.

ووجد اتباع الديانات السماوية الجائحة فرصة لتوجيه نقدهم الشديد الى قيم الرأسمالية والليبرالية، وقيم ما بعد الحداثة. فالحداثة من وجهة نظر باحثيهم جسدت اللحظة الفاصلة بين سلطة الدين على القيم، وسلطة العقل الذي أصبح مصدرا لها، أما ما بعد الحداثة فهي عنوان التنكر لكل مظاهر القيم والدعوة إلى الخروج عن الأخلاق بالكلية حسب الفيلسوف طه عبد الرحمن[1]*. يتضح هذا النزوع اللا قيمي عند مفكري وفلاسفة ما بعد الحداثة وعلى رأسهم الفيلسوف (فريدريك نيتشيه)* الذي بشر "بالإنسان الفائق، وموت الإله".

وعليه فإن الأزمة هي مناسبة لإثبات صحة القيم الدينية وما يرتبط بها من قيم اجتماعية، ويجب استغلال هذه النزوع الانساني للمعتقدات الدينية لتعزيز مكانة الدين في الحياة مجددا في كل العالم وبخاصة الدول الغربية.

ثانيا: البعد الاخلاقي في الجائحة

طرحت الأزمة السؤال القديم الجديد عن علاقة الاخلاق بالسياسة، وعلاقتها بكل مفاصل الحياة، فبعد أن نجحت العلمانية بعزل السياسة تماما عن المنظومة الاخلاقية، وأسست لقطيعة معرفية

[1] طه عبد الرحمن، روح الحداثة– المدخل الى تاسيس الحداثة الاسلامية، ط١، المركزالثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٦، ص ص ١٥-١٦.

*طه عبد الرحمن: فيلسوف مغربي ومفكر اسلامي من مواليد ١٩٤٤، متخصص في فلسفة اللغة والمنطق والاخلاق.

* فردريك نيتشة: فيلسوف الماني، وناقد وشاعر ومؤلف موسيقي، ١٨٤٤-١٩٠٠، كان له تأثير عميق على الفلسفة الغربية وتاريخ الفكر الحديث، وظفت افكاره فيما بعد من قبل النازية والفاشية، وصاحب الفكرة الشهيرة (موت الإله).

وفلسفية وواقعية معها[1]، وجدت نفسها فجأة بفعل تداعيات الجائحة الاخلاقية في موضوع التساؤل عن حقيقية السياسات الممارسة، ومبررات الخطب السياسية لزعماء الدول الغربية العلمانية الكبرى. فكيف تبرر مثلا دعوة رئيس الوزراء البريطاني الى مناعة القطيع*، ودعوة الرئيس الامريكي الى عدم فرض حظر التجوال لأهمية عدم توقف عجلة الاقتصاد الأمريكي. ويبدو هذه الجائحة عرت زيف الممارسات الغربية التي جعلت الإنسان مجرد كائن يلهث لإشباع رغباته ونزواته كما صورها له أصحاب النظريات المادية، والمذاهب العقلانية تحت ضغط الطوفان الإعلامي الجارف. وقد اعيد النقاش فعلا حول مرجعية وماهية وغايات القيم باعتبارها محددات اخلاقية للوجود والحياة والسلوك الإنساني. ولهذا دعا كثير من الفلاسفة الى ضرورة مراجعة علاقة الاخلاق بالسياسة مجددا.

ثالثا: قيمة المساواة في الانظمة الديمقراطية

ويرى المفكر (امارتيا صن)* بأننا في مواجهة الوباء فإننا لا نحتاج الى نظرية فلسفية محددة، فكل ما نحتاج اليه هو الانخراط في تفكير موضوعي في الخيارات الاكثر عدالة للمجتمع[2]. ووضع يأخذ بنظر الاعتبار إعادة تعريف مفهوم المساواة بعد انكشاف الفروقات الكبيرة في التعامل مع البشر، واستمرا العنصرية المقنعة بشكل او بآخر لهذا نجده يقول بأن العالم قبل فايروس كورونا كان مليئا بالمشاكل، مثل عدم المساواة؛ ففي الولايات المتحدة على سبيل المثال التي هي أغنى دولة في العالم يفتقد الملايين الى الخدمات الطبية، فيما أدى التقشف غير المحسوب من قبل الاتحاد الاوربي الى اضعاف قدرة الاتحاد الاوربي على تقديم الدعم العام للضعفاء. ويطرح امارتيا سن سؤالا جوهريا : هل من الممكن أن تساعد التجربة المشتركة للوباء في التخفيف من هذه المشاكل؟ يرى صن بان الدروس المستفادة من أزمة كورونا تعتمد بالتأكيد على كيفية التعامل معها ، وما هي المخاوف التي تظهر على السطح؟ ويرى أن السود يموتون بمعدلات اكبر من البيض في الولايات المتحدة؟ وكذلك الحال في الهند بسيادة عدم المساواة، وبدل الاستفادة من الازمة بان تعمل على تقليل عدم المساواة، لكنها بدلا من ذلك لجات الى السيطرة الكاملة والاغلاق الكامل مع اهتمام قليل بطبقة العمال.

---

[1] ينظر: محمد علي البار، العلمانية جذورها وأصولها، دار القليم، دمشق ، ٢٠٠٩، ص ص، ٣٤-٣٦.

*مناعة القطيع ببساطة هي ممارسة الحياة بشكل طبيعي، بحيث يصاب معظم افراد المجتمع بالفايروس، وبالتالي يمكن لاجهزتهم المناعية ان تتعرف على الفايروس، وتكتسب اجسامهم مناعة ضد اي نوع من الفايروسات المستجدة كـ covid-19، ولكن الاطباء يخشون من عدم اكتساب الناس لهذه المناعة وبالتالي تعرضهم هذه الاستراتيجية للخطر.

*امارتيا صن، فيلسوف هندي معاصر صاحب نظرية العدالة، وناشط في هذا المجال، وحائز على جائزة نوبل

[2] علي حسين، مصدر سبق ذكره، ص ص ٣٦-٣٧.

رابعا تراجع قيم الفردانية المطلقة وصعود قيم الجماعية

تأسست الفلسفة الليبرالية، والديمقراطية في العالم الغربي على فكرة (الفردية)[1] وقدسية الفرد في الحياة، فالفرد هو مركز الكون وليس الله، وعلى الرغم من تشديد الأهمية على هذه الفردانية إلا أن هذا المنهج أدى فيما ادى إليه الى تهميش قيم الجماعية، وما يرتبط بها من سلوكيات. لهذا فإن أزمة كورونا قد اعادت الاعتبار لقيم التضامن الانساني المبني على أساس فطرية الاجتماع الانساني، والتعاون في اطار الجماعة الواحدة، او تعاون الجماعة مع الجماعات الأخرى. وتركزت اهتمامات المفكرين والفلاسفة على الموضوع على مستويين: الداخل ضمن اطار الدولة الواحدة، او المجتمع الواحد، او على المستوى الدولي، فعلى الرغم من ان الجائحة قد أدت الى عزلة مؤقتة بين مختلف دولة العالم ، إلا ان هم المصير الواحد المشترك دفع الدول والحكومات الى التفكير ببلورة مفهوم التضامن الانساني الدولي، بما فيه موضوعة الامن العالمي، والامن الصحي والبيئي العالمي.

خامساً: عودة الاعتبار للعلاقة بين الدولة والمجتمع وتعزيز مكانة المؤسسات الوسيطة (المجتمع المدني)

الدولة دائما وفي مختلف أنظمتها السياسية تضع نفسها بمقابل المجتمع، ومؤسساته المدنية، ويندر أن تسعى السلطة الى تجسير الهوة بصدق مع المجتمع، فإنها أينما ما وجدت فرصة للاستقواء ستستقوي، أو ثغرة للنفاذ ستنفذ. لهذا فإن الفكر التنويري سعى الى ترسيخ الحريات العامة والحريات السياسية في المجتمع، حتى يتمكن الأخير من ممارسة أدوار مختلفة: تقييد السلطة ومراقبتها، تمثيل الجمهور والتعبير عن مطالبهم، وشغل ذلك الفضاء الكبير بين الحكومة والمواطن، صحيح أن الحكومة هي في الغالب ممثلة عن الجماهير، ولكنها سرعان ما تتنصل، او تتخلى عن وعودها وتناصب المجتمع العداء، وهذا السلوك هو نزوع طبيعي بحكم ان السلطة يمارسها البشر المجبولون دائما على حبها، والانفراد بها واحتكارها. وفي هذه الأزمة وجدت الدولة والسلطة نفسيهما في مواجهة غير معهودة تتطلب تجسير العلاقة مع المجتمع من أجل الضبط والطاعة والتعاون. وبالمقابل وجد المجتمع المدني في الجائحة فرصة لإعادة تعزيز مكانته والتأثير في السياسات العامة، وفي سلوك الحكومات بما يعود بالنفع على الناس.

سادسا: السلوكيات العامة

من ضمن ما كتبه سلافوي جيجيك عن جائحة كورونا هو اعتقاده بأن الفايروس سيغير السلوك العام للمواطن وبخاصة في أوربا، فشكل العلاقة مع الفضاء العام، مثل الجلوس في الحدائق، والجلوس على المقاعد العامة، واحتضان الناس، ومصافحة الناس، والحذر من ممارسة الايماءات العفوية مثل لمس

[1] ينظر : جون ديوي، الفردية قديما وحديثا، ترجمة خيري حماد، مكتبة دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩،ص ص ٢١-٢٣.

الانف والفم والعيون، كلها سيطرأ عليها تغيير ما. وبالمقابل اعتبر أن الفضاء الافتراضي يمكن ان يكون هو الفضاء البديل الآمن للعلاقات الاجتماعية[1].

و(ريجيس دوبريه)* يذكر بأن علينا ان نغير نظريتنا الى الطبيعة، وان نغادر السلوك السياسي المضر بها. ويرى بأن جائحة كورونا قد عرت المجتمعات الاوربية ، وبدد ذلك الوهم بأننا نعيش في دول تخطط وتحمي، وتهتم بالإنسان . إن الجائحة قد وجهت رسالة شديدة القسوة للبشرية، وهي رسالة من سيدتنا الطبيعة حتى تذكر البشر دائما بواجباتهم تجاهها[2]. وبالتالي يجب أن يعاد النظر بما تفعله الصناعة والاقتصاد في الطبيعة، ولاسيما وأن التقارير البيئة الاولية تشير الى تحس نسبة الأوكسجين النقي بعد توقف حركة الاقتصاد، وتوقف المصانع الكبرى التي كان يعتقد سابقا بانها تتسب بتدمير الغلاف الجوي وتوسيع فتحة طبقة الاوزون، وتدمير الحياة الطبيعة على الكرة الارضية. فالسلوك الودي في الفضاء العام ، مع الانسان والمجتمع والبيئة يجب ان يتحول الى قيمة اجتماعية عليا في حياة البشر.

الخاتمة:

يمتاز الفكر الانساني بمرونته، وتطوره المستمر، وبقدرته على تفسير الأحداث والظواهر، ومحاولة التأثير فيها أو توجيهها الوجهة التي تحقق مقاصده أو مصالحه، وأحيانا يكون الفكر ذاته عرضة للتأثر بطبيعة التطورات الحاصلة في البيئة التي ينتمي اليها. وهذا يعني أن هناك نوع من العلاقة التلازمية بين الفكر والواقع وكما بينا ذلك. وعلى هذا النحو مثلت أزمة جائحة كورونا حدثا دراماتيكيا استثنائيا لم يكن متوقعا، وكانت اختباراً حقيقياً لقدرات الدول وانظمتها السياسية والصحية في هذه المواجهة الجديدة. كورونا لحظة تاريخية فاصلة، وفي هذا الوصف نتفق مع تلك الرؤى التي تذهب الى أن ما بعد كورونا لن يكون قطعا مثل ما قبلها؛ لأسباب كثيرة منها أن العالم قد تيقن من خطورة الاوبئة المستجدة، وضعف قدراته الطبية والتقنية والحكومية إزائها، ويتوجب على العالم في هذه المرحلة الدقيقة من حياة البشر أن يعيد قراءة كل شيء في الحياة؛ قراءة السياسة، والفكر، والاقتصاد، والاجتماع. ويعيد قراءة علاقة الفكر بالطبيعة والبيئة، فهيمنة الانسان على الطبيعة، وقدرته على التحكم بها، تنطوي على مخاطر كامنة أطلت برأسها شاخصة في هذه الأزمة، معلنة وجود تلك الاحتمالية التدميرية التي يمكن ان يحدثها الانسان لكوكب الأرض الذي يعيش عليه اذا استمر في الخضوع لمنطق الرأسمالية الليبرالية المستندة بدورها على منطق ربحي مجرد من كل الاعتبارات، بما فيها الاعتبارات الاخلاقية.

---

[1] علي حسين، مصدر سبق ذكره، ص٢٩.

*فيلسوف وسياسي وصحفي فرنسي من مواليد ١٩٤٠، معرف بنظريته بالميديولوجيا: وهي نظرية نقدية في انتقال المعنى الثقافي في المجتمع البشري على المدي البعيد، وهو يساري الفكر.

[2] المصدر نفسه، ص ٧٧.

كورونا وبموجب هذا الواقع، والأحداث الراهنة هو فرصة حقيقية لمعالجة كل خلل بنيوي على المستوى الفكري والقيمي والسياسي، وعلى صناع القرار والسياسيين من رؤساء دول وحكومات في كل العالم أن يحكموا صوت العقل، ويبادروا الى التخلي عن النزعة التنافسية المحمومة في مجال سباق التسلح، والاقتصاد والتصنيع المتفلت من حاكمية القيم الاخلاقية، فلا قيمة لعلم، أو تجربة، أو صناعة مالم تكن منطلقة من منظومة فكرية وفلسفية اخلاقية، وعليهم أن يستفيدوا من الطروحات الفكرية والسياسية والفلسفية التي عبر عنها المفكرون والفلاسفة المعاصرون في تعليقاتهم وكتاباتهم ومقابلاتهم الصحفية والتلفزيونية حول كورنا. وكذلك الاستفادة من معالجاتهم وتحديدهم مكامن الخطأ والخلل في الواقع السياسي الدولي، وتقديم الحلول والنصائح والارشادات النابعة من فلسفتهم وتجربتهم ومعرفتهم الواسعة والعميقة في مختلف المجالات. ولابد هنا من التأكيد على أهمية ضبط العلاقة بين المفكر والفيلسوف والسياسي، ويعاد ارجاع المفكرون والفلاسفة الى داخل بنية صناعات القرارات، لأهمية ذلك في تطوير السياسات العامة، وترشيد الحكم، وتهذيب السلطة، وفهم الواقع، وما يحدث فيه من متغيرات يعتذر على السياسي إدراكها.

وعليه فإن مناسبة كورونا بتقديرنا هي مناسبة حقيقية، وفرصة لا تتكرر دائما- على الرغم من قسوتها- في اعادة قراءة الذات، والمفاهيم، والقيم، والأفكار، وفهم الكيفية التي تتغير وتتطور وتتشكل فيها المفاهيم والقيم والافكار والمصطلحات في الأوقات الاستثنائية التي يصعب ضبطها. والتطورات التي يصعب توجيهها، او التحكم في مساراتها، أو السيطرة عليها في الوقت الذي نريد ذلك، يمكن ان تستفز الفكر، وتستدعيه، من صومعاته، ومناطق تقوقعه وانعزاله إلى الواقع الفعلي؛ حيث يتفاعل الفكر مع الواقع، وتتفاعل الأزمة مع من يسعون الى فهما وتقديم الحلول لها.

مراجع ومصادر الفصل الأول:

أولاً: الكتب العربية والمترجمة:

١- جون هريسون، الجذور الشرقية للحاضرة الغربية، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٦.
٢- محمد زكريا، وحناش فضيلة، بناء المفاهيم، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، ٢٠٠٨.
٣- ابراهيم بيومي واخرون، بناء المفاهيم: دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، ج ١، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، القاهرة، ١٩٩٨.
٤- طه عبد الرحمن، روح الحداثة- المدخل الى تأسيس الحداثة الاسلامية، ط١، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٦.
٥- علي حسين، مائدة كورونا، مفكرون وادباء في مواجهة الجائحة، ط١، دار الكتب العلمية، بغداد، ٢٠٢٠.
٦- مصطفى جابر العلواني، القيم السياسية العالمية في الخطاب القرآني، ط١، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا، ٢٠١٥.
٧- جون ديوي، الفردية قديما وحديثا، ترجمة خيري حماد، مكتبة دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩.
٨- شلودون واتس، الاوبئة والتاريخ-المرض والقوة والامبريالية، ط١، ترجمة المركز القوي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠.
٩- ميشيل فوكو، ولادة الطب السريري، ط١، ترجمة اياس حسن، المركز العربي للأبحاث والدراسات، قطر، ٢٠١٨.
١٠- جوزيف بيرن، الموت الاسود، ط١، ترجمة عمر سعيد الايوبي، هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة، الامارات العربية المتحدة، ٢٠١٤.
١١- عبد الرضا الطعان وآخرون، موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، ط١، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٥.
١٢- محمد عابد الجابري، الديمقراطية وحقوق الانسان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٦.
١٣- محمد علي البار، العلمانية جذورها وأصولها، دار القليم، دمشق، ٢٠٠٩.

ثانياً: الانترنيت:

١- مارسيل غوشيه، مع كورونا اكتشفنا السيادة الثانية ، ترجمة سعيد بو خليط، متاح على الانترنت على الموقع التالي-https://www.alnaked : aliraqi.net/article/75569.php

٢- في الازمة كلنا اشتراكيون، كيف يرى سلافوي جيجيك ازمة كورونا؟ متاح على الانترنت على الموقع التالي :
https://www.aljazeera.net/midan/reality/community/2020/6/9/
٣- مراجعات صادمة لفيلسوف اوربي، هل ستنهار اوربا وحضارتها العريقة. متاح على الانترنت على الموقع التالي :
https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2020/5/20
٤- ازمة كورنا محور معركة بين رئيس الوزراء والمعارضة، متاحة على الانترنت على الموقع التالي :
https://www.france24.com/ar/20200424
٥- جائحة كورنا: كيف استغل الحزب الشيوعي الصيني الوباء، متاح على الانترنت على الموقع التالي: https://www.alhurra.com/arabic-and-international/2020/04/20/ :
٦- Jacques Attali, Technology to reign supreme after the coronavirus, provided on website: https://asia.nikkei.com/Editor-s-Picks/Interview/Technology-to-reign-supreme-after-the-coronavirus-Jacques-Attali.
٧- Judith Butler and COVID-19: Capitalism Has its Limits provided on website: https://biopolitica.flinders.edu.au/news/
٨- NTERVIEW | Visionary Jacques Attali on A New Type of Western Society After the Pandemic, provided on website, https://japan-forward.com.
٩- اورنداتي روي، لاشيء يمكن ان يعود الى طبيعته بعد الان، متاح على الانترنت على الموقع التالي: https://www.independentarabia.com/node :

١٠- رفيق عبد السلام، عالم مابعد كورونا الى أين؟، مركز الدراسات الاستراتيجية والدبلوماسية، متاح على الانترنت على الموقع التالي: https://www.csds-center.com/tag :
١١- طارق علي، كورونا والبحث عن الاوهام الضائعة، متاح على الانترنت على الموقع التالي: https://www.rawafidpost.com/archives/9756 :
١٢- فوكوياما ،.....هيبة امريكا ممكن ان تتراجع، متاح على الانترنت على الموقع التالي :
https://www.aljazeera.net/news/2020/6/11
١٣- محمد شوقي الزين، ما بعد كورونا او النموذج العالمي الرابع، متاحة على الانترنت على العنوان التالي: https://www.mominoun.com/articles

الفصل الثاني: كورونا واعادة تشكيل المفاهيم: (مفهوم الأمن القومي انموذجاً)

ا.م.د. احمد علي محمد*

مقدمة:

أطلقت ازمة كورونا عملية مراجعة واسعة في الغرب على الصعيد الفلسفي والفكري للأسس الايدلوجية والفكرية، وكذلك للهياكل والمؤسسات التي يتشكل منها عالمنا المعاصر، ولعل من اهم الميادين التي شملتها المراجعة ميدان الامن القومي، ففي ظل ما انتجته الازمة من شلل كبير في اليات العولمة، وانكفاء الدول الى حدودها القومية، طرح ذلك عدد من التساؤلات لعل اهمها: هل ان الازمة تعيد تشكيل المفاهيم السياسية؟ وفي أي اتجاه؟ وهل نجن امام اعادة تشكيل لمفهوم الامن القومي ومؤسسات واليات تفعيله؟ وهل ان الازمة اعادت الاعتبار لهذا المفهوم؟ وما هي ابرز ملامح هذه العملية؟.

وللإجابة عن تلك التساؤلات تفترض الدراسة ان ازمة جائحة كورونا تعيد بعث، وتشكيل مفهوم الامن القومي على اسس جديدة لعد ان غيبته العولمة، وربما اعادة هيكلة كبيرة للمؤسسات والاجهزة المعنية بالأمن القومي.

المبحث الاول: مفهوم الامن القومي وتطوره قبل (كورونا):

الامن لغة: الاطمئنان ومعنى أَمِن أي اطمأن فهو آمن وهو نقيض الخوف فيقال: اطمأن ولم يخف, ويقال: لك الامان أي قد امنتك والبلد الآمن أي اطمأن فيه اهله[١] .

ويشير المعنى العام للأمن على المستويين النظري والعملي الى: "السلام والطمأنينة وديمومة مظاهر الحياة واستمرار مقوماتها وشروطها بعيدا عن عوامل التهديد ومصادر الخطر"[٢]. وبحكم ضرورة الامن وتقدمه على كل مطلب وحاجة انسانية سواء من حيث هو شرط وضرورة لازمة لتحقيق المطالب وتلبية الاحتياجات الاخرى, فقد بات مهيمنا ومتقدما حتى على الاحتياجات الروحية للإنسان, الامر الذي اعلنته ليس فقط النصوص البشرية بل حتى النصوص الدينية التي تكون الاحتياجات الروحية محورها وموضوعها الاول, حيث اكدت الآيات القرآنية الكريمة مرارا وتكرارا على ضرورة الامن واولويته[٣].

---

* استاذ الفكر السياسي المساعد: كلية القانون والعلوم السياسية/جامعة الانبار

[١] ابراهيم انيس وآخرون, المعجم الوسيط، ج١، دار الامواج, د.م، ١٩٩٠،ص ٢٨

[٢] علي عباس مراد, الامن والامن القومي: مقاربات نظرية, ط١، دار الروافد, دار ابن النديم, بيروت، ٢٠١٧, ص ١٥.

[٣] نفس المصدر, ص ١٧.

ومنها قوله تعالى: ((واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات))[١] وقوله تعالى: ((وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون))[٢].

ومن الناحية الاجرائية يشتمل موضوع الامن على اربعة مستويات:[٣]

١- امن الفرد: ضد كل اخطار تهدد حياته او ممتلكاته او اسرته.

٢- الامن الوطني: وذلك ضد أي اخطار داخلية او خارجية تهدد الدولة وهو ما يعبر عنه بالأمن القومي (national security).

٣- الامن الدولي والامن العالمي: وتتولاه المنظمات الدولية مثل الامم المتحدة, والفارق بين الامن الدولي، والامن العالمي يكمن في اقتصار الاول في دلالته على الوحدات السياسية (الدول)، واتساع نطاق الثاني ليشمل بدلالته وفي آن واحد الدول فضلا عن الوحدات الجديدة من غير الدول مثل المنظمات والمؤسسات، والمصالح الاقتصادية العابرة للحدود.

والامن القومي: "عبارة عن جملة الاجراءات التي تتخذها الدولة في حدود طاقتها للحفاظ على كيانها وحماية مصالحها وبقاء افرادها, مع تهيئة الظروف المناسبة اقتصاديا, اجتماعيا, سياسيا لتحقيق الاهداف والغايات التي تعبر عن الرضا العام في المجتمع وايجاد الاستراتيجيات والخطط الشاملة التي تكفل تحقيق ذلك ".[٤] وقد مر تطور مفهوم الامن القومي(national security) بعدد من المراحل:

ففي المرحلة الاولى هيمنت طروحات المدرسة الواقعية على مضمون هذا المفهوم, ويعود ذلك الى حقيقة ان الدراسات الامنية تطورت في اطار المدرسة الواقعية التي كانت ظروف الحرب الباردة مؤاتية لها لاحتكار هذا الحقل المعرفي, ولذا فقد تم اختزال المفهوم في المجال العسكري, الامر الذي جعل ولعقود طويلة مفهوم الامن القومي او الوطني مرتبط بالدولة اولاً وقائم على صد أي تهديد عسكري خارجي ثانياً[٥].

---

[١] سورة البقرة: الآية ١٢٦.

[٢] سورة النمل: الآية١١٢.

[٣] عبد المعطي زكي, الامن القومي: قراءة في المفهوم والابعاد. ٢-٥-٢٠١٨. متاح على الموقع الالكتروني : تاريخ زيارة الموقع: ٢٥-٤-٢٠٢٠.
www.stgcenter.org/item/440/

[٤] عبد الحق زغدار، وفاء العمري, "الامن القومي الامريكي وحقوق الانسان بين الثنائيات الجدلية واستراتيجيات الموازنة،" مجلة العلوم الانسانية, العدد السابع, جوان ٢٠١٧,ج١، ص ٢٤.

[٥] احمد فريجة, لدمية فريجة, " الامن والتهديدات الامنية في عالم ما بعد الحرب الباردة،" مجلة دفاتر السياسة والقانون, العدد ١٤، جانفي ٢٠١٦, ص ١٥٨.

وقد عرّفت الكثير من المصادر, الامن القومي بالاستناد الى تلك المقاربة ومنها تعريف الموسوعة السياسية له بانه: "الامن القومي هو ما تقوم به الدول للحفاظ على سلامتها من الاخطار الخارجية والداخلية التي تؤدي بها الى الوقوع تحت سيطرة اجنبية نتيجة ضغوط خارجية او انهيار داخلي"[١].

لكن التطورات اللاحقة التي شهدها المجتمع والتنظيم الدوليين بعد الحرب الباردة فرضت معطيات جديدة القت بظلالها على تطور مفهوم الامن القومي كنتيجة للتغير على مستويين: الاول التغير في الفاعلين الدوليين, فلم تعد الدولة هي الفاعل الوحيد كما كان سائدا منذ معاهدة ويستفاليا عام ١٦٤٨ مع ظهور فواعل جديدة من غير الدول عابرة للحدود.

أما الثاني فهو التغير على مستوى مصادر التهديد, فقد برزت تهديدات من نوع مختلف, لم يعد المنظور العسكري لوحده قادرا على استيعابها, ومنها ان اختراق اقليم الدولة لم يعد يتم بأساليب عسكرية بل بوسائل تكنولوجية متطورة, من خلال الاقمار الصناعية ووسائل جمع المعلومات, لذا فان تحقيق الامن القومي لم يعد رهناً بالبعد العسكري[٢].

هذه التطورات افسحت المجال لبروز بوادر اهتمام اكاديمي حاول من خلاله المهتمون استيعاب تلك التغيرات في مستوى المعالجة المفاهيمية للموضوع، وادراج ابعاد لا تقل اهمية عن البعد العسكري، وفي هذا السياق تندرج مقاربات (Robert Mcnmara) و (Robert Kablan) و Bauzan (Barry) الذي يرى ان مفهوم الامن القومي ضيق حين يتم حصره في السياق التقليدي والقوة العسكرية, وهو ما يعرف بالأمن الصلب, ويكون واسعاً عندما يتعلق بقضايا الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي للدولة ببعديها الخارجي والداخلي، وهو ما يعرف بالأمن الناعم [٣]. كما عد مؤلف (Robert Mcnmara)"جوهر الامن" تأسيساً لبعد جديد للأمن مفاده ان: "الامن لا يعني تراكم السلاح بالرغم من ان ذلك قد يكون جزءا منه... ان الامن هو التنمية وبدون التنمية لا يمكن الحديث عن الامن"[٤].

أما (Robert Kablan) , فقد قدم اهم الاطروحات الجديدة ضمن براديغمات الفوضى التي سيطرت على ادبيات العلاقات الدولية خلال مدة ما بعد الحرب الباردة. حيث يرى (كابلان) ان : (الندرة Scarcity,)،(الجريمة Crime)،(الاكتظاظ السكاني Overpopulation),(العشائرية Tribalism),

---

[١] عبد الوهاب الكيالي واخرون, الموسوعة السياسية ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت، ١٩٩٠,ج١, ص٣٣.

[٢] ايمان جابر , مفهوم الامن القومي وتطوره , اهم القضايا والنقاشات في حقل السياسة العالمية ١٣-١٢-٢٠١٩.

متاح على الموقع الالكتروني:

www.arabprf.com

تاريخ زيارة الموقع: ٢٠-٤-٢٠٢٠.

[٣] عبد الحق زغدار, وفاء العمري, مصدر سابق , ص ٢٣.

[٤] احمد فريجة, لدمية فريجة, مصدر سابق, ص ١٦٠.

(الامراض Diseases), تشكل تهديدا للأمن العالمي، وبانها تهديدات يمكن لها تدمير ما اسماه بالنسيج الاجتماعي لكوكبنا [١].

لقد اضحى المفهوم الجديد للأمن القومي مشتملاً على الكثير من الابعاد لعل اهمها:[٢]

١- البعد السياسي: ويتمثل في الحفاظ على الكيان السياسي للدولة من الاخطار الداخلية والخارجية.

٢- البعد الاقتصادي: ويرمي الى توفير المناخ المناسب للإيفاء باحتياجات الشعب وتوفير سبل التقدم والرفاهية له.

٣- البعد الاجتماعي: ويرمي الى توفير الامن للمواطنين بالقدر الذي يزيد من تنمية الشعور بالانتماء والولاء والحفاظ على الوحدة الوطنية.

٤- البعد العسكري: من خلال بناء قوة عسكرية قادرة على تلبية احتياجات التوازن الاستراتيجي وحماية الدولة من العدوان الخارجي.

٥- البعد الثقافي: ويقوم على حماية الفكر والمعتقدات والعادات والتقاليد والقيم الوطنية .

٦- البعد البيئي: ويشتمل على مواجهة الاخطار الناجمة عن تلوث البيئة ارضاً ومياهاً وهواءً.

والواقع ان العولمة (Globalization) انطوت على معطيات جديدة من خلال التطور الهائل في وسائل الاتصال والمواصلات والاعتمادية المتبادلة، محولة العالم الى قرية صغيرة، واذ اصبح العالم بلا حدود فقد اصبح الامن ايضا بلا حدود بعد ان تعولمت كل القضايا والشؤون الداخلية وفقدت الدولة القوية خاصية الانفراد بدور اللاعب الوحيد مع تخلي العلاقات الدولية لمواقعها لصالح علاقات عالمية فوق وتحت قومية فأضحى الامن القومي اكثر عرضة للتهديد والخرق[٣].

وكان لهذه المعطيات الواقعية انعكاساتها على الصعيد المفاهيمي من خلال انزياح عدد من المفاهيم التي كانت سائدة خلال مدة الحرب الباردة، مثل الردع، والحد من التسلح، والتعايش السلمي، والسيادة القومية. كما تغيرت النظرة الى مفاهيم مثل القوة التي لم تعد تعني الجانب العسكري, ومفهوم المصلحة, وتراجع دور الدولة وانكمش نشاطها لصالح قوى اقليمية أو دولية فأصبحت هناك قرارات تصدر

---

[١] المصدر نفسه, ص ١٦٢.

[٢] مجموعة باحثين, الامن الانساني: جدل الاقناع والاخضاع(بغداد: مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية, د.ت), ص ص ص ١٩٧-١٩٩.

[٣] علي عباس مراد, مصدر سابق, ص ص ٢٨- ٢٩.

بالمشاركة بين السلطة الوطنية والسلطات الخارجية مثل المنظمات الدولية مما عد انتقاصاً من السيادة والامن القومي معاً[١].

وبدأنا نشهد زخماً من المفاهيم العلمية الجديدة ارتبط بعضها بالتحولات التي شهدتها البيئة الدولية، وبعضها الاخر عكس مصالح القوى الدولية الدافعة باتجاه تبني تلك المفاهيم كـ (الامن الجماعي Collective Security) و(الامن التعاوني Cooperative Security) والذي يهتم بالتشاور ونقل السلطة الى المنظمات الدولية، ليأتي مفهوم الامن الشامل (Comprehensive Security) وصولاً الى مفهوم(الامن الانساني Human security) الذي يشير الى امن الناس وحريتهم أي التركيز على الفرد وعلى انتهاك حقوق الانسان[٢].

ويلاحظ ان ابعاد هذا الامن تغض النظر عن امن الدولة أي الامن القومي. لقد اصبح للكثير من هذه المفاهيم بعدين: احدهما ظاهر والأخر خفي وهو الاهم, فالمفاهيم اضحت ادوات بيد الدول الكبرى لتحقيق اهدافها بعيدا عن المضمون الفعلي لتلك المفاهيم, فجاء مفهوم الامن الانسان في مواجهة مفهوم الامن القومي, والعولمة في مواجهة الخصوصية الثقافية، والتدخل الدولي الانساني في مواجهة سيادة الدولة[٣], وهو ما يحتم التمييز بين البعد الاكاديمي النظري لتلك المفاهيم وابعادها الاجرائية كأدوات في خدمة اهداف القوى الكبرى، وقد تكرس هذا الاتجاه بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م.

والتي أكدت هيمنة الولايات المتحدة والقوة الكبرى على تصورات ومضامين الأمن على الصعيدين النظري والعملي, حتى غدا البحث في موضوع الأمن القومي بعد تلك الاحداث بحثاً في الامن القومي الامريكي تحديداً حيث فرضت الولايات المتحدة اجندتها الخاصة بمفهوم الامن والتي تقوم على توسيع امنها ليشمل دول العالم كافة، واعتبار الارهاب هو اخطر مصادر التهديد التي تواجه الدول والمجتمعات.

ومع هذه الاسقاطات السياسية السلبية على مفهوم الامن القومي فان معطيات العولمة اضفت على الامن مضامين ومعطيات ومفاهيم جديدة فرضها واقع المجتمع الدولي والاعتمادية المتبادلة مثل مفهوم الامن المعلوماتي او الأمن السيبراني، والامن البيئي وغيرها من المفاهيم والمضامين التي تشير الى تعدد اوجه وابعاد الامن والامن القومي في وقتنا الحاضر.

ومع ذلك فان الدول، ولا سيما الكبرى منها ظلت تركز على البعدين العسكري والاقتصادي باحتسابهما يشكلان قوة الدولة الاساسية وبقية العوامل الاخرى في اطار ثانوي، الى ان اتت ازمة (كورونا)

---

[١] عبد المعطي زكي, مصدر سابق . من الانترنت.

[٢] ادري صفية, "دور المنظمات الدولية غير الحكومية في تفعيل مضامين الامن الانساني," مذكرة ماجستير, جامعة الحاج لخضر, كلية الحقوق والعلوم السياسية, الجزائر, ٢٠١٢, ص ١٢.

[٣] خديجة عرفة محمد, "مفهوم الامن الانساني," المركز الدولي للدراسات الدولية والاستراتيجية, العدد١٣, السنة الثانية, يناير ٢٠٠٦, ص ص ٤-٩.

فكشفت هشاشة التفكير الامني لتلك الدول وقصر نظرها لتعيد الاعتبار لمفهوم الامن القومي وتعيد تشكيله على اسس جديدة كما سيتبين في المبحث اللاحق.

المبحث الثاني: (كورونا) واعادة تشكيل الامن القَومي:

لقد حولت العولمة (Globalization) العالم الى قرية كونية صغيرة كما يقال، واضحى العالم على حد تعبير احد الباحثين بلا حدود "معلومات بلا حدود، مرجعيات بلا حدود، دول بلا حدود، وشفافية بلا حدود". [١] ومع أن العولمة لم تلغِ جميع ادوار الدولة القومية لا سيما في مجال حفظ الأمن الداخلي وتنظيم العلاقات الاجتماعية، والاشراف على توزيع الدخل القومي لكن اضعفت الى حد بعيد ادارتها للشأن العام مقابل ارتفاع نسبة مساهمة فاعلين اخرين من غير الدول خارجياً وداخلياً من اولئك الذين يستمدون سلطتهم من سلطة المال بعد تكدس الثروة في ايدي عدد صغير من الأفراد والمؤسسات الاقتصادية العابرة للحدود القومية[٢] .

وعليه، ورغم ما اوجدته العولمة من فرص فقد خلقت تحديات كبيرة وأوجدت ازمات لم تكن معروفة من قبل، ولذلك برز اتجاه معارض للعولمة حتى داخل البلدان المهيمنة فيها متمثلاً في الحركات الشعبوية (populism) التي تصاعد مدها في العقدين الاخيرين كنتيجة للإفراط في العولمة، وتحرير التدفقات المالية الدولية، وانشاء منظمة التجارة العالمية، وتباطؤ النمو الاقتصادي، وتفاقم عدم المساواة، وانعدام الامن الاقتصادي وتزايد موجات الهجرة العالمية. [٣]

أما التحدي الآخر للعولمة فقد تمثل بالنزعات الدينية المتطرفة، ومع بداية عام ٢٠٢٠ م اضحت العولمة امام اخطر تحدي يواجهها حتى اليوم متمثلا بجائحة كورونا(coronavirus) او ما يعرف (COVID-19 pandemic) الذي شل من نشاطها وهز اركانها لا سيما الاقتصادية منها، وفي هذا الاطار نشرت مجلة (Foreign Affairs) في ١٦ مارس الماضي مقالاً للباحثين(Henry Farrell) و (Abraham Newman) بعنوان "هل سينهي فيروس (كورونا) العولمة كما نعرفها؟"، اوضحا فيه ان كورونا لم يكشف عن فشل العولمة، وانما عن هشاشتها رغم ما جلبته من فوائد، وذلك نتيجة الاعتمادية المتبادلة بين الدول وما خلقته من مناطق في العالم متخصصة في منتج واحد، او جزء من السلعة مما تسبب في هشاشة النظام

---

[١] جميل مطر، "حدود على السياسة في عالم بلا حدود،" مجلة المستقبل العربي، العدد٢٣٦، اكتوبر ١٩٩٨، ص١١.

[٢] مجموعة باحثين، ازمة كورونا وانعكاساتها على علم الاجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية (الدوحة: مركز ابن خلدون للعلوم الانسانية والاجتماعية، ٢٠٢٠)، ص ص ٣٥-٣٦.

[٣] فريد زكريا، الشعبوية تتزايد.. لماذا الغرب في مأزق؟ ٢٠-٣-٢٠١٧ .متاح على الموقع الالكتروني:

تاريخ زيارة الموقع:٣ -٢-٢٠٢٠. www.islamonline.net/1924/

الاقتصادي في لحظات الازمات، وما ينتج عنها من انهيار سلاسل التوريد، وهنا يؤكد الباحثان ان احدى تداعيات ازمة كورونا قد تكون تحولاً في السياسة العالمية باتجاه التراجع في اليات العولمة، وبالتالي فان كورونا سيعمل على اعادة تشكيل الجغرافيا السياسية للعولمة. [١]

وفي نفس السياق اوضح المفكر الامريكي نعوم تشومسكي (٩١عام) في مقابلة على قناة (DIEM25) ان ازمة (كورونا) كشفت عيوب النظام العالمي وانها قد تكون فاتحة ازمات اخرى مثل الحرب النووية والاحتباس الحراري والتي نتجت عن السياسات "النيوليبرالية" للعولمة، وتساءل تشومسكي عن امكانية خلق عالم يعتمد على الاحتياجات البشرية اكثر من الربح. مبيناً ان فشل سياسات السوق وما انتجته من مشاكل اقتصادية واجتماعية عرقل جهود مواجهة هذه الجائحة رغم كل ما توصلت اليه البشرية من تقدم. [٢]

وعلى صعيد آخر اكدت ازمة (كورونا) وبما لا يدع مجالا للشك ان عناصر قوة الدولة التقليدية وخاصة العسكرية رغم اهميتها الا انها غير كافية وان بعض الازمات تتطلب استحضار قطاعات اخرى لا سيما واننا نواجه اليوم عدو خفي، وهنا برز دور القطاع الطبي كأحد مقومات الامن القومي ليس فقط من خلال توافر المستلزمات الطبية بل ايضاً القدرة على انتاجها خلال الازمات وبالكميات المطلوبة فضلاً عن توافر الكوادر الطبية اللازمة للعمل خلال الازمات والطوارئ. [٣]

---

(١) Henry Farrell and Abraham Newman "Will the Coronavirus End Globalization as We Know it?," Foreign Affairs,16 march/2020 . available on website:

تاريخ زيارة الموقع : ١-٩ -٢٠٢٠.www.foreignaffairs.com

(٢)نعوم تشومسكي، ازمة كورونا كشفت عيوب النظام العالمي ٢-٩-٢٠٢٠ . متاح على الموقع الالكتروني : تاريخ زيارة الموقع ٢٨-٩-٢٠٢٠ www.//alhura.com/arabic_and_international/

(٣) اشرف محمد كشك، تأثير ازمة كورونا على مفهوم الأمن القومي. متاح على الموقع الالكتروني :تاريخ زيارة الموقع ١-٩-٢٠٢٠. www//akhbar-alkhaleej.com

وقد اشار تقرير منظمة الصحة العالمية في نهاية شهر اذار- مارس ٢٠٢٠ الى ذلك المفهوم الموسع للأمن باعتباره يتضمن ابعاداً اقتصادية وبيئية وسياسية، وفي هذا الصدد حدد ثلاث تداعيات للأوبئة على الامن القومي: [١]

١- الاستقرار السياسي : حيث تتحدى الاوبئة قدرة الانظمة السياسية على التصدي لمخاطرها، وخاصة في البلدان النامية التي لا تمتلك بنية تحتية صحية، وهو ما يثير قلق المجتمع،/ ويدفع به الى السخط على النظام السياسي.
٢- النمو الاقتصادي:اذ تترك الاوبئة تأثيراتها السلبية على النمو الاقتصادي، وقد تشل بشكل كبير النشاط الاقتصادي، كما هو حاصل في ازمة كورونا.
٣- الامن الانساني :حيث تطرح الاوبئة مخاطر متصاعدة على الامن الانساني خاصة في ظل السمات الحالية للعولمة وسهولة التنقل من منطقة الى اخرى، وهو ما ينذر بإمكانية انتقال الفيروس بسهولة نسبية، فرغم ان الفيروس بدأ بالصين الى انه انتقل بزمن قياسي الى اغلب دول العالم.

واذا كانت ازمة (كورونا) منشأة لعدد من التحديات الامنية فأنها كانت من ناحية اخرى كاشفة لعدد من الازمات الامنية الخطيرة، وان لم تكن منشأة لها. مثل ازمة الامن البيولوجي(Biosecurity) وما يرتبط بها من مخاطر محدقة بحياة الإنسان والحيوان والنبات والبيئة، فمنذ الساعات الأولى لانتشار الجائحة عالمياً بدأت التساؤلات ان كانت هذه الجائحة لعبة اقدار ام لعبة امم، وبدأت طروحات المؤامرة تتناسل في الترويج بان الفيروس ليس الا فيروساً مخلقاً في المختبرات كسلاح بيولوجي مثير للهلع اما من قبل الصين او ضدها من قبل الولايات المتحدة. بل ان الرئيس الامريكي دونالد ترامب لم يتردد في منح هوية قومية للفيروس بوصفه "الفيروس الصيني " وحذا حذوه وزير خارجيته مايك بومبيو [٢].

كما كشفت الازمة مخاطر الامن المعلوماتي او ما يعرف بالأمن السيبراني فقد دفع انتشار الفيروس عالميا الى سرعة تحديث كثير من المجتمعات تكنولوجيا حيث توجهت الدول مضطرة الى تبني نظم العمل والتعليم الالكتروني عن بعد في محاولة للتكيف مع الواقع الجديد. وهذا الاعتماد المتزايد على شبكة

[١] ناثان تورنتو، التحديات الامنية الجديدة: كيف تؤثر التهديدات الوبائية العالمية على الامن الدولي؟ ٢٥-٣-٢٠٢٠ . متاح على الموقع الالكتروني: تاريخ زيارة الموقع ٣٠-٩-٢٠٢٠. www//elsiyasa_online.com

[٢] بن عائشة محمد الامين، الامن البيولوجي العالمي بين الاستغلال السياسي والربح الاقتصادي. ٢٥-٤-٢٠٢٠.
متاح على الموقع الالكتروني: تاريخ زيارة المرقع ٢٨-٩-٢٠٢٠. www//elsiyasa-online.com.

المعلومات العالمية كان فرصة لانتعاش القرصنة الالكترونية او قرصنة المعلومات، وانتشارها بات يعرف (c-c virus)اي فيروسات الكومبيوتر التي تستغل ازمة (كورونا) لتحقيق اهداف شخصية. [١]

فقد أصدرت شركة الامن السيبراني (check point) تقريراً اشارت فيه إلى أنه ومنذ بداية هذا العام تم إنشاء أكثر من (٤٠٠٠) موقع الكتروني خاص ب(كورونا) واشارت الى ان ٣٪ منها ضارة و٥٪ مثيرة للشك. اي ان فيها مواقع خادعة لسرقة البيانات الشخصية للزوار بهدف بيعها او اختراق الاجهزة الشخصية الخاصة بهم مستغلة الثغرات في بعض تلك البرامج ومنها على سبيل المثال برنامج (zoom) الذي يعد من اكثر البرامج استخداماً في ظل الأزمة في مجال (video conference) اذ حذرت شركات الامن السيبراني مؤخراً من الثغرات المتعددة في التطبيق والتي تتيح لـ(لهاكرز) أو قراصنة المعلومات سرقة كلمات المرور الخاصة بنظام ويندوز كما تتيح سرقة جميع كلمات المرور على جهاز الكومبيوتر الخاص بالمستخدم فضلاً عن إمكانية السيطرة على الكاميرا و الميكروفون. [٢]

كما نبهت ازمة (كورونا) الى مخاطر ازمة الامن الغذائي حتى في الدول الغنية والمتقدمة والتي شهدت تكالباً على مراكز التسوق وافراغها من محتوياتها وهو ما اثار تساؤلات حول المخزون الاستراتيجي من الغذاء. وهذه المخاوف هي جزء من تحدي اكبر يتعلق بقدرة الدولة على توفير الاحتياجات الأساسية خلال مدة الازمات، وهو ما دفع بدولة الكويت مثلا الى اقتراح إنشاء "شبكة امن غذائي موحد" على مستوى دول الخليج وذلك على غرار شبكة الربط الكهربائي بهدف تحقيق الامن الغذائي لدول الخليج [٣].

وبالاستناد الى ما سبق يمكن القول ان أزمة جائحة كورونا اعادت الاعتبار لمفهوم الامن القومي في الدول النامية او دول الجنوب بعد ان غيبته سلوكيات وادبيات ودراسات الدول الكبرى لصالح منظومة مفاهيمية تخدم مصالح واهداف العولمة، اما على صعيد الدول الكبرى فان أهم ما يلاحظ ان الازمة اطلقت عملية مراجعة شاملة لمفاهيم وآليات واجهزة الامن القومي فيها، وفي هذا الصدد يشير احد المختصين الامريكيين في هذا المجال (Stephan Blank) الى ان الازمة كشفت عن هشاشة وخطأ المقاربات الامنية للدول الكبرى، والتي ركزت غالباً على الأبعاد والمواجهات السياسية والعسكرية، وافتقدت الاهتمام والتنسيق في مجال الجوائح والاوبئة العالمية، فقد حذر العلماء لسنوات عديدة من ان تغير المناخ

---

[١] ايهاب خليفة، لماذا تصاعدت التهديدات الالكترونية مع انتشار كورونا . ٧-٤-٢٠٢٠. متاح على الموقع الالكتروني: تاريخ زيارة الموقع ٣٠-٩-٢٠٢٠. www//elsiyasa-online.com

[٢] نفس المصدر.

[٣]اشرف محمد كشك، مصدر سابق. من الانترنت.

سيزيد بشكل كبير من خطر الاوبئة في المستقبل من خلال تضخيمه لناقلات الأمراض، والتي قد تفوق في المستقبل خطر جائحة كورونا. [١]

ويؤكد أن من المفارقة أن أزمة (كورونا) جاءت في خضم صراع تجاري محتدم بين الصين والولايات المتحدة وأوروبا قاد الى تقويض الاستثمار والابتكار في مجال التنمية المستدامة والحفاظ على البيئة. لقد قاد انشغال ساسة هذه الدول بالصراعات السياسية، والتجارية، وقصر نظرهم الامني الى اضعاف القدرات الوطنية لكل دولة في مواجهة الجائحة. [٢] ففي الولايات المتحدة مثلاً ركزت وكالة الامن القومي على موضوع مكافحة الإرهاب وصرفت عليه مئات المليارات في العقدين الاخيرين من خلال حروب العراق وأفغانستان وغيرها، بل وحتى قبل تولي دونالد ترامب سدة الرئاسة بفترة طويلة لم يكن الاستعداد لمواجهة وباء عالمي يحظى بأولوية في التمويل كما كان يفترض، فمنذ عام ٢٠١٠ تنفق الولايات المتحدة ما معدله ١٨٠ مليار دولار سنويا على جهود مكافحة الإرهاب مقارنة باقل من ٢ مليار دولار على برامج الأمراض المعدية والوبائية المستجدة، وفي تصور لمدى انحراف ميزانية الأمن القومي للولايات المتحدة تجاه الجيش والدفاع على حساب الأبعاد الاخرى فقد خصص الكونغرس ٦٨٥ مليار دولار في عام ٢٠١٩ للبنتاغون مقارنة بنحو ٧ مليار دولار فقط لمركز السيطرة على الأمراض. [٣]

وفي مقارنة استراتيجية الامن القومي التي وضعها الرئيس الحالي دونالد ترامب بتلك التي وضعها سلفه باراك اوباما، نجد ان التهديدات جراء التغيرات المناخية والبيئية والصحية وحقوق الإنسان والتي أوردها الأخير في الاستراتيجية غابت عن استراتيجية دونالد ترامب، بل حل محلها التنافس الاستراتيجي مع روسيا والصين وتهديد كوريا الشمالية وايران كأولوية. [٤]

واستمر الاوروبيون بشكل عام بالتركيز على التهديد الاستراتيجي الروسي، وتنبهوا الى زيادة الهجرة غير الشرعية، ومشاكل النمو الاقتصادي، وأغلقوا كلياً مخاطر التهديد الصحي بدليل ان معظم هذه الدول قامت بخصخصة قطاعات الصحة والمواصلات وغيرها معرضةً امنها القومي لأخطار لم تكن بالحسبان، وهو امر تم بتشجيع من منظمة الصحة العالمية التي شجعت الدول على الخصخصة والشراكة بين

---

(١) Stephan Blank, Coronavirus has Changed the Future of National Security Forever. Here's how. April 2020. available on the website: www.euractive.co تاريخ زيارة الموقع: ٢-٩-٢٠٢٠.

(٢) Ibid.

(٣) Samantha power, How the COVID-19 Era will Change National Security Forever. 14 April 2020. available on the website : www//time.com/5820625/. تاريخ زيارة الموقع: ١٠-٩-٢٠٢٠.

(٤) ليلى نقولا، تبدل أولويات الأمن القومي بعد كورونا. ١٤-٩-٢٠٢٠ . متاح على الموقع الالكتروني : تاريخ زيارة الموقع ١-٥-٢٠٢٠. www//almayadeen.net/articles/article/1391819/.

القطاعين العام والخاص في المجال الصحي وهو امر اثبت عدم فعاليته وهو ما حدا بفرنسا الى تأميم المستشفيات بعد ازمة(كورونا). [١]

إن كل ما تقدم يحتم على جميع الدول ضرورة اعتماد مقاربات جديدة للأمن القومي وربما اعادة تشكيل الاليات والاجهزة المختصة بسياسات الأمن القومي فيها، ويأتي في مقدمة الامور التي يجب اعتمادها في تلك المقاربات تأكيد البعد الانساني الحقيقي وليس المؤدلج، الذي يضع في الاعتبار مستقبل البشرية جمعاء، فلا يمكن اليوم لأي دولة لوحدها ان تحقق ضرورات الأمن القومي دون تتبني عقلية عالمية، فالسيادة الوطنية تتطلب شكلا جديدا من التأهب على النطاق الدولي تم إهماله لحد الان. [٢]

إن وجود تهديد خارجي يهدد البشرية جمعاء هو الحافز الأفضل لإلهام الدول على التعاون وتجاوز خلافاتها ومصالحها التجارية والسياسية لمصلحة البشرية ككل[٣]. لأجل ذلك تبرز فكرة المشترك كأفق لمجاوزة العولمة الانانية غير العادلة، ومن خلال مشروع المشترك تعود فكرة الدولة الراعية والعادلة لا فقط زمن الازمات، بل كملاذ للإنسانية من هلاك نفسها بنفسها كما تطرح مطلب التضامن العالمي فوق ارض هي موطن الجميع كما اكد لنا فيروس(كورونا) الذي لم يفرق بين صغير او كبير وبين غني وفقير[٤].

لقد أكدت الازمة ان القطاع الطبي يشكل رقما فارقاً في مصادر قوة الدولة وفي معادلة الأمن القومي، وهو ما يعني ان اجهزة الاستخبارات ستكون بحاجة الى تطوير عملها بإضافة مجالات جديدة والاستعانة بخبراء طبيين، وقد يتطلب ذلك ايضا تطوير تكنولوجيا للكشف عن التهديدات البيولوجية واستخدام بيانات أكثر تعقيداً، وذكاء اصطناعي لتحديد وفهم والتنبؤ بالتهديدات المحدقة بالمجتمع، واذا كان لبعض الدول باع طويل في مجال التجسس البيولوجي منذ الحرب الباردة فأن العالم اليوم احوج الى التركيز على اللقاحات بدل التركيز على الأسلحة البيولوجية. [٥]

كما أن الخوف من وجود جماعات إرهابية متطرفة تنبهت الى اهمية الاثار المرعبة لنشر الفيروسات من خلال هذه الأزمة يبقى قائما، وقد يدفع إلى التركيز على مراقبة السكان من قبل الحكومات

---

[١] نفس المصدر.

[٢] Stephan Blank. Op.cit, from internet.

[٣] Samantha Power. Op.cit, from internet.

[٤] ماهر حنين، سوسيولوجيا الهامش في زمن كورونا: الخوف، الهشاشة، الانتظارات المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ٢٠٢٠ ، ص٩٩.

[٥] Coronavirus News, How COVID-19 Change the Concept of National Security and the Secret Services 04/05/2020. available on website : www//corona24.news تاريخ زيارة الموقع:٢-٩-٢٠٢٠.

باستخدام التقنيات الحديثة كما حصل في الصين، وفي روسيا تم اطلاق نظام المراقبة للأشخاص الذين يتم تشخيص اصابتهم بالفيروس فيما أطلق عليه (المراقبة الاجتماعية) باستخدام تقنيات الهاتف المحمول.[١]

وهو ما قد يبعث الجدل حول توظيف الازمة لزيادة سلطة الحكومات على حساب حقوق الإنسان وهو الجدل الذي اثير في الولايات المتحدة عقب احداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١، اذ ان تعزيز الأمن القومي قاد الى انتهاك وتقييد الكثير من الحقوق والحريات وأثار الجدل بين الأكاديميين والحقوقيين المدافعين عن اولوية الحريات و الحقوق باعتبارها الاساس الذي وجدت من أجله الدول من جانب، وبين السياسيين والعسكريين المدافعين عن أولوية الأمن القومي من جانب اخر. [٢]

وعليه، فان التوسع في استخدام تقنيات المراقبة الالكترونية والذي فرضته ازمة (كورونا) قد تترتب عليه تداعيات لمدة طويلة بعد احتواء الجائحة لا سيما ما يتعلق بالحقوق والحريات واولها الحق في الخصوصية حيث توفر التقنيات الحديثة امكانيات كبيرة للضغط والتحكم وهو ما يطرح للنقاش قضايا الديكتاتورية الرقمية (Digital Dictatorship) .[٣]

وفي ظل هذه المعطيات فان من المهم على الدول العمل في ثلاثة مسارات لتعزيز أمنها القومي :

الأول: تطوير منظومة تعليمية تلبي احتياجات المجتمع وخاصة إبان الازمات لا سيما على الصعيد الطبي والتكنولوجي في ظل ما اثبتته التكنولوجيا من دور مهم في مواجهة الازمة.

الثاني: ان صياغة قضايا الأمن القومي يجب ان تضم خبراء من تخصصات علمية مختلفة، وبما يحقق التكامل بين القطاعات العسكرية و المدنية.

الثالث: قدرة الأجهزة الأمنية و العسكرية على العمل مع القطاعات المدنية خلال الازمات،[٤] ففي كثير من الدول اصبح لتلك الأجهزة ادوار ووظائف جديدة من مثل اعداد المستشفيات الميدانية، او نقل التجهيزات والخدمات اللوجستية بالإضافة إلى الدعم بالخبرات والخدمات الصحية المتخصصة، وتأمين

---

[١] Ibid.

[٢] للتفصيل ينظر: عبد الحق زغدار، وفاء العمري، مصدر سابق، ص ص ٢٢-٣٤.

[٣] مجموعة باحثين، ازمة كورونا وانعكاساتها على علم الاجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية، مصدر سابق، ص ٨٣

[٤] اشرف محمد كشك، مصدر سابق، من الانترنت.

الطرق، وتطبيق الالتزام بالحجر الصحي، وهو ما يعني الحاجة الى ثقافة امنية جديدة ضرورية لعمل عناصر تلك الأجهزة. [١]

ومن هنا فإن جائحة كورونا ساهمت ليس فقط في إعادة تشكيل مفهوم الأمن القومي، بل وربما تساهم في إعادة هيكلة وتشكيل الاجهزة المعنية بالأمن القومي وآليات عملها.

الخاتمة:

لقد تطورت الدراسات الامنية في اطار المدرسة الواقعية التي كانت ظروف الحرب الباردة آنذاك مؤاتيه لها لاحتكار هذا الحقل المعرفي, ولذا فقد تم اختزال المفهوم في المجال العسكري الخاص بالدولة، لكن التطورات اللاحقة التي شهدها المجتمع والتنظيم الدوليين بعد الحرب الباردة فرضت معطيات جديدة مما ساهم في تنوع ابعاد هذا المفهوم وشمولها لأبعاد جديدة تتعلق بالبيئة والاوبئة والمعلومات .

ومع ذلك فان العولمة حدت من نطاق الامن القومي لا سيما في الدول النامية او دول الجنوب واوجدت منظومة مفاهيمية للأمن تصب في مصلحة الدول الكبرى، فتوارى مصطلح الامن القومي امام تصاعد مد مصطلحات المنظومة الجديدة، وبات الامن القومي كأنه امن الكبار فقط في ظل سياسات العولمة النيوليبرالية .

ومع اكتساح ازمة كورونا للنظام العالمي وما اثبتته من هشاشة السياسات النيوليبرالية المعولمة، وفشل النظم الصحية في اكثر البلدان تقدماً، وضعف هياكل الامن الجماعية والاقليمية عاد الاعتبار للدولة، وضرورة ان تلعب الدور الاهم على صعيد الرعاية الاجتماعية والصحية والتعليم، وتقييد دور الشركات في تلك القطاعات، كما عاد الاعتبار لمفهوم الامن القومي وبدأت الدول بمراجعة مفاهيمها وهياكلها الامنية بما يتناسب والمعطيات الجديدة، وبما ينبأ بإعادة تشكيل مفهوم الامن القومي على اسس جديدة تؤكد الابعاد الانسانية غير المؤدلجة واهمية المصير المشترك للبشرية جمعاء، واتباع سياسات اكثر رفقا بالبيئة مع تطوير الاعتماد على الذات على جميع الاصعدة والقطاعات الزراعية والصناعية والخدمية، وهي قضية امن ووجود بالنسبة للعراق الذي ضرب اقتصاده في الصميم مع انهيار اسعار النفط اثناء الازمة .

---

(١) John R. Allen and others, The Military, Policing and COVID-19: Executive Summary, April 2020 . available on website :
www.brookings.edu تاريخ زيارة الموقع ٢-٥-٢٠٢٠.

مصادر ومراجع الفصل الثاني:

أولاً : القران الكريم

ثانياً: المعاجم والكتب العربية:

١- ابراهيم انيس وآخرون, المعجم الوسيط، دار الامواج، د.م ١٩٩٠, ج١.

٢-عبد الوهاب الكيالي واخرون, الموسوعة السياسية، ج١، المؤسسة العربية للدراسات, بيروت، ١٩٩٠.

٣-علي عباس مراد, الامن والامن القومي: مقاربات نظرية, ط١، دار الروافد, دار ابن النديم, بيروت، ٢٠١٧.

٤-مجموعة باحثين, الامن الانساني: جدل الاقناع والاخضاع، مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية, بغداد، د.ت.

٥-مجموعة باحثين، ازمة كورونا وانعكاساتها على علم الاجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية، مركز ابن خلدون للعلوم الانسانية والاجتماعية، الدوحة، ٢٠٢٠.

٦-ماهر حنين، سوسيولوجيا الهامش في زمن كورونا: الخوف، الهشاشة، الانتظارات، لمنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، تونس،٢٠٢٠.

ثالثاً: الرسائل العلمية:

١-ادري صفية, "دور المنظمات الدولية غير الحكومية في تفعيل مضامين الامن الانساني،" مذكرة ماجستير, جامعة الحاج لخضر, كلية الحقوق والعلوم السياسية, الجزائر, ٢٠١٢.

رابعاً: الدوريات:

١- احمد فريجة, لدمية فريجة, " الامن والتهديدات الامنية في عالم ما بعد الحرب الباردة،" مجلة دفاتر السياسة والقانون, العدد ١٤، جانفي ٢٠١٦.

٢-جميل مطر، "حدود على السياسة في عالم بلا حدود،" مجلة المستقبل العربي، العدد٢٣٦، اكتوبر ١٩٩٨.

٣-خديجة عرفة محمد, "مفهوم الامن الانساني," المركز الدولي للدراسات الدولية والاستراتيجية, العدد١٣, السنة الثانية, يناير ٢٠٠٦.

٤-عبد الحق زغدار، وفاء العمري, "الامن القومي الامريكي وحقوق الانسان بين الثنائيات الجدلية واستراتيجيات الموازنة،" مجلة العلوم الانسانية, العدد السابع, جوان ٢٠١٧,ج١.

خامساً: الانترنيت:

١-اشرف محمد كشك، تأثير ازمة كورونا على مفهوم الأمن القومي. متاح على الموقع الالكتروني :

www//akhbar-alkhaleej.com

٢-ايهاب خليفة، لماذا تصاعدت التهديدات الالكترونية مع انتشار كورونا . ٧-٤-٢٠٢٠. متاح على الموقع الالكتروني:

www//elsiyasa-online.com

٣-ايمان جابر , مفهوم الامن القومي وتطوره , اهم القضايا والنقاشات في حقل السياسة العالمية ١٣-١٢-٢٠١٩.

متاح على الموقع الالكتروني:

www.arabprf.com

٤-بن عائشة محمد الامين، الامن البيولوجي العالمي بين الاستغلال السياسي والربح الاقتصادي. ٢٥-٤-٢٠٢٠. متاح على الموقع الالكتروني: www//elsiyasa-online.com.

٥-عبد المعطي زكي, الامن القومي: قراءة في المفهوم والابعاد. ٢-٥-٢٠١٨. متاح على الموقع الالكتروني: www.stgcenter.org/item/440 ١٧.فريد زكريا، الشعبوية تتزايد.. لماذا الغرب في مأزق؟ ٢٠-٣-٢٠١٧ .متاح على الموقع الالكتروني:

www.islamonline.net/1924/

٦-ليلى نقولا، تبدل أولويات الأمن القومي بعد كورونا. ١٤-٤-٢٠٢٠ . متاح على الموقع الالكتروني :

www//almayadeen.net/articles/article/1391819/.

٧-ناثان تورنتو، التحديات الامنية الجديدة: كيف تؤثر التهديدات الوبائية العالمية على الامن الدولي؟ ٢٥-٣-٢٠٢٠ . متاح على الموقع الالكتروني: www//elsiyasa_online.com

سادساً: المصادر الاجنبية:

1-Coronavirus News, How COVID-19 Change the Concept of National Security and the Secret Services 04/05/2020. available on website : www//corona24.news

2-Henry Farrell and Abraham Newman "Will the Coronavirus End Globalization as We Know it?," Foreign Affairs,16 march/2020 . available on website: www.foreignaffairs.com

3-John R. Allen and others, The Military, Policing and COVID-19: Executive Summary, April 2020 . available on website : .www.brookings.edu

4-Samantha power, How the COVID-19 Era will Change National Security Forever. 14 April 2020. available on the website : www//time.com/5820625/.

5-Stephan Blank, Coronavirus has Changed the Future of National Security Forever. Here's how. April 2020. available on the website: **www.euractive.co**

الفصل الثالث: تداعيات جائحة كورونا على الواقع الامني في العراق:(استشراف مستقبلي):

م.د.معتز اسماعيل الصبيحي*

المقدمة:

ابتدأ بحثي بما قاله وزير الخارجية الامريكي الأسبق هنري كسنجر في مقال له، بأن جائحة كورونا ستغير النظام العالمي للابد، وأوضح أن الاضرار التي الحقها الفايروس بالصحة قد تكون مؤقتة، إلا أن الاضطرابات السياسية والاقتصادية التي أطلقها قد تستمر لأجيال عديدة.

ونرى كمركز دراسات استراتيجية في جامعة الانبار أن لتفشي هذا الوباء تداعيات واثار كبيرة على العراق ستفوق بكثير كل الاثار والتداعيات على الدول الاقليمية والعالمية التي تفشى بها، ومن هذه التداعيات سنركز في بحثنا على الآتي:

المبحث الأول: مفهوم الامن:

يُعد مفهوم الامن (SECURITY) واحداً من أصعب المفاهيم التي يتناولها التحليل العلمي، لأنه مفهوم نسبي ومتغير ومركب، وذو ابعاد عدة ومستويات متنوعة، وذلك لأنه يتعرض لتحديات وتهديدات مباشرة وغير مباشرة من مصادر مختلفة، تختلف في درجتها وانواعها وابعادها وتوقيتها، سواء تعلق ذلك بأمن الفرد او الدولة او النظام الاقليمي او الدولي. لم يعد الامن يقتصر على الفهم التقليدي المعني بحماية الحدود الاقليمية، او بمعناه العسكري، وإنما اتخذ ابعاداً أشمل من ذلك، تنطوي على تطور المجتمع باتجاه تحقيق اهدافه التي تضمن له مصالحه مثل (امن المؤسسة وامن المجتمع وامن الدولة).[١]

ويواجه تحديد مفهوم (الأمن) العديد من المصاعب المختلفة ، وذلك إن (الأمن) ظاهرة إجتماعية تتداخل فيها مجموعة من العناصر و العوامل المختلفة، فضلاً عن حداثة هذا المفهوم بمعناه الجديد نفسه، وحداثة دخوله قاموس المصطلحات السياسية و الاجتماعية, الامر الذي

---

* – **مركز الدراسات الاستراتيجية/جامعة الانبار.**

١–هيثم الكيلاني، مفهوم الامن القومي العربي: دراسة في جانبيه السياسي والعسكري، في كتاب: الامن العربي التحديات الراهنة والتطلعات المستقبلية، اعمال ندوة الامن العربي في الدار البيضاء، مركز الدراسات العربي الاوربي، باريس، ١٩٩٦، ص٧٠ .

اعطاه العديد من التفسيرات والتعريفات، فضلاً عن استعمال هذا المفهوم من بعض الدول لتغطية مخططاتها و اهدافها التوسعية.[١]

مع كل ما يكتنف مفهوم الامن من صعوبة في تحديده إلا أن ذلك لا يمنع من البحث في مجموعة من مفاهيم بعض المتخصصين في الدراسات الامنية، ومن هذه التعاريف لمفهوم الأمن هو تعلايف (باري بوران) (Bary Boran) إذ يعرف (الأمن): بأنه العمل على التحرر من التهديد, وفي سياق النظام الدولي، فهو قدرة الدولة والمجتمع في الحفاظ على كيانها المستقل وتماسكها الوظيفي ضد قوى التغيير التي تعدّها معادية في سعيها لضمان الأمن, وعليه يبدو الأمن مرادفاً لقدرة الدولة في الحفاظ على هويتها المستقلة ووحدتها الوطنية.[٢]

ويُعدّ (الأمن) والاحساس به بشكل فردي أو جماعي من غرائز الانسان الطبيعية والظواهر القديمة قدم الخليقة، فهي لم تكن غريبة عن الفكر الإنساني طيلة مراحل تطوره، بل هي حقيقة ملازمة له منذ ان بدأ الفرد يشعر بالمعاني المترتبة على الخوف من ظاهرة ما، لان الله فطر خلقه، وفي طيات أنفسهم عدد من الغرائز، ومنها: غريزة الخوف، ولذلك أتخذت السبل الكفيلة لمواجهتها ومعالجتها الأمر الذي يمكن على ضوئه القول: بأن فكرة الخوف والإحساس بالخطر كانت الدافع وراء الترتيبات الأمنية التي لجأ اليها الفرد لحماية ذاته، وضمان بقاءه.[٣]

ويدخل في مفهوم الامن هو الامن الوقائي، فأهم ما يتميز به الأمن الوقائي على الصعيد الداخلي للدولة هو الإجراءات والترتيبات التي تستخدمها الدولة عن طريق أجهزتها الأمنية المختلفة لحفظ أسرارها وحماية منشآتها الحيوية من الأعداء، وإن مبدأ الوقاية خير من العلاج هو المبدأ الأسمى لمفهوم الأمن الوقائي ولكن على الصعيد الأمني البحت وليس على الصعيد الصحي.[٤] فلم يعد مفهوم الأمن مقتصر على أمن الدولة، بل تعداه وشمل الأفراد أيضاً، بأبعاد محلية وعالمية، بما يسمى الأمن الإنساني الذي يهدف إلى حماية المواطنين من الجرائم المتنوعة والارهاب والفقر والمرض وكل ما ينتهك أمن وسلامة المواطن وحريته في حياة كريمة، تضمن حقوقه التي جاءت في المواثيق والعهود الدولية. ويتفرع من الأمن الانساني، الأمن الصحي الذي يهدف إلى حماية الناس من الأمراض ومن أساليب الحياة غير الصحية، فالصحة هي عنصر ومكون أساسي للأمن تكمن في حماية حياة الانسان، والصحة الجيدة تسبق الإستقرار الاجتماعي. فالأمن الصحي يشير إلى التحضيرات

---

١ – نصر الله عباس، رؤية مستقبلية لاستراتيجية عسكرية لبنانية، الاكاديمية العسكرية العليا، دمشق، ١٩٩٩، ص٥٧.

٢ – علي عبد العزيز مرزه نور الياسري، الأبعاد الفكرية السياسية لإستراتيجية الأمن القومي في العراق، رسالة ماجستير (غير منشوره)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٩، ص٣٨.

٣ –عبدالقادر محمد فهمي، المدخل الى الدراسة الاستراتيجية، دار الرقيم، ط١، بغداد، ٢٠٠٥، ص ص٦٧–٦٨.

٤ – سالم محمد عبود، الامن الوطني بين البطالة والتنمية: دراسة مستقبلية في الواقع العراقي، المكتبة الوطنية، بغداد، ٢٠١٣ ، ص ص١١٢–١١٣.

والفعاليات التي تؤدي إلى تقليل التهديدات الصحية العامة للأفراد والمجتمع، في مدياتها الشخصية والمحلية والعالمية، التي تختلف من بلد إلى آخر حسب تطور هذه البلدان الاجتماعي والاقتصادي ومدى تقدم الوضع الصحي، ومنها: الأمراض الوبائية، صفقات شراء وبيع وتداول الأدوية والأغذية غير الصحية للإنسان دون رقابة، صعوبة مواجهة البكتيريا المقاومة للمضادات، التلوث البيئي بعد أنواعه، الجريمة المنظمة بما فيها بيع الأعضاء البشرية، وغيرها. تترابط هذه التهديدات وغيرها وتتداخل مع بعضها البعض وتؤدي إلى إصابات عديدة للمجتمع، وتعرقل التنمية المنشودة وبالتالي تؤدي إلى الإخلال بالأمن بمفهومه الواسع وليس الصحي فقط، لهذا يعد الاهتمام بالأمن الوطني في بعده الصحي من المستلزمات التي تتكامل بها منظومة الأمن الوطني، من خلال وجود تنمية مستدامة حقيقية واضحة الأبعاد وشاملة، يكون الأمن الصحي أحد جوانبها.[١]

ولقد أصاب مفهوم الأمن تغيرات عدة في عالم السياسة، والمجال العسكري والأمني، بحكم ما طرأ من ظروف سياسية وتطورات تكنولوجية، ومن وعي إنساني. ومنذ انتهاء الحرب الباردة عام ١٩٩٠ تحديداً أنفتح العالم أمام معنى واسع للأمن الوطني، حتى صرنا نتعامل مع وجهتي نظر في ذلك، وهي:[٢]

الأولى: والتي تتضمن توسيعاً لمعنى الأمن الوطني باتجاهات أفقية، إذ تضمن المفهوم أفكار عن التهديدات القائمة والكامنة، سواء كان متضمناً لقضايا سياسية أم اقتصادية، أم اجتماعية، أم بيئية، فضلاً عن القضايا العسكرية.

الثانية: ذهبت هذه النظرة إلى التعمق بمعنى الأمن الوطني باتجاه رأسي أو عمودي، يتضمن توسيعاً لكل مصادر التهديد التي يتعرض لها الأفراد والمجتمع والمؤسسات والدولة.

كما يمكننا تحديد ابعاد مفهوم الأمن، كالآتي:[٣]

١- البُعد السياسي: ويتمثل في الحفاظ على الكيان السياسي للدولة.
٢- البعد الاقتصادي: والذي يهدف إلى توفير الأوضاع الملائمة للوفاء بإحتياجات الشعب، وتوفير سبل التقدم والرفاه.
٣- البُعد الاجتماعي: ويهدف إلى تطوير الأمن بالقدر الذي يعزز الشعور بالإنتماء والولاء.

---

[١] –رفاه عبدالعظيم عبدالحسن، السياسات العامة للأمن الوطني في مكافحة الإرهاب في العراق بعد عام ٢٠٠٣، رسالة ماجستير (غير منشوره)، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠١٧، ص ص٢٣–٢٤.

[٢] –محمد رضا فودة، الاستراتيجية والامن القومي، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، ١٩٩٥، ص١٨.

٣–روبرت ماكنمارا، جوهر الامن، ترجمة: يونس شاهين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٠، ص٤١.

٤- البُعد المعنوي أو الايديولوجي: ويتعلق بالحفاظ على العادات والقيم، وتأمين الفكر والمعتقدات.
٥- البُعد البيئي: والذي يوفر الأمان ضد تهديدات ومخاطر البيئة، وخاصة التلوث البيئي والذي يمكن أن ينعكس سلباً على الأمن.

المبحث الثاني: جائحة كورونا وتنظيم داعش الارهابي:

تنشئ أرضية نمو وتمدد التنظيمات السلفية الجهادية مع إنحسار قدرة الدولة على أداء وظائفها، وعجزها عن أداءها بالشكل الذي يحقق الرفاهية والإستقرار السياسي والأمني لمواطنيها.

وتشكل الظروف المادية والرمزية التي يخلفها وباء "كورونا" بيئة مثالية للجهادية العالمية والحركات الراديكالية، إذ لم يقتصر تعامل تنظيم "الدولة الإسلامية" مع "كورونا" على التوجيهات الصحية والإيديولوجية والإعلامية، فقد باشر بتكثيف هجماته المتنوعة في مركز التنظيم في العراق وبقية فروعه المنتشرة في الشرق الأوسط وغيرها من المناطق. وحذر الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش في ١٠ نيسان/ أبريل ٢٠٢٠، من أن "الوباء يشكل تهديداً كبيراً لصون السلم والأمن الدوليين، ما قد يؤدي إلى زيادة الاضطرابات الاجتماعية والعنف الذي من شأنه أن يقوض إلى حد كبير قدرتنا على مكافحة المرض". ونبّه غوتيريش، من أن تستفيد الجماعات المتطرفة من عمليات الإغلاق بسبب "كوفيد- ١٩"، لنشر الكراهية وتكثيف جهودها على وسائل التواصل الاجتماعي لتجنيد الشباب الذين يمضون المزيد من الوقت على الإنترنت.[١]

فلن تقتصر تداعيات جائحة فايروس كورونا المستجد على الاوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فحسب، إذ تنشغل دوائر أمنية وأستخباراتية، بإحتمال استغلال مجموعات ارهابية اجراءات الطوارئ وانشغال الجيش وقوى الأمن الداخلي بمواجهة فايروس كورونا[٢*] لتستفيق

[١] – حسن ابو هنية، الجائحة تنعش الجهادية العالمية، منشور على شبكة المعلومات العالمية:
https://daraj.com/46947/

[*] – فيروسات كورونا هي فصيلة كبيرة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان. ومن المعروف أن عدداً من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر حالات عدوى الجهاز التنفسي التي تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخامة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (السارس). ويسبب فيروس كورونا المُكتشف مؤخراً مرض فيروس كورونا (كوفيد-١٩).

هذا المرض (كوفيد-١٩) هو مرض معد يسببه فيروس كورونا المُكتشف مؤخراً. ولم يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس وهذا المرض المستجدين قبل تفشيه في مدينة ووهان الصينية في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٩.

هذا الفايروس له خصائص عامة يمكن أن نحددها بالاتي:

١- خاصية الانتحاء:

خلاياها في أكثر من مكان في العالم وبوادرها بدأت تظهر في توجيه ضربات في العراق حيث نفذ تنظيم داعش أكثر من (٣٠) عملية ارهابية بعد تفشي الوباء. وعمد تنظيم داعش أيضاً على شن هجمات في سوريا.

ومن التجارب السابقة معلوم لنا إن تنظيم داعش يجيد إستغلال الأحداث الجسام مثل جائحة كورونا، وذلك عقب إنهياراته الأخيرة في كل من سوريا والعراق، وزاد من حدّتها مقتل زعيمه أبو بكر البغدادي.

بعد كل الهزائم والانكسارات التي مني بها تنظيم داعش الارهابي أمام قوات الجيش العراقي والحشد الشعبي وجهاز مكافحة الارهاب، إلا إن هناك عوامل ساهمت في عودة تنظيماته في القيام بعمليات ارهابية ضد قطعات قوات الأمن العراقية، وضد المدنيين العراقيين، من هذه العوامل هي اعادة هيكيلية تنظيماته بعد مقتل البغدادي، وبناء قدرات عسكرية وان كانت محدودة إلا إنه استطاع من خلالها تفعيل عمل قطعاته المحدودة، ومن العوامل الاخرى هي الازمات السياسية حول منظومة العمل السياسي في العراق، فضلاً عن تفشي جائحة كورونا في العراق والعالم، وانشغال القطعات الأمنية بإجراءات الحضر الصحي وغيرها من الاجراءات التي فرضتها ظروف ما بعد تفشي فايروس كورونا المستجد.

والحقيقة أن الدولة التي أعلنها التنظيم في عام ٢٠١٤ لم تكن سلطة جديدة في دولة قائمة معترف بها، ولا دولة جديدة أنفصلت وأعلنت استقلالها، بل هي تنظيم سياسي مسلح يزعم أنه دولة، وذلك بالتمدد وفرض السيطرة على بعض أراضي دول مختلفة، ولم تعترف بزعمه هذا أي دولة، فكان نوعاً من التمرد المسلح الذي يدير سلطة على السكان في مناطق سيطرتهم.[١]

إن المرحلة التي يعيشها تنظيم داعش اليوم رسم ملامحها (أبو بكر ناجي) أحد أكثر منظري الجماعات التكفيرية تأثيراً في استراتيجية داعش الارهابي، فأقر في كتابه (ادارة التوحش) أن التنظيم

للفيروس التاجي الجديد خاصية الانتحاء القوي نحو الجهاز التنفسي، أي الميل لإصابة الجهاز التنفسي، وعلى وجه الخصوص الخلايا الطلائية الشعبية غير المهدبة عند الانسان، وهذا أمر فريد من نوعه لأن معظم الفيروسات التنفسية تستهدف الخلايا المهدبة، وأتضح أيضاً أن للفايروس القدرة على تفادي المناعة الطبيعية ومقاومة الانترفيرون المنتج في تلك الخلايا.

٢- تركيبه:

يظهر الفيروس تحت المجهر الالكتروني بشكل كروي وبحجم (١٢٠-١٦٠ نانومتر)، وله غلاف ونتوءات بروتينية بشكل عصيات تكسب الفيروس شكل التاج، ولهذا اطلق عليه أسم كورونا وهي كلمة لاتينية تعني التاج. للإستزادة ينظر: عثامنة الهام واخرون، دراسة وصفية تصنيفية تحسيسية لكل من فيروسي ايبولا وكورونا، مذكرة تخرج لنيل شهادة استاذ التعليم المتوسط، المدرسة العليا للأساتذة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، ٢٠١٥، ص٤٥.

[١] -عزمي بشارة، تنظيم الدولة المكنى (داعش)، الجزء الأول: إطار عام ومساهمة نقدية في فهم الظاهرة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٨، ص٢٦٢.

يحتاج إلى وجود مجموعات وخلايا منفصلة في كل مناطق العالم الاسلامي – الرئيسية وغير الرئيسية- حتى تحدث فوضى وتوحش، وتركز الأهداف الرئيسية لهذه المرحلة في مجموعة من النقاط كما يصورها أبو بكر ناجي في " انهاك قوات العدو والأنظمة العميلة لها، وتشتيت جهودها والعمل على جعلها لا تستطيع أن تلتقط أنفاسها، وذلك في مناطق الدول الرئيسية المرشحة وغير المرشحة، كذلك بعمليات وإن كانت صغيرة الحجم أو الأثر- ولو ضربة عصا على رأس صليبي- إلا أن إنتشارها وتصاعديتها سيكون له تأثير على المدى الطويل".[١]

وبعد كل الخسائر الكبيرة التي مني بها تنظيم داعش الارهابي إلا أنه مازال إحدى أقوى التنظيمات الارهابية التي تهدد الأمن الوطني العراقي. فلو قارنا بين عدد مقاتلي تنظيم داعش قبل عام ٢٠١٣، وعام ٢٠١٤، كان لديه في عام ٢٠١٠ فقط نحو ٧٠٠ من المقاتلين. واليوم تقدر بعض المصادر أن لدى داعش في العراق وسوريا بين ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ مقاتل، ويشكل هذا تهديد كبير في ظل وجود الجائحة. وتنطلق تقديرات أخرى من أرقام أعلى، ففي نهاية كانون الثاني٢٠٢٠، تحدث السفير الأمريكي الخاص بالتحالف ضد تنظيم داعش، (جيمس جيفري) عن (١٤٠٠٠) وصولاً إلى (١٨٠٠٠)، إرهابي في سورية والعراق.

[١] – ابي بكر ناجي، ادارة التوحش: اخطر مرحلة ستمر بها الامة، مركز الدراسات والبحوث الاسلامية، بلا مكان، بلا تاريخ، ص ص١٦–١٧.

وفي إحصاء التنظيم هجماته منذ سقوط الباغوز حتى ١٩ آذار ٢٠٢٠، أعلن تنظيم "الدولة الإسلامية" مسؤوليته عن أكثر من (٢٠٠٠) هجوم في العراق وسورية.

ولم يُخف التنظيم في أزمة كورونا خططه، فكشفت صحيفته (النبأ) عن ضرورة استثمار الظرف الراهن، والقيام بعمليات جديدة والمضي في إعادة بناء تنظيماته. وبالفعل، تراجعت كثيراً الجهود الدولية والإقليمية والمحلية مع انشغال الدول بالحرب على كورونا، وإعلان عديد من حكومات

التحالف "ضد الإرهاب" سحب قواتها، ووقف عملياتها. ولكن قبل ذلك، كانت الخلافات السياسية، دولياً وإقليمياً ومحلياً، في العراق وغيرها من الدول، تطيح التنسيق والتحالف الذي قاد العمل ضد التنظيم الارهابي، خصوصاً مع ارتفاع وتيرة التصعيد الأميركي- الإيراني في العراق.[١]

ومع انتشار جائحة كورونا اطلق التنظيم توجيهات لمقاتليه في التعامل مع الوباء، حيث جاء في صحيفة (النبأ) في العدد (٢٢٥) في ١٢/اذار٢٠٢٠، تحت عنوان "توجيهات شرعية للتعامل مع الأوبئة"، وتضمنت توجيهاته:[٢]

١- وجوب الايمان أن الامراض لا تعدي بذاتها ولكن بأمر الله.
٢- وجوب الاخذ بأسباب الوقاية من الامراض واجتنابها.
٣- الوصية بتغطية الفم عند التثاؤب والعطاس.
٤- الوصية بغسل اليدين قبل غمسهما في الاناء.
٥- الوصية بالتوكل على الله والاستعاذة به من الامراض.
٦- الوصية بعدم دخول الإصحاء إلى أرض الوباء وعدم خروج المصابين منها.
٧- الوصية بتغطية الاناء ووكاية السقاء.

[١]- محمد أبو رمان، داعش وكورونا و"المربع الأول" منشور على شبكة المعلومات العالمية:
https://www.alaraby.co.uk/%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4-%D9%88%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7-%D9%88%22%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A8%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84%22

[٢] -صحيفة النبأ، العدد (٢٢٥)، ١٢/اذار/ ٢٠٢٠.

كما دعا أنصاره إلى استغلال الإنشغال بالجائحة للقيام بعمليات أرهابية جديدة. ففي الخطاب الصوتي الذي نشرته (مؤسسة الفرقان) الجناح الاعلامي لتنظيم داعش الارهابي يوم (٢٨/ ايار/ ٢٠٢٠)، المعنون "وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار" للناطق الاعلامي (ابو حمزة القرشي)، وفي تحريض معلن لأنصاره على القتال، قال: "واعلموا أنّ العالم كله مقبلٌ على أمور

عظيمة، وأنّ ما تشاهدونه اليوم ما هو إلا إرهاصاتٌ لتحولات كبرى، ستشهدها بلدان المسلمين في الفترة المقبلة، بإذن الله تعالى، وسيكون فيها فرصٌ أعظم من التي يسرها الله تعالى لكم، قبل عقد من الزمان في بعض البلدان، التي شهدت من الأحداث ما تعرفون. فأعدّوا للمرحلة القادمة ما تستطيعون من القوّة ومن رباط الخيل، وأرهبوا أعداء الله وأعداءكم، وآخرين من ورائهم لا تعلمونهم، الله سبحانه بهم خبيرٌ عليم. ونوصيكم بالشدة على أعداء الله الكفرة، خاطبوهم بالسيوف المرهفات، وسعروا الغزوات ولا توقفوا الغارات، ولا تتركوا يوماً يمر على المرتدين وأسيادهم الصليبيين إلا وقد نغصتم فيه عيشهم. فاكمنوا لهم في الطرقات، وأحرقوا أرتالهم بالعبوات، ودمروا الحواجز والثكنات، وليكن شعار أحدكم لا نجوت إن نجى عباد الطواغيت. وشمروا عن ساعد الجد، وواصلوا ليلكم بنهاركم، وابذلوا أغلى ما تملكون، الأنفس والمهج لإعلاء كلمة التوحيد وقتال أعداء الملة والدين". وفي هذا الخطاب تصريح واضح في تكفير المسلمين وشن الحرب ضدهم بكل ما أوتي من ادوات ارهابية. وفيه حث لأنصاره أيضاً على رسم الخطط ومضاعفة العمليات الارهابية، والسعي لتهريب سجناء التنظيم من السجون في كل مكان، واصفاً إياهم بالأسرى والأسيرات، إلى جانب المناصرة بالنفس والمال والهجرة إلى مناطق التنظيم، وهذا دليل واضح لمعاناة التنظيم من النقص في عدد مقاتليه بسبب العمليات التي أستهدفته في العراق وسورية، إذ يوجد في سجون الدولتين الآلاف من مقاتيه، فضلاً عن عشرات الآلاف من عوائل ارهابيي داعش في مخيمات النازحين ومنها مخيم الهول في مناطق سيطرة الاكراد في سورية. وهو ما بدأت ملامحه في هجوم السجن في افغانستان، حيث اعلن تنظيم داعش في وكالة اعماق الاخبارية التابعة له في ٣/اب/٢٠٢٠، قيامه بالهجوم على سجن (ننجرهار المركزي) في جلال أباد، واعلن عن تحرير مئات السجناء.

ويذكر أن استراتيجية داعش في الاستنفار المستمر، أتبعها زعيمه الجديد والتي تعد مقدمة لإعمال استراتيجته المعهودة التي من الممكن أن تنتقل الى استراتيجية هدم الأسوار التي عهدناها في بداية نشوء التنظيم في عامي ٢٠١٣ و٢٠١٤ في مهاجمة السجون والمعتقلات التي تظم عناصر التنظيم في العراق وسورية.

وهدد (ابو حمزة القرشي)، حكومة السيد مصطفى الكاظمي متوعداً إياها بمواجهة مفتوحة بعد انسحاب القوات الامريكية.

وفي آخر كلمة التنظيم، واستشعاراً برغبة أنصاره في لقاء الخليفة الجديد أبي إبراهيم الهاشمي القرشي، نقل ابو حمزة القرشي "سلاماً" منه وتبريكاً على "غزوة الاستنزاف" التي انطلقت في رمضان. فقد أطلق التنظيم سلسلة من العمليات الارهابية تم من خلالها تنفيذ ما يزيد عن (٢٢٨) عملية ارهابية كان معظمها في العراق وسورية. وتأتي هذه العمليات في ظل تطور واضح لقدرات داعش العملياتية في الساحة العراقية.

وحمل العدد رقم (٢٣٦) من صحيفة (النبأ) الداعشية العديد من الدعوات التي تحث على للجهاد والثبات على المبدأ بهدف استقطاب مقاتلين جدد في صفوف التنظيم الارهابي، منها كلمة لزعيم التنظيم أبي حمزة القرشي، بعنوان "وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار". ومقال بعنوان "خيبات الكافرين في الحرب على الدولة الإسلامية". كما تضمن العدد استعراض ما سموه بـ"غزوة الاستنزاف".

ونشر نتائج العمليات الإرهابية التي قام بها في العديد من اعداد صحيفة النبأ، منها:

١- العدد (٢٢٣)، ٢٦ جمادى الاخر الى ٣رجب ١٤٤١هـ، قام تنظيم داعش بالإعلان عن (٥٣) عملية ارهابية خلال اسبوع.
٢- العدد (٢٢٤)، من ٣-٩ رجب١٤٤١هـ، قام تنظيم داعش بالإعلان عن (٦٠) عملية ارهابية.
٣- العدد(٢٢٥)، من ١٠-١٦ رجب ١٤٤١هـ، قام التنظيم بالإعلان عن (٦٠) عملية ارهابية.
٤- العدد (٣٣٣)، من ٧-١٣ رمضان ١٤٤١هـ، قام تنظيم داعش الارهابي بالإعلان عن (٨٨) عملية ارهابية.
٥- العدد(٢٣٨)، من ١٢-١٩ شوال ١٤٤١هـ، قام تنظيم داعش بالإعلان عن (٤٤) عملية ارهابية.
٦- العدد (٢٣٩)، من ١٩-٢٥ شوال ١٤١هـ، قام تنظيم داعش بالإعلان عن (٥٢) عملية ارهابية.
٧- العدد (٢٤٠)، من ٢٦شوال الى ٣ ذو القعدة ١٤٤١هـ، قام تنظيم داعش بالإعلان عن (٤٤) عملية ارهابية.
٨- العدد (٢٤٣)، من ١٨-٢٤ ذو القعدة ١٤٤١هـ، قام تنظيم داعش بالإعلان عن (٣٨) عملية ارهابية.
٩- العدد (٢٤٤)، من ٢٥ ذو القعدة الى ١ ذو الحجة ١٤١هـ، قام تنظيم داعش عن الاعلان عن (٤٢) عملية ارهابية. ونشر في هذا العدد نصائح أمنية لمقاتليه.*
١٠- العدد (٢٤٥)، من ٢-٨ ذو الحجة ١٤٤١، قام تنظيم داعش بالإعلان عن (١٠٥) عملية ارهابية.
١١- العدد(٢٤٦)، من ٩-١٥ ذو الحجة ١٤٤١هـ، قام تنظيم داعش بالإعلان عن (٦٤) عملية ارهابية.

* -جاء العدد (٢٤٤) من صحيفة النبأ ليوجه مجموعة من النصائح الأمنية لمقاتليه منها:
١- المعلومة على قدر الحاجة وليست على قدر الثقة.
٢-لا تكن أسيراً لعادة في سير أو مأكل أو ملبس...فيسهل رصدك من قبل عدوك.
٣-حصن دائرتك الاجتماعية (الزوجة، الأهل، الاقارب) فاختراقها يعني اختراقك.
٤-اندمج مع محيطك لا تكن مختلفاً عنهم مخالفاً لعاداتهم فتلفت الانتباه اليك.
٥-احرص على تأمين معداتك في مكان امن، وتجنب الاحتفاظ بما يدينك داخل منزلك.
٦-لا تجعل الامنيات عائقاً لك من العمل، فالأمن للعمل لا لوقفه، فخذ حذرك وانطلق.

١٢- العدد (٢٤٧)، من ١٦-٢٢ذو الحجة ١٤٤١هـ، قام تنظيم داعش بالإعلان عن (٥٠) عملية ارهابية.
١٣- العدد (٢٤٨)، من ٢٣-٢٩ ذي الحجة ١٤٤١، قام تنظيم داعش بالإعلان عن (٦٢) عملية ارهابية.
١٤- العدد (٢٥٦)، من ٢١-٢٧ صفر ١٤٤٢هـ، اعلن التنظيم عن (٣٠)عملية ارهابية، وركز في عملياته في العراق على ما يسميها ولايات دجلة وشمال بغداد والانبار ونينوى وصلاح الدين.
١٥- وأعلن التنظيم في ١محرم ١٤٤٢هـ يوم الخميس ٢٠/اب ٢٠٢٠، عن استهداف المختار (يونس المهيدي) في منطقة الشورة في العراق.

وتجد الاشارة الى أن التنظيم هدد الصحوات بصراحة، فقد جاء في العدد (٢٣٦) من مجلة النبأ تهديد صريح للصحوات السنية بقوله: "وأما في ولاية العراق، فقد عاد مرتدّو الصّحوات لإخراج رؤوسهم من الجحور التي دخلوها منذ سنين، وهم يأملون أن تتيح لهم أمريكا إعادة تنظيم فصائلهم المنقرضة، وأن تمنحهم إقليماً يحكمونه بشريعة الطاغوت، لقاء أن يكونوا لهم جنداً محضرين في قتال دولة المسلمين، وإعاقة نشاط جنودها هناك كما يفعل إخوانهم في الشام اليوم... وربما طال على هؤلاء الأمد فنسوا ما حلّ بهم في السنوات الماضيات على أيدي جنود دولة الإسلام، الذين طهّروا الأرض من دنسهم، وجعلوهم عبرة لمن خلفهم من الأنام. ونحن جاهزون مستعدّون -بإذن الله تعالى- لإعادة الدّرس من جديد مرات ومرات، ولن يشغلنا عن ذلك قتال الروافض والصّليبيين وأمم الكفر أجمعين. ولعلّهم نسوا كيف غدرت بهم أمريكا من قبل، بعد أن استنفدت فائدتها منهم بقتال الموحّدين، ثم أسلمت رقابهم للروافض المشركين، فساموهم سوء العذاب، قتلا وأسرا وتشريداً".

وأبدى التنظيم شماتته بنبرة واضحة بانتشار الفايروس في العالم بقوله:"أرسل الله بقدرته على أتباع فرعون طواغيت هذا الزمان وأشياعهم وأتباعهم ومنتخبيهم وعبيدهم وجنودهم عذاباً من عنده، هو أضعف مخلوقاته، لا تراه الأعين، وقد حير العالم بأسره وعلى رأسهم الطواغيت والجبابرة". وأضاف "فاليوم دارت عليكم الدوائر، نحن نفرح اليوم على ما أصابكم من عذاب الله".

وتجدر الاشارة إلى أن اشتداد أزمة فيروس كورونا المستجد هذا العام تزامنت مع دخول شهر رمضان المبارك، وهو الذي لم يسلم من تحريف تنظيم داعش لمعانيه العظيمة، حيث استغله كفرصة سنوية لدعوة الاتباع وحضهم على زيادة وتيرة العمليات الارهابية. والمؤكد هنا على كل حال، والذي تؤيده خطابات وتصريحات وأفعال التنظيم بغض النظر عن وجود وتضافر عوامل أخرى محفزة، أن أزمة كورونا شكلت فرصة لم يتوان في تسليحها ومحاولة استغلالها، سواء من الناحية الفكرية والايديولوجية أم التنظيمية والعملياتية، ومن غير المستغرب على تنظيم داعش الارهابي، الذي تبنى ووظف العمليات الانتحارية بشكل غير مسبوق كخيار تكتيكي مهم في

استراتيجيته العسكرية أن يحتفي بهذا الوافد الجديد الذي نشر الرعب والذعر وتسبب في الركود الاقتصادي والشلل الاجتماعي بل والسياسي، في عدد من الدول. فهذه كلها أهداف كان، وما زال يسعى لتحقيقها.[١]

ومن المعلوم من خلال البحث في تجارب الجماعات الارهابية في العراق واضح لنا إن تنظيم داعش يجيد التراجع والتكيف والتأقلم مع الهزائم والعمليات العسكرية التي مني بها تنظيم القاعدة في سنتي ٢٠٠٦ و٢٠٠٧ أبان قتال الصحوات السنية ضده، وفي الهزائم المتكررة أمام عمليات القوات العراقية والسورية والتي كان آخرها هزيمته في الباغوز السوري، وهذا يؤشر قدرة التنظيم على المرونة والديناميكية على الأصعدة العملياتية والتكتيكية.

وتشير استجابة الجهادية العالمية لجائحة "كورونا" إلى تفوق تنظيم "داعش" على تنظيم "قاعدة الجهاد"، على المستويات النظرية والعملية كافة، وهو ما يعكس صعود نهج "داعش" وانحسار نهج "القاعدة" الذي ظهر جلياً منذ ٢٠١٣، فقد اقتصرت استجابة تنظيم "القاعدة" على إصدار بيانات دعائية وتنفيذ بعض الهجمات المحدودة. ونشرت القيادة العامة لتنظيم القاعدة المركزي في أفغانستان بياناً في ٣١ آذار/ مارس ٢٠٢٠، بعنوان "السبيل لخروج البشرية من بطن الحوت: وصايا ومكاشفات بشأن وباء كورونا"، تضمن خطاباً تقليدياً حول تفوق "الإسلام" في التعامل مع الجوائح، واعتبارها عقاباً إلهياً. ولم يدعُ تنظيم القاعدة أتباعه إلى القيام بعمليات إرهابية، وكانت استجابة مختلف فروعه مماثلة، مع تنفيذ هجمات محدودة، بخاصة "جماعة نصرة الإسلام والمسلمين" في مالي، و"حركة الشباب المجاهدين" في الصومال، و"قاعدة الجهاد في جزيرة العرب" في اليمن.[٢]

ومن خلال ما سبق وغيره من سرديات ومنشورات تنظيم داعش، يلحظ المتتبع لمسيرة الجماعات الارهابية في العراق وتحولاتها تأثرها الكبير بالأفكار السابقة، فعلى الرغم من تبعية الزرقاوي لتنظيم القاعدة، إلا أنه على خلاف ذو ابعاد ايديولوجية وتكتيكية واستراتيجية سرعان ما نشبت بينه وبين بن لادن، فأيديولوجية الزرقاوي ترتكز على الصراع الهوياتي (السني- الشيعي) بدلاً من الطروحات الأممية للقاعدة حول ضرورة قتال العدو البعيد ونصرة المستضعفين. ودخلت السلفية الجهادية مرحلة جديدة في علاقاتها بتنظيم القاعدة، فتحولت الى حركة اجتماعية وسياسية يغلب عليها التدين الطائفي والمذهبي، وهذا التدين أو التعصب المذهبي لا يقتصر على

[١] –عبدالله بن خالد بن سعود الكبير آل سعود، استغلال الازمات: الجماعات الارهابية، اليمين المتطرف، الجريمة المنظمة في ظل فيروس كورونا، المجلة العربية للدراسات الامنية، العدد (٣٦)، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، الرياض، ٢٠٢٠، ص ص١٦٢–١٦٣.

[٢] –حسن ابو هنية، الجائحة تنعش الجهادية العالمية، منشور على شبكة المعلومات العالمية:
https://daraj.com/46947/

التمايز مع الآخر في ممارسة الشعائر الدينية أو الاحوال الشخصية. وهذا التدين انتج أشكالاً جديدة وغير مسبوقة من الممارسات العنفية التي يمكن أن نعاينها في سلوك تنظيم داعش الارهابي.[١]

ونتوقع عودة تنظيم داعش مجدداً للمشهد الأمني في العراق وسورية وكل دول الشرق الاوسط وشمال افريقيا، وسيظهر ذلك في شكل عدد متزايد من الهجمات الارهابية، فحالة عدم الاستقرار السياسي والامني والصحي في الدول المختلفة، مع تركيز الحكومات على خطر مكافحة فايروس كورونا المستجد سيُخفف الضغط العسكري على التنظيم. وعند مراجعة تاريخية بسيطة إلى بدايات تمدد داعش في محافظة العراق ومدى ممارساته العنفية، وسيطرته على كميات هائلة من مختلف أنواع الأسلحة والآليات الخفيفة والثقيلة، وسيطرته على موارد النفط والحدود التي تفصل بين دول الجوار وهيمنته على جميع المرافق الاقتصادية والخدمية والبنوك وفرض الأتاوات كلها شكلت مدخلات قوة لتمدد هذا التنظيم الارهابي وزيادة قوته والقدرة على تجنيد الخزين البشري في العراق وسورية والذي أصبح تحت رحمته وهيمنته، وبالتالي أمتلك تنظيم داعش جميع مقومات الدولة ولا ينقصه سوى الاعتراف الدولي حيث سيطر على الأرض والشعوب ورسم لنفسه حدود جديدة والتي تتوسع بشكل مستمر، هذا الواقع سيحاول التنظيم استعادته بتكثيف عملياته الارهابية في أي منطقة رخوة أمنياً واستخباراتياً، محاولاً من خلالاها أن يحصل على اراضي جديدة تعوضه عن هزائمه التي مني بها في العراق وسورية.

نحن نعتقد أن فرص إعادة تموضع التنظيم "الإرهابي" في العراق وسورية، في ظل الانشغال الإقليمي والدولي بمواجهة جائحة كورونا ممكن خاصة في ظل تراخي القبضة الأمنية في المحافظات الغربية وإنشغال الأجهزة الأمنية بمتابعة إجراءات الحضر الصحي ومراقبة مداخل المدن. ولقد كشف انتشار جائحة كورونا العديد من الثغرات الأمنية والبنى التحتية الحيوية في العديد من المناطق الهشة أمنياً في غرب وشمال العراق في المناطق الصحراوية القريبة من المدن، وفي الوقت نفسه، وضع انتشار فايروس كورونا المستجد قوات الأمن العراقية المختلفة، أمام تحدي المحافظة على مكاسب الانتصار الكبير على تنظيم داعش الارهابي وتحرير المناطق العراقية كلها منه، فمع ضرورة المحافظة على أمن الدولة وصحة المجتمع، يجب أن لا نغفل أن التنظيمات الارهابية تجيد اغتناء الفرص.

[١] –حمزة مصطفى، تنظيم الدولة الاسلامية في سورية النشأة والبيئة، في مجموعة مؤلفين، تنظيم الدولة المكنى داعش، الجزء الثاني: التشكل والخطاب والممارسة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٨، ص ص٢٢–٢٤٣.

ونعتقد أن جائحة كورونا جاءت لتشكل طوق نجاة لتنظيم داعش، فنجح في إعادة تغلغله في البيئات المجتمعية السنية، مستغلاً تشتت جهود القوات الامنية بين مكافحة الارهاب وإجراءات الحجر الصحي لمواجهة انتشار فايروس كورونا المستجد.

عامل آخر ساهم في اندفاع تنظيم داعش الى زيادة عملياته في العراق وسورية تمثل في الازمات السياسية الداخلية في العراق، فضلاً عن ازدياد حدة الصراع بين الولايات المتحدة الامريكية وايران، ومطالبة ايران بخروج القوات الامريكية من العراق بعد استشهاد قاسم سليماني قائد فيلق القدس الايراني وابو مهدي المهندس في غارة امريكية في مطار بغداد الدولي. وادرك تنظيم داعش أن تمدده وانتشار عملياته لن يجد أفضل من هذه الظروف الداخلية والخارجية.

في الحصيلة، لو نظرنا الى انتشار عمليات تنظيم داعش في كل الدول التي ينشط فيها لوجدنا تزايداً ملحوظاً في مستوى العمليات ونوعية الاهداف المنتقاة في عملياته الارهابية، ونعتقد أن هذه هي بداية للمرحلة الاولى من استراتيجيته في ادارة التوحش التي يعتمد فيها على الانهاك والنكاية، والتي تمثلت في اصدراته الجديدة في (غزوة الاستنزاف ٤) التي شن من خلالها تنظيم داعش (١٣٦) هجوماً في (١١) منطقة، وكان ثقل عملياته في العراق وسورية فنشر في تقرير مصور قيامه بـ(٤٢) عملية ارهابية في العراق، و(٣٥) عملية ارهابية في سورية خلال الاسبوع الاول من ذو الحجة السابق.

ووفق دراسة بعنوان "داعش في زمن كورونا"، قال الباحث في شؤون الجماعات الإسلامية مصطفى زهران إن "التيارات الإرهابية -وعلى رأسها تنظيم داعش- اعتادت ألا تكون بمعزل عن السياق القائم حولها، ومع كل إخفاق لها تسعى لإعادة التموضع مرة أخرى، من خلال توظيف التحولات الطارئة في محيطيها المحلي والإقليمي. وأشارت الدراسة التي نشرتها "مؤسسة ذات مصر

للدراسات والأبحاث" إلى أن التحولات التي نجمت عن ظهور كورونا من زعزعة للإستقرار السياسي والأمني والاقتصادي لعدد كبير من دول العالم حفزت شهية التنظيم على إعادة رسم استراتيجيته المستقبلية من جديد، وهو ما ظهر في إستنفار مقاتليه لإغتنام اللحظة الراهنة بالتصعيد.[١]

إن قوة تنظيم داعش الارهابي وإعادة تفعيل نشاط عملياته الارهابية ترتبط إلى حد كبير بمدخلات السياسات الحكومية في معالجة واقع ما بعد هزيمة داعش في مناطق العمليات العسكرية، وشعور مواطني المناطق التي كان يسيطر عليها التنظيم بغياب العدالة والتهميش وتعاظم الأزمات السياسية في ظل غياب واضح لتعويضهم عن الدمار الكبير للمناطق المحررة، مما قد يستغله التنظيم الارهابي لخلق بيئة جديدة للتجنيد والدعاية والعمل الارهابي.

وقال تقرير حديث لمجموعة (الأزمات الدولية)، إنه "مع تفاقم معدلات ضحايا فيروس (كورونا المستجد) ينبغي أن يتهيأ العالم لهجمات من جانب (داعش) الذي يُعتقد أنه في استعادته لاستغلال حالة الاضطراب التي أثارها الوباء. ويستلزم هذا التهديد المستمر تعاوناً دولياً، يأمل (المسلحون) أن يستنزفه الفيروس". وأضاف التقرير أن "خطاب (داعش) إزاء الفيروس تطور مع اتضاح معالم نطاق تفشيه الجغرافي، وحجم ضحاياه. ففي شهر كانون الثاني الماضي، أبدى التنظيم مع ظهور الفيروس (نبرة شماتة) واضحة؛ إلا أن التنظيم يبدو الآن قد تعايش مع فكرة تفشي الوباء عالمياً، وذلك ضمن فلسفته التي تتسم دائماً بالتناقض". وأكد خالد الزعفراني، المتخصص في شؤون الحركات الأصولية بمصر لجريدة (الشرق الأوسط)، أن: (داعش) يهدف من طموحاته في (زمن كورونا) رفع الروح المعنوية لعناصره، وتأكيد أن التنظيم (لا يزال حياً)، في محاولة لإثبات الوجود من جديد، والعودة لدائرة الضوء.

وفي الشهر اذار من هذا العام، أعلنت الحكومة العراقية انسحاب القوات الفرنسية العاملة ضمن التحالف الدولي ضد داعش بعد تعليق برنامج تدريب القوات العراقية، وهو ما عُدّ "إجراءً وقائياً" من تفشي فيروس كورونا.

وفي الشهر نفسه، ألغى الجيش الأمريكي تمرينين رئيسيين مع دول أفريقية خوفاً من انتشار كورونا.

[١] –موقع الجزيرة الفضائية، هل يمنح كورونا قبلة الحياة لتنظيم الدولة في سيناء؟، منشور على شبكة المعلومات العالمية:
https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/4/8/%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7-%D9%85%D8%AE%D8%A7%D9%88%D9%81-%D9%85%D9%86-%D8%AA%D9%85%D8%AF%D8%AF-%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9

وفي العراق، تتركز الجهود اليوم على مكافحة جائحة كورونا، في ظل تزايد حالات الإصابة بالفيروس. وما يعزز فرضية الطرح السابق أيضاً أن انتشار فيروس "إيبولا" في بعض مناطق أفريقيا عام ٢٠١٧ لم يؤثر على نشاط تنظيم الدولة في تلك المناطق. إن عودة تنظيم الدولة مجدداً إلى المشهد، بدأت تتجلى في الهجمات المتزايدة في دول العراق وسورية، التي تعاني حالة مستمرة من الازمات السياسية وعدم الاستقرار السياسي، مع تركيز الحكومات على خطر انتشار فايروس كورونا المستجد، وانتقال الجهد العسكري من مكافحة الارهاب الى تنفيذ اجراءات الحجر الصحي. كما أعلنت أكثر من دولة في التحالف الدولي ضد داعش عن توقف عملياتها في مكافحة الإرهاب بسبب فايروس كورونا، الامر الذي أدى الى استعادة التنظيم لبعض قدراته العملياتية وتنظيم صفوفه للقيام بعمليات جديدة.

لم تختلف أساليب تنظيم داعش وأهدافه في ظل انتشار جائحة كورونا عن أساليبه وأهداف عملياته التي لم تراع من قبل حرمة لشيء فنفذت عشرات العمليات الإرهابية في رمضان كما ذكرنا، ولنا أن نحلل زيادة عملياته الارهابية في ظل تفشي فايروس كورونا المستجد كنوع من الاستغلال الجشع للظروف الصحية التي تعيشها الانسانية اليوم في الحصول على انتصارات صورية ليستقطب بها السذج من الشباب المغرر بهم، ومن الذين يحملون فكر التكفير والتطرف. فتنظيم داعش نظر لإنتشار الوباء على أنه فرصة، وأكد في أكثر من مقال على أهمية الاستفادة من الوضع الحالي واستغلال الانشغال بمكافحة الوباء من أجل شن المزيد من الهجمات، كما شددت على الحاجة إلى تعبئة واستغلال الخوف الاجتماعي الذي يحدثه المرض.

مصادر ومراجع الفصل الثالث:

أولاً: الكتب العربية والمترجمة:

١- هيثم الكيلاني، مفهوم الامن القومي العربي: دراسة في جانبيه السياسي والعسكري، في كتاب: الامن العربي التحديات الراهنة والتطلعات المستقبلية، اعمال ندوة الامن العربي في الدار البيضاء، مركز الدراسات العربي الاوربي، باريس، ١٩٩٦.
٢- حمزة مصطفى، تنظيم الدولة الاسلامية في سورية النشأة والبيئة، في مجموعة مؤلفين، تنظيم الدولة المكنى داعش، الجزء الثاني: التشكل والخطاب والممارسة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٨.
٣- نصر الله عباس، رؤية مستقبلية لاستراتيجية عسكرية لبنانية، الاكاديمية العسكرية العليا، دمشق، ١٩٩٩.
٤- عبدالقادر محمد فهمي، المدخل الى الدراسة الاستراتيجية، دار الرقيم، ط١، بغداد، ٢٠٠٥.
٥- محمد رضا فودة، الاستراتيجية والامن القومي، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، ١٩٩٥.
٦- سالم محمد عبود، الامن الوطني بين البطالة والتنمية: دراسة مستقبلية في الواقع العراقي، المكتبة الوطنية، بغداد، ٢٠١٣.
٧- روبرت ماكنمارا، جوهر الامن، ترجمة: يونس شاهين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٠.
٨- عزمي بشارة، تنظيم الدولة المكنى (داعش)، الجزء الأول: إطار عام ومساهمة نقدية في فهم الظاهرة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٨.
٩- ابي بكر ناجي، ادارة التوحش: اخطر مرحلة ستمر بها الامة، مركز الدراسات والبحوث الاسلامية، بلا مكان، بلا تاريخ.

ثانياً: المجلات والدوريات:

١- عبدالله بن خالد بن سعود الكبير آل سعود، استغلال الازمات: الجماعات الارهابية، اليمين المتطرف، الجريمة المنظمة في ظل فيروس كورونا، المجلة العربية للدراسات الامنية، العدد (٣٦)، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، الرياض، ٢٠٢٠.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح:

١- علي عبد العزيز مرزه نور الياسري، الأبعاد الفكرية السياسية لإستراتيجية الأمن القومي في العراق، رسالة ماجستير (غير منشوره)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٩.
٢- رفاه عبدالعظيم عبدالحسن، السياسات العامة للأمن الوطني في مكافحة الإرهاب في العراق بعد عام ٢٠٠٣، رسالة ماجستير (غير منشوره)، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠١٧.

٣- عثامنة الهام واخرون، دراسة وصفية تصنيفية تحسيسية لكل من فيروسي ايبولا وكورونا، مذكرة تخرج لنيل شهادة استاذ التعليم المتوسط، المدرسة العليا للاساتذة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، ٢٠١٥.

رابعاً: الانترنيت:

١- حسن ابو هنية، الجائحة تنعش الجهادية العالمية، منشور على شبكة المعلومات العالمية: https://daraj.com/46947/

٢- محمد أبو رمان، داعش وكورونا و"المربع الأول" منشور على شبكة المعلومات العالمية: https://www.alaraby.co.uk/%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4-%D9%88%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7-%D9%88%22%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A8%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84%22

٣- حسن ابو هنية، الجائحة تنعش الجهادية العالمية، منشور على شبكة المعلومات العالمية: https://daraj.com/46947/

٤- موقع الجزيرة الفضائية، هل يمنح كورونا قبلة الحياة لتنظيم الدولة في سيناء؟، منشور على شبكة المعلومات العالمية: https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/4/8/%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7-%D9%85%D8%AE%D8%A7%D9%88%D9%81-%D9%85%D9%86-%D8%AA%D9%85%D8%AF%D8%AF-%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9

خامساً: الصحف:

١- صحيفة النبأ، العدد (٢٢٥)، ١٢/اذار/ ٢٠٢٠.

الفصل الرابع: الفصل الرابع: تداعيات جائحة كورونا على الواقع السياسي العراقي (استشراف مستقبلي):

م.د.معتز اسماعيل الصبيحي*

المقدمة:

إن واقع العراق السياسي في ظل جائحة كورونا يعزز وجهة النظر القائلة بوجود العديد من الاحتمالات والبدائل المفتوحة التي تهدد مستقبل العراق ومواطنيه، هذه الاحتمالات كمآلات لمستقبل العراق سنحاول أن نستشعر منعطفاتها الخطيرة، أو مشاهدها، وصولاً الى استشعار الازمات التي من الممكن حدوثها في المستقبل المنظور في الاشهر المقبلة، لتحديد بدائل التعامل معها بغية تقليل آثارها على مستقبل العراق عامة ومستقبل محافظة الانبار خاصة.

ومن المنطلق ذاته قسمنا هذه الورقة إلى ثلاثة محاور مهمة وخطيرة يمر بها العراق اليوم نحاول من خلال الاحاطة بها إلى الوصول إلى تصور يعين صانعي القرار السياسي العراق للخروج بالعراق الى السلام والحفاظ على وحدة العراق وشعبه، ومن هذه المحاور المهمة التي سنرتبها على شكل مطالب:

المبحث الأول: مستقبل الاحتجاجات الشعبية في ظل جائحة كورونا:

أندلعت احتجاجات تشرين العراقية في الأول من تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٩، لتبدأ الشرارة في بغداد، ومن ثم تنتقل إلى المحافظات الجنوبية، وذلك احتجاجاً على تفشي البطالة وانتشار الفساد وتردي الأوضاع الاقتصادية في البلاد، وقد تفاقمت مطالب المتظاهرين إلى أن وصلت إلى استقالة حكومة عادل عبد المهدي، وقد قوبلت المظاهرات بالعنف المفرط، ليصل عدد الشهداء إلى حوالي (٥٠٠)، والجرحى نحو ٢٣ ألف.

وعلى الرغم من أن تفشي فايروس كورونا في العراق أدى إلى انخفاض مستوى الاحتجاجات الشعبية التي أستمرت من شهر تشرين الأول/ اكتوبر٢٠١٩ إلى شهر أذار/ مارس ٢٠٢٠، فإن عدم إجراء عملية انتخابية مبكرة، مع أنظمة رعاية صحية متردية ومتهالكة في وقت تشهد الموازنة العامة عجزاً كبيراً، مع ازدياد معدلات البطالة والفقر، سيؤدي بعد انكشاف أزمة جائحة كورونا إلى

* –مركز الدراسات الاستراتيجية/ جامعة الانبار.

تجدد حركات الاحتجاج الشعبي في العراق، والتي من المتوقع أن تبدأ باحتجاجات الجياع أو ثورات الخبز في العراق وفي كل دول عالم الجنوب خاصة في ظل الأزمة الاقتصادية العالمية.

وعلى الرغم من حالة عدم اليقين التي يتسم بها مستقبل العراق لكن ذلك لا يمكن أن يحول عن محاولة بلورة تصورات تعين صانع القرار السياسي على الاستعانة ببعض الممكنات التي نرى أنها ستخفف من حدة الاعتراضات الشعبية، وحددنا مستقبل الاحتجاجات في العراق بثلاث سيناريوهات أو مشاهد هي:

المشهد الاول: استمرار الاحتجاجات الشعبية بعد انكشاف جائحة كورونا بسلميتها رغم القمع المفرط من قبل السلطة في حقبة حكم رئيس الوزراء السابق السيد عادل عبدالمهدي، هذا الاحتمال هو الاحتمال الأضعف فاستخدام جهات غير معروفة للاغتيالات والخطف لشخصيات اكاديمية أمثال الدكتور هشام الهاشمي ونشطاء مدنيين والإفراط باستخدام القوة للقضاء على المظاهرات والاحتجاجات الشعبية ضد الفساد وفقدان هيبة الدولة، سيؤدي إلى زيادة الفجوة والهوة بين النخبة السياسية والمجتمع، ومن ثم انعدام الاستقرار السياسي والاجتماعي والأمني.

المشهد الثاني: انتهاء الاحتجاجات إما بتحقيق المطالب أو بالقمع:

هذا المشهد وارد جداً خاصة في ظل التجارب السابقة في التعامل مع الاحتجاجات الشعبية بالقوة وانهاء تواجدها، واستيراد هذه التجارب من دول الجوار الجغرافي العراقي قد تحفز النظام السياسي العراقي على تكرار استخدام القوة في سبيل انهاء الاحتجاجات الشعبية إن تجددت في المستقبل.

وقد تنتهي الاحتجاجات بالإصلاح السياسي المنشود وهذا الاصلاح صعب التحقق في ظل حكومة رئيس الوزراء الحالي مصطفى الكاظمي المؤقتة، هذا المشهد يحتاج إلى تغييرات سياسية كبيرة قد تطال جوهر العملية السياسية التي تأسست على المحاصصة بعد ٢٠٠٣، وإلى تغييرات في بنية النظام السياسي وتبديل شبه جذري لقواعد عمل النخبة السياسية فيه. هذا المشهد تفاؤلي لكنه بعيد المنال وصعب التحقيق في ظل معطيات الواقع السياسي الداخلي والخارجي.

المشهد الثالث: هذا المشهد هو نتيجة لكل ما سبق وهو الأخطر على مستقبل العراق وهو انتشار الفوضى الأمنية بعد انكشاف جائحة كورونا:

إذا فقدت الحكومة العراقية الحكمة وحاولت سحق وإسكات المحتجين والساخطين فإن الأمور ستزداد سوءاً، فمؤشر استخدام العنف ضد المطالبين بالإصلاح السياسي والاقتصادي يشير إلى أن الأمور تنحدر إلى نسف مستقبل الدولة العراقية، فإستخدامه يؤشر إلى أن الأمور لا تسير بشكل جيد، وأن هناك فئات معينة انطلاقاً من شعورها باليأس أو قناعات أخرى، مستعدة لإنتهاك سيادة القانون لإحداث تغيير سلبي، وعادة ما يكون رد الفعل الأول للسلطة عندما تواجه اضطرابات داخلية، هو استخدام الأداة العسكرية، والقاء اللوم على صناع المشاكل والمتآمرين.

المبحث الثاني: تأثير الجائحة على تنفيذ السياسات العامة:

عملية تنفيذ السياسة العامة **(Public Policy Executive)** هي اتخاذ كل ما يلزم القيام به من أعمال بقصد تحقيق الأهداف، أي هو ترجمة السياسة العامة بما تنطوي عليه من أهداف وقواعد ومبادئ إلى خطط وبرامج عمل محددة ينتظر أن يترتب على تطبيقها أن تتحقق الأهداف، وتستلزم عملية تنفيذ القرارات والسياسات العامة المتخذة القيام بسلسلة من النشاطات التنظيمية داخل الجهاز الإداري تبدأ هذه القرارات والسياسات بواجبات ومسؤوليات يتطلب القيام بها، الغرض منها تحقيق تنفيذ القرارات والسياسات العامة. وتعد مهمة تنفيذ القرارات العامة وترجمة مضامينها إلى مشاريع وبرامج أو إلى نشاطات إنتاجية وخدمية وترفيهية من المهام الرئيسية التي تقع على عاتق الأجهزة التنفيذية المتمثلة في المؤسسات والمديريات العامة لمختلف الوزارات ، وتأتي أهمية التنفيذ من كونها متممة لمرحلة صنع السياسات أو القرارات العامة ورسمها.[١]

ومرحلة تنفيذ السياسة العامة تنطوي على خطوات من أجل الوصول إلى حلول للموقف، أو المشكلة العامة التي تحتاج إلى حل، ومن هذه الخطوات هي ميزانية التنفيذ إذ يعد التمويل ضرورة لازمة لضمان تنفيذ السياسة العامة ولنجاح خططها وإجراءاتها بمعنى أن القرار الحكومي لا يتحول

[١] – إسراء علاء الدين نوري أحمد البكر، مساهمة النظم الإدارية في صنع السياسات العامة: دراسة مقارنة، رسالة ماجستير (غير منشوره)، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠٠٥، ص ١٦.

إلى حقيقة واقعية وعمل فعلي إلا إذا اقترن بتوفير الموارد المالية اللازمة المحددة التي تم رصدها سلفاً سواء عند اتخاذ القرار أو عند التخطيط.[١]

يخضع التمويل إلى قدرة الدولة المالية وحجم الإيرادات المتوفرة لديها ويختلف هذا الإيراد من دولة إلى أخرى، فبينما تعتمد دول بكامل ميزانيتها على الضرائب؛ تعتمد دولاً أخرى على الموارد الطبيعية والثروات أو المساعدات والمنح الخارجية، ولا شك- تأسيساً على ما سبق- إن نجاح السياسة العامة يعتمد بدرجة كبيرة على توفر التمويل اللازم لها، فالقرار الحكومي لا يتحول إلى عمل فعلي إلا إذا اقترن بتوفير قدر مناسب من الموارد المالية، حيث أن تحويل السياسة العامة إلى فعل لا يتضمن فقط بلوغ أهداف صنع السياسة، وإنما استمرارية صنعها وهذا يحتاج -من جملة ما يحتاج- إلى توفير مصادر اقتصادية وقدرات بشرية كافية لتنفيذ السياسة العامة.[٢]

فالتمويل هو قرار سياسي بمقدار المال العام الذي تخصصه الحكومة لتنفيذ سياسة عامة، ومصدر هذا المال، والميزانية العامة للدولة هي الأداة التي يعتمد عليها في تحديد نفقات الدولة ومواردها، أي مقدار الانفاق العام على ما تمارسه الحكومة من نشاطات، ومصادر هذا الانفاق. ولذا يمكن اعتبار الميزانية العامة قائمة جرد بالسياسات العامة التي تكلف السلطة التنفيذية والادارة العامة بتنفيذها خلال السنة المالية. وبالتالي فحجم الميزانية العامة للدولة يرتبط ارتباطاً مباشراً بدور الدولة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ويزاد بزيادة نشاطات الحكومة وتشعبها وتغلغلها في مختلف جوانب الحياة.[٣]

ومن المعلوم أم الموازنة العراقية لعام ٢٠٢٠ لم تقر الى (يومنا الحاضر ٢٠٢٠/٩/٢٦)، وهذا سيؤثر بشكل كبير على تنفيذ السياسات العامة ومنها السياسات الصحية لمواجهة جائحة كورونا وغير من السياسات العامة الاستراتيجية، كالأمن والدفاع، وكان من المفروض على حكومة عبد المهدي أن تقدم موازنة ٢٠٢٠ لإقرارها واصدار قانونها، إلا أن الحكومة قد أجبرت على الاستقالة لفشلها وضعفها، وتشير التقارير إلى أن جلسات إعداد مشروع قانون الموازنة من قبل اللجان المختصة كانت قد بدأت منذ شهر حزيران ٢٠١٩ ورغم أننا في نهاية الشهر التاسع من العام ٢٠٢٠، إلا أن المشروع لم يرى النور.

[١] – ثامر كامل الخزرجي، النظم السياسية والسياسات العامة دراسة معاصرة في استراتيجية إدارة السلطة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤، ص ص١٧١ –١٧٣.

[٢] – علي عبد الهادي المعموري، سياسة الأمن الوطني في العراق بعد ٢٠٠٣، رسالة ماجستير غير منشوره، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠١٥، ص٢٥.

[٣] – خيري عبد القوي، دراسة السياسة العامة، الكويت، منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٩، ص١٥٤.

ومع انهيار اسعار النفط العالمية والعجز المالي الكبير في الموازنة العراقية المقترحة, سيؤثر هذا الانهيار والعجز على تنفيذ الكثير من السياسات العامة في العراق، خاصة وأن واردات الموازنة العامة العراقية تعتمد بحوالي ٩٣% على ايرادات النفط، وستعمق هذه الازمة من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية المتفاقمة أصلاً قبل انتشار الجائحة، الأمر الذي سينعكس على فقدان النظام السياسي لشرعيته، ومن المتوقع أن دول العالم الصناعية ذات الاقتصاديات المستقرة لن تتعافى من آثار هذا الفايروس على اقتصادياتها، ومن المؤكد أن العراق ودول عالم الجنوب ذات الاقتصاديات الريعية المتخلفة ستحتاج إلى سنين حتى تستعيد عافيتها. ولن يخفف من حدة التداعيات على الاقتصاد العراقي إلا احتمالية زيادة الطلب على النفط في السوق العالمية وازدياد اسعاره بعد انخفاض نسبة انتشار الجائحة عالمياً وبدء المصانع بالإنتاج، واتفاق الدول المصدرة للنفط على رفع اسعاره.

إن العجز الكبير في الموازنة العراقية الذي تمت الاشارة اليه، والذي ثبتته وزارة المالية عند إعداد الموازنة بـ(٧٢) تريليون دينار عراقي، والذي رفض البرلمان بسببه استلام مشروع الموازنة بهذا العجز الكبير، إلا بعد اجراء التعديلات وتخفيض العجز إلى حدود الـ (٤٨) تريليون دينار عراقي، وحتى بعد تخفيض العجز فإن هذا الرقم لوحده يعد كارثة اقتصادية. وهذا التأخير في اقرار الموازنة سيؤدي الى تأخير عملية تمويل تنفيذ السياسات العامة، واعادة اعمار المدن المحررة من داعش واعادة المهجرين إلى ديارهم وتعويض المتضررين من العمليات العسكرية في الانبار والموصل وصلاح الدين، فضلاً عن ذلك ملفات الفساد الكبير الذي ينخر في مفاصل الدولة العراقية والابتزاز المستمر عند تنفيذ السياسات العامة لدفع مبالغ مالية كرشى في الكثير من المناطق المحررة مقابل تمرير قبول العروض للمشاريع.

المبحث الثالث: مستقبل الانتخابات المبكرة في العراق عام٢٠٢١ في ظل جائحة كورونا:

تعمل المؤسسات السياسية على صياغة قواعد اللعبة التي تتم ممارسة الديمقراطية بموجبها، ويمكن القول بان النظام الانتخابي هو إحدى المؤسسات السياسية التي يسهل التلاعب بها، ان ايجابياً او سلبياً. فعبر ترجمة الأصوات الى مقاعد في الهيئة التشريعية، يمكن للخيار الممارس في اختيار النظام الانتخابي أن يحدد من هم المنتخبون وأي الأحزاب يحصل على السلطة. وبينما يتم تحديد الكثير من الأطر السياسية لبلد ما في دستورها مما يزيد في صعوبة

تعديلها، غالباً ما يسهل تعديل النظام الانتخابي من خلال العمل على وضع قوانين جديدة فقط دون الحاجة لتعديل دستوري.[١]

وتعد الانتخابات في المجتمعات الديمقراطية آلية للحصول على الشرعية السياسية وتجديدها بين المواطنين، وتزداد أهمية الانتخابات كوسيلة لترسيخ الشرعية السياسية في مجتمعات ما بعد الصراع العرقي، إذ تفتقد السلطة الحاكمة للشرعية بين المواطنين، خاصة إذا كانت السلطة تدعم أحد أطراف الصراع في مواجهة طرف أو أطراف أخرى، وبالتالي تمثل الانتخابات فرصة لتعزيز شرعية الحكومة الناتجة من الانتخابات. إلى جانب هذا الدور تؤدي الانتخابات دوراً مهماً في دول ما بعد الصراع، إذ تمثل الانتخابات وسيلة يمكن من خلالها الحصول على الشرعية على المستوى الدولي، تلك الشرعية التي تعزز من الاستقرار داخل المجتمع وترسخ السلام بين اطرافه المختلفة. وفي حال النجاح في الحصول على الشرعية يمكن للمجتمع الدولي أن يوفر مساعدات سواء أكانت مالية تتعلق بالتخطيط وإجراء الانتخابات، أو المساعدة الفنية التي تحتاج اليها مجتمعات ما بعد الصراع بسبب افتقادها الخبرات فضلاً عن المساعدات السياسية المتصلة ببناء الاحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني.[٢]

تعد عملية اختيار النظام الانتخابي أحد أهم القرارات المؤسساتية في أي بلد ديمقراطي وتعبيراً عميقاً عن واقع الحياة السياسية، كما أن هدف أي نظام انتخابي على المدى الطويل هو البحث عن الوسيلة الافضل لبناء مؤسسات متينة بغية تعزيز نظام ديمقراطي يتمتع بقدر كاف من الاستقرار والمرونة، ما يسمح له بالتكيف مستقبلاً مع أي تغييرات تشهدها البلاد. وشهد العراق احتجاجات شعبية في اكتوبر/تشرين الاول عام ٢٠١٩، طالبت بتغيير النظام الانتخابي الذي عمل على استدامة النخبة الحاكمة بعد ٢٠٠٣، وهذا المطلب شهد تجاوباً من قبل الحكومة والبرلمان في استبداله بنظام انتخابي يقوم على أساس الاغلبية البسيطة والدوائر المتعددة. وتعبر الحالة العراقية بعد عام ٢٠٠٣، في موضوعة النظم الانتخابية عن حالة مستمرة في التعديل أو التغيير.

ومن أجل تجاوز كل الاخفاقات التي سبقت احتجاجات أكتوبر ٢٠١٩ في العراق المطالبة بالإصلاح السياسي لمنظومة العمل السياسي بعد ٢٠٠٣، وجب العمل على اصلاح عناصر مهمة في المنظومة القانونية التي تنظم عملية الانتخابات العراقية، لكن هذا الاصلاح لابد أن لا يغفل التنوع المجتمعي الديني والاثني والمذهبي في الدولة العراقية، فإصلاح النظام الانتخابي العراقي يجب أن

[١] – اندرو رينولدز واخرون، اشكال النظم الانتخابية، دليل المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات، سلسلة منشورات المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات، ستوكهولم، ٢٠٠٧، ص٢٠.

[٢] – وليد حسن رجب قاسم، الانتخابات في دول ما بعد الصراع العرقي: دراسة تحليلية، مجلة المستقبل العربي، العدد (٤٨٧)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ايلول سبتمبر ٢٠١٩، ص٤٤.

يعمل على ترجمة التنوع المجتمعي العراقي إلى مقاعد تشريعية لتجنب النزاعات المذهبية والعرقية، فالتمثيل النسبي يعد من أفضل الانظمة الانتخابية في المحافظة على استقرار المجتمع وإدارة الصراعات في المجتمع المتعدد، إلا أن توقيتات الانتخابات في الديمقراطية الناشئة بعد ٢٠٠٣، عمل على توزيع المناصب على أساس المحاصصة الطائفية، مما أثر سلباً في تحقيق أهدافها، كما أن ممارسة الكتل السياسية العراقية عمقت الانقسامات الطائفية في المجتمع العراق المأزوم طائفياً، مما زاد من حدة العنف على أسس طائفية، إضافة للتدخلات الخارجية في الشأن العراقي. كل ما سبق أثر على شرعية الانتخابات مما قلل من نسبة المشاركة السياسية في انتخابات ٢٠١٨، وبذلك فلم تحقق النظم الانتخابية العراقية مقاصدها.

وهناك ضبابية كبيرة وحديث متواصل في الشارع العراقي وفي وسائل الاعلام إلى حد وصل إلى الجدل حول النظم الانتخابية المقترحة، فقد جاء النظام المقترح من قبل حكومة السيد عادل عبدالمهدي رئيس الوزراء العراقي المستقيل، على قواعد النظام المختلط وهو نظام جمع ما بين نظام الأغلبية البسيطة ونظام التمثيل النسبي وهو نظام يخدم الكتل الكبيرة كسابقاته من الأنظمة التي أسست لسيطرة الاحزاب والكتل السياسية الكبيرة على المشهد السياسي العراقي. ثم جاء النظام المقترح والموجود الان في مجلس النواب العراقي ليعتمد اليات وقواعد تختلف كثيراً عن النظم الانتخابية السابقة باعتماده الاغلبية البسيطة والدوائر المتعددة في كل قضاء، هذا النظام سيضر كثيراً الأقليات والأثنيات العراقية وسيخدم النخب التقليدية ونواب الخدمات.

إنّ الحديث عن الانتخابات المبكرة في العراق هو حديث عن احتياجات ومستلزمات فرضتها الاحتجاجات الشعبية التي بدأت في تشرين الاول في العام الماضي على العملية السياسية العراقية، وتلك الاحتياجات والمستلزمات ذات أبعاد فكرية، كما هي ذات أبعاد مادية، وفيما يتعلق في الأبعاد المادية، والفكرية، فلا يحتاج بناء مستقبل اجراءها لعقول غير عقول أهله العراقيين، ولا مصلحة غير مصلحة شعبه، بَيْدَ ان هذا المستقبل في أبعاده الفكرية يحتاج إلى إعادة هيكلة حاضر العقل العراقي ليكون عقلاً مؤسساً على مجموعة مقومات هي بمثابة المداميك الفكرية الصلدة لعقد اجتماعي يمثل المرجعية الوطنية لعراق مستقل بلا تدخلات أجنبية، لعراق المواهب وليس المذاهب، لعراق ثقافة المساهمة بدلاً من ثقافة الخضوع والإذعان، لعراق مبدأ التسامح بدلاً من الاقصاء، لعراق التعددية السياسية والحزبية بدلاً من الواحدية الطائفية والدكتاتورية المقيتة، لعراق الاشتغال بحقوق الإنسان من الوعي التحيزي الضيق إلى الوعي الجمعي الواسع، لعراق الفدرالية بعيد عن المعايير القومية العنصرية والدينية الطائفية.[١]

[١] – عامر حسن فياض، جدلية العلاقة بين الاستقلال والديمقراطية في النظام السياسي العراقي المعاصر، مجلة العلوم السياسية، العدد (٢٩)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص١١١.

ونعتقد ان اعلان رئيس الوزراء العراقي السيد مصطفى الكاظمي في ٢٠٢٠/٧/٣١، موعداً مبكراً للانتخابات البرلمانية في العراق والتي حددها في يوم ٢٠٢١/٦/٦، لن يتم استكمال متطلباته نظراً لوجود الكثير من المتطلبات والمستلزمات الوجودية لإمكانية اجراء انتخابات مبكرة، فالدستور العراقي حدد الدستور العراقي في المادة (٥٦/ أولاً) على أن "تكون مدة الدورة الانتخابية لمجلس النواب أربع سنوات تقويمية، تبدأ بأول جلسة له، وتنتهي بنهاية السنة الرابعة". وهذا يعد معوق لإجراء انتخابات مبكرة إلا من خلال العمل على وفق المادة (٦٤) من الدستور العراقي التي تنص على "يُحل مجلس النواب، بالأغلبية المطلقة لعدد أعضائه، بناءً على طلب من ثلث اعضائه، أو طلب من رئيس مجلس الوزراء وبموافقة رئيس الجمهورية، ولا يجوز حل المجلس في اثناء مدة استجواب رئيس مجلس الوزراء". و"يدعوا رئيس الجمهورية عند حل البرلمان الى انتخابات عامة في البلاد خلال مدة اقصاها ستون يوماً من تاريخ الحل، ويعد مجلس الوزراء مستقيلاً، ويواصل تصريف الامور اليومية". من هنا يستوجب اجراء انتخابات مبكرة في ٢٠٢١/٦/٦ الى حل البرلمان قبل هذا الموعد بشهرين، أي في ٤/٦، ٢٠٢١، وهذا المتطلب ستواجهه الكثير من العقبات في المستقبل المنظور.

إضافة لما سبق فإن اجراء انتخابات مبكرة يتطلب استكمال النصاب القانوني لعدد اعضاء المحكمة الاتحادية، والتي تختص بالمصادقة على نتائج الانتخابات العامة لأعضاء مجلس النواب العراقي على وفق المادة (٩٣/سابعاً) من الدستور العراقي، وهذه المحكمة تعاني من نقص أحد أعضائها.

كما أن ضرورة اقرار قانون الانتخابات الجديد، يعد مطلباً شعبياً الذي من غيره لن تكون هناك جدوى من انتخابات مبكرة.

ولا يمكن اعتبار إجراء الانتخابات قبل موعدها الدستوري، بأشهر على أنها انتخابات مبكرة، يضاف إلى كل ذلك عوامل تسهم في إحباط الرهان على تسريع وتيرة هذه الانتخابات أهمها إنتشار جائحة كورونا التي أستفحلت مؤخراً كما ذكرنا وأعادت الكثير في حسابات المواطن العراقي وأولوياته تجاه السياسة بشكل عام والانتخابات بشكل خاص، فلم نعد نسمع مطالبات شعبية حول ذلك. ومن الملاحظ أن **(في الفترة من ٢١ فبراير ٢٠٢٠ حتى ٢٥ أغسطس ٢٠٢٠)**:[١]

[١] – الهيئة المستقلة للانتخابات، جائحة كوفيد-١٩ وتأثيرها على الانتخابات حول العالم-تحديث مستمر، منشور على شبكة المعلومات العالمية: https://www.iec.jo/ar/%D8%AC%D8%A7%D8%A6%D8%AD%D8%A9-%D9%83%D9%88%D9%81%D9%8A%D8%AF-19-%D9%88%D8%AA%D8%A3%D8%AB%D9%8A%D8%B1%D9%87%D8%A7-%D8%B9%D9%84%D9%89-

١- تم تأجيل الانتخابات العامة والإقليمية الفرعية في سبعين (٧٠) دولة وإقليم على الأقل بسبب مخاوف من انتشار جائحة كوفيد-١٩، من بينها ثلاثة وثلاثين (٣٣) دولة وإقليم على الأقل تم تأجيل الاستفتاءات والانتخابات العامة بها.
٢- تم إجراء الانتخابات العامة والإقليمية الفرعية في خمسة وخمسين (٥٥) دولة وإقليم على الأقل في المواعيد المُحَدَدة لها رغم مخاوف من انتشار جائحة كوفيد-١٩، من بينها سبعة وثلاثين (٣٧) دولة على الأقل أجرت انتخاباتها العامة أو استفتاءات على دساتيرها.
٣- تم إجراء الانتخابات في عشرين (٢٠) دولة وإقليم حيث تم تأجيلها سابقًا بسبب مخاوف تتعلق بانتشار جائحة كوفيد-١٩، من بينها اثني عشر (١٢) دولة على الأقل أجرت انتخاباتها العامة أو استفتاءات على دساتيرها.

ومن هنا نعتقد أن في ظل كل هذه التحديات سيكون على الحكومة العمل على تأجيل الانتخابات البرلمانية مرة أخرى، ويعد هو السيناريو الأقوى، ويرجع ذلك إلى احتمالية استمرار أزمة تفشي جائحة كورونا في العراق، ما دفع حكومة السيد الكاظمي إلى اتخاذ إجراءات مشددة للسيطرة على الفايروس. أضف إلى ذلك، حاجة مفوضية الانتخابات العراقية إلى وقت كافٍ للوفاء بمتطلبات الانتخابات، فضلاً عن تحقيق الاستقرار السياسي والامني في عموم البلاد بعد الاحتجاجات التي شهدها العراق في ٢٠١٩/١٠/١، والاحتجاجات على سوء الخدمات في شهر تموز ٢٠٢٠، أضف الى ذلك الخوف من سيطرت بعض الاطراف السياسية على مجريات الانتخابات وتغيير نتائجها، بالإضافة لكل ما سبق لا يزال الصراع بين الدولة العراقية وبعض الاطراف داخل منظومتها يعكس حالة مستدامة من عدم الاستقرار السياسي والأمني التي من المتوقع أن يكون لها الدور الأكبر في مستقبل العراق وتغيير موعد الانتخابات مرة أخرى.

وستشكل آليات التعامل مع الفايروس اختباراً لمدى قدرة النظام السياسي العراقي المتهم بالتقصير في ادارة الازمات التي يعاني منها العراق، والتي ستكون هي الاساس في السلوك الانتخابي للناخب العراق في الانحياز لهذه الشخصية أو تلك في المستقبل. بكلمة أخرى ان مدخلات السياسات العامة في التعامل مع مشكلة عامة (كفيروس كورونا المستجد)، سيكون لها مخرجات تتمثل بمعالجات لهذه الاشكالية الكبيرة، والتي ستكون لها تغذية تتمثل بمدى رضى المواطن أو سخطه عن السياسات الحكومية والتي ستؤثر حتماً في سلوكه الانتخابي لاحقاً.

فسيناريوهات الإنتخابات النيابية المبكرة في زمن كورونا، تنحصر خياراتها في ظل الوضع الوبائي الحالي والقادم، والذي يشهد انعطافات حادة في ظل اصابة (٤٥١٧٠٧)، ووفاة ما يقارب (١٠٦٢٣)

%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%AE%D8%A7%D8%A8%D8%A7%D8%AA-
%D8%AD%D9%88%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-
1%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB-%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%85%D8%B

حسب احصائية وزارة الصحة العراقية ليوم ٢٠٢٠/١٠/٢٥. بين إجراء الانتخابات النيابية العام القادم أو تأجيلها لحين انحسار جائحة كورونا، وبالتالي بقاء مجلس النواب الحالي لحين استكمال مدة الأربع سنوات المنصوص عليها في الدستور العراقي، ويشترط الدستور العراقي كما ذكرنا إجراء الانتخابات العامة قبل موعدها الى حل البرلمان، وفي حال تأخر هذا الشرط سيكون معوق دستوري للانتخابات المبكرة، وكان مجلس النواب أوقف أعماله بسبب جائحة كورونا، ولم ينته من مناقشة عدد من التشريعات أهمها: قانون الإنتخاب الجديد، والموازنة العامة لعام ٢٠٢٠. أو تأجيلها وهو السيناريو الذي نرى ملامحه تلوح في أفق العام ٢٠٢١، ويرى مؤيدو إجراء انتخابات مبكرة في ظل اجراءات التعايش مع انتشار جائحة كورونا، بأنه خيار أستراتيجي يحدد مصير مستقبل العراق، نظراً لسوء الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العراق التي تستدعي التضحية، لأن البلد وصل الى حافة الانهيار. لكن إجراء الإنتخابات المبكرة بالشكل التقليدي وأمام مظاهر الذهاب إلى الصناديق والاصطفاف الشعبي في المراكز الانتخابية، وما يسبقها من مهرجانات انتخابية وتجمعات للمرشحين، ستشكل مخاطر جدية على صحة المواطنين العراقيين في ظل الاعداد المتزايدة والتوقعات الصحية بموجة ثانية للجائحة، خاصة والعالم لم يصل الى اليوم الى لقاح فعال لمواجهة هذا الوباء القاتل، الأمر الذي يعزز فرص استمرار مجلس النواب العراقي الحالي لباقي مدته الدستورية. فلقد فرض انتشار مرض فيروس كورونا حالة من الارتباك والتردد في الدول التي كان من المقرر أن تعقد انتخابات رئاسية أو برلمانية في عام ٢٠٢٠. وتراوحت المواقف بين المضي قدماً في إجراء الانتخابات، وإجراء الجولة الأولى من الانتخابات ثم تأجيل الجولة الثانية، وتأجيل الانتخابات لمدة محددة أو لأجل غير مسمى.

ونعتقد أن توقيت الانتخابات في ٢٠٢١/٦/٦ في ظل تفشي كبير لفايروس كورونا وازدياد عدد الوفيات بسببه، لم يكن مناسباً، فقد تم تحديده في ظل حالة من عدم الاستقرار السياسي والامني والصحي، وهو ما جعل من هذه الانتخابات غير ذات جدوى ولن تحقق مقاصدها التي حددت مبكراً من أجلها، فالخوف من العدوى سيحد من المشاركة الانتخابية الفاعلة في تغيير وجهة النظام السياسي مستقبلاً، وبالتالي فمن الأفضل تأجيل هذه الانتخابات حتى يتم الوصول الى حالة من الاستقرار. كذلك فإن هذه الانتخابات يجب أن تتم بناءً على توافق القوى المجتمعية والسياسية المختلفة، ذلك التوافق اللازم لنجاح الانتخابات في أدائها لوظائفها وتحقيقها لمقاصدها.

فالمشكلة معقدة بحق ولا يوجد حل لها في ضوء الدستور والسوابق التاريخية، وأثير في هذا المجال اقتراحات باللجوء إلى التصويت الإلكتروني في بعض الدول، وأثارت جدلاً وخلافات سياسية ودستورية. والمخرج الوحيد لهذه المعضلة هو أن تنجلي غمة جائحة كورونا وتتوافر ظروف إجراء انتخابات تاريخية تغير الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي يعيشه العراق اليوم.

في نهاية هذا المبحث نقول: أن جو الاستقرار الأمني يمر اليوم في مفترق طرق، كما كان منذ التغيير بعد ٢٠٠٣، لكن الفارق هذه المرة هو أن هناك فرصة حقيقية للتفاؤل بشأن استقرار العراق إن اجريت انتخابات مبكرة في ظل قانون انتخابات عادل وادارة انتخابية نزيهة لها، ليتحول عراقنا العزيز الى نقطة استقرار أمني ومجتمعي في جو مليء بالفوضى الامنية والمجمعية التي تعانيها المنطقة، أما إذا لم نستطع على المحافظة على المكتسبات الأمنية والمجتمعية، فإن ما سنشهده من فوضى سيفوق الفصل الحار الذي عايشناه عند سقوط مدننا بيد تنظيم داعش الارهابي، وسيكون علينا كعراقيين الإنتظار طويلاً بعدها قبل أن ننعم بالأمان مرة أخرى، وسندفع الكثير من دماءنا وأموالنا وسنفقد الكثير من فلذات أكبادنا في سبيل تحقيق ذلك الأمان المنشود من جديد.

مصادر ومراجع الفصل الرابع:

أولاً: الكتب العربية والمترجمة:

١- ثامر كامل الخزرجي، النظم السياسية والسياسات العامة دراسة معاصرة في استراتيجية إدارة السلطة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤.

٢- اندرو رينولدز واخرون، اشكال النظم الانتخابية، دليل المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات، سلسلة منشورات المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات، ستوكهولم، ٢٠٠٧.

ثانياً: المجلات والدوريات:

١- وليد حسن رجب قاسم، الانتخابات في دول ما بعد الصراع العرقي: دراسة تحليلية، مجلة المستقبل العربي، العدد (٤٨٧)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ايلول سبتمبر ٢٠١٩.

٢- عامر حسن فياض، جدلية العلاقة بين الاستقلال والديمقراطية في النظام السياسي العراقي المعاصر، مجلة العلوم السياسية، العدد (٢٩)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٤.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح الجامعية:

١- علي عبد الهادي المعموري، سياسة الأمن الوطني في العراق بعد ٢٠٠٣، رسالة ماجستير غير منشوره، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠١٥.

٢- خيري عبد القوي، دراسة السياسة العامة، الكويت، منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٩.
٣- إسراء علاء الدين نوري أحمد البكر، مساهمة النظم الإدارية في صنع السياسات العامة: دراسة مقارنة، رسالة ماجستير (غير منشوره)، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠٠٥.

رابعاً: الانترنيت:

١- الهيئة المستقلة للانتخابات، جائحة كوفيد-١٩ وتأثيرها على الانتخابات حول العالم- تحديث مستمر، منشور على شبكة المعلومات العالمية:
https://www.iec.jo/ar/%D8%AC%D8%A7%D8%A6%D8%AD%D8%A9-%D9%83%D9%88%D9%81%D9%8A%D8%AF-19-%D9%88%D8%AA%D8%A3%D8%AB%D9%8A%D8%B1%D9%87%D8%A7-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%AE%D8%A7%D8%A8%D8%A7%D8%AA-%D8%AD%D9%88%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB-1%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%85%D8%B

الفصل الخامس: تداعيات جائحة كورونا على النظام الاقتصادي العالمي:

م.د مهند حميد مهيدي*

تمهيد:

يكاد يجمع المختصون على ان الرأسمالية فشلت في مواجهة معظم الازمات التي واجهتها عبر تاريخها، واضطرت في أحيان كثيرة ان تتخلى عن أهم مبادئها، وبالرغم من شدة الازمة الحالية (جائحة كورونا) ووقوف النظام الرأسمالي موقف المتفرج منها، بعد تزايد الخسائر وافلاس الشركات وكذلك الدول، فضلاً عن المعدلات غير المسبوقة من البطالة وتراجع معدلات النمو، وغيرها من المؤشرات السلبية للاقتصاد الكلي، الا ان تغيير أي نظام يستلزم وجود نظام بديل كحد ادنى، وهذا البديل غير موجود حالياً.

لقد تسبب فيروس كورونا في أعمق ركود عالمي منذ عقود، وحتى اللحظة فإن النتيجة النهائية لا تزال غير مؤكدة ، اذ ان الوباء سيؤدي إلى تقلصات في الغالبية العظمى من الأسواق الناشئة والاقتصادات النامية، كما أنه سيؤدي إلى ضرر دائم لإنتاجية العمل والإنتاج المحتمل، لذا تتمثل أولويات السياسة الفورية في تخفيف التكاليف البشرية وتخفيف الخسائر الاقتصادية على المدى القريب. وبمجرد أن تنتهي الأزمة ، سيكون من الضروري إعادة التأكيد على التزام موثوق بالسياسات المستدامة وإجراء الإصلاحات اللازمة لدعم الآفاق طويلة الأجل، حينها سيكون التنسيق والتعاون العالميين حاسمين.

انتشرت جائحة كورونا بسرعة مقلقة، اذ أصابت الملايين ودفعت النشاط الاقتصادي إلى طريق مسدود تقريبًا، حيث فرضت البلدان قيودًا صارمة على الحركة لوقف انتشار الفيروس، مع تزايد الخسائر الصحية والبشرية ، أصبح الضرر الاقتصادي واضحًا بالفعل ويمثل أكبر صدمة اقتصادية شهدها العالم منذ عقود.

* –كلية القانون والعلوم السياسية/ جامعة الانبار.

المبحث الاول: النظام الاقتصادي العالمي بعد الحرب العالمية الثانية:

مع نهاية الحرب العالمية الثانية ظهرت مسألة الانقسام بين الدول المتقدمة والدول النامية، نتيجةً لتداعيات العلاقات الدولية ، اذ كانت غالبية المناطق المتخلفة قد خضعت للاستعمار منذ القرن التاسع عشر، وادخلت في دائرة الاقتصاد الدولي بعدّها مصدراً للمواد الأولية والعمل الرخيص من جهة، وسوقاً لتصريف المنتجات من جهة أخرى.

المطلب الأول: الأوضاع الاقتصادية بعد الحرب العالمية الثانية:

جاءت نهاية الحرب العالمية الثانية خاتمةً لمرحلة تاريخية هامة، تلاشى معها النظام القديم المرتكز على الدولتين الصناعيتين الاستعماريتين في بريطانيا وفرنسا، واحالتهما الى دولتين من الدرجة الثانية، في الوقت الذي بزغ نجم كل من "الولايات المتحدة الامريكية" الداعية الى النظام الحر من ناحية، و"الاتحاد السوفيتي" الداعي الى الاشتراكية من ناحية أخرى.

في عام ١٩٤٧ اعلنت "الولايات المتحدة الامريكية" على لسان وزير خارجيتها "جورج مارشال"، مبادرة مهمة اطلق عليها فيما بعد تسمية" مشروع مارشال"*؛ الغاية الأساسية منه هو مساعدة أوروبا اقتصادياً والنهوض بالاقتصاد الأوروبي الذي دمرته الحرب، وكانت الدعوة تشمل الاتحاد السوفيتي ايضاً، والذي ما لبث ان مدّ سيطرته الاقتصادية على دول أوروبا الشرقية، ليبدأ الصراع الأمريكي السوفيتي تحت مسمى "الحرب الباردة"، ولتستمر العداوة بين النظامين "الرأسمالي" و"الاشتراكي".

إن الأمر الأكثر أهمية في مشروع مارشال، يتعلق بما تم تنفيذه من توجهات في السياسة والمؤسسات الاقتصادية، فغداة خروج الدول الأوروبية من الحرب ووفقاً لاقتصادات الحرب، كان ممكناً ان تتجه صوب اعتماد سياسات التقييد والرقابة التي عرفتها طوال سنوات الحرب، ليأتي مشروع مارشال مستنداً الى العمل على تحرير التجارة وإزالة القيود، مما شكل الأساس الذي قام عليه النظام الاقتصادي العالمي لاحقاً[١].

(*) في ضوء مبادرة مارشال اجتمعت ست عشرة دولة أوروبية في باريس، نشأت ماعُرف بـ organization of European Economic Co-operation(OEEC)، للعمل على دفع النمو الاقتصادي لهذه الدول، وتحقيق الاستقرار المالي لها، وتدعيم التعاون الاقتصادي فيما بينها.

[١] حازم الببلاوي، النظام الاقتصادي الدولي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانية الى نهاية الحرب الباردة،سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت ٢٠٠٠، ص١٩.

ففي الوقت الذي قام النظام الدولي السياسي على أساس مبدأ المساواة-وان كان نظرياً لكل دولة صوت- بعد الحرب العالمية الثانية، كان النظام الدولي الاقتصادي قد بدأ منذ نشأته مستنداً الى المذهب الرأسمالي، الذي يحدد أصوات الدول الأعضاء وفقاً لحصصها، ومساهمتها في المنظمة، لينتج عن ذلك توافر الدول الصناعية وفي طليعتها "الولايات المتحدة الامريكية" سيطرة كبيرة على النظام الاقتصادي الدولي منذ البداية.

المطلب الثاني: المؤسسات المالية الدولية:

في الحقبة الممتدة بين ١٩٤٠-١٩٤٥، بدأت دول الحلفاء وفي مقدمتها بريطانيا والولايات المتحدة، في وضع تصور للنظام الاقتصادي العالمي[*]، فتم الاهتداء الى انشاء منظمة الأمم المتحدة وانشاء المجلس الاقتصادي والاجتماعي، وفي عام ١٩٤٤اتفق المجتمعون من الحلفاء في مدينة "بريتون وودز" بولاية نيوهامبشير الامريكية، على تنظيم العلاقات الاقتصادية الدولية على أساس مبادئ الحرية التجارية والتعاون بين الدول بغية تجنب وقوع اية أزمات اقتصادية[١].

وكان من بين نتائج مؤتمر "بريتون وودز" إقامة ثلاث أجهزة رئيسة: احدها يهتم بالجانب النقدي الدولي والمحافظة على استقرار أسعار الصرف(صندوق النقد الدولي)، والثاني يركز على عمليات التنمية وتعمير ما دمرته الحرب(البنك الدولي)، بينما يهدف الجهاز الثالث الى تنظيم العلاقات التجارية الدولية على أساس مبادئ حرية التجارة (الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة "الجات")؛ منظمة التجارية العالمية حالياً.

لتعمل هذه المؤسسات مجتمعةً على تحقيق طروحات النظام الرأسمالي، وتسهم في انفاذه لباقي بلدان العالم، متخذةً من شعارات الحرية الاقتصادية والعولمة وسيلة لاغواء الدول للدخول في شباكها، مستندة الى الليبرالية بلا حدود، لتقود هذه المؤسسات حملة التحول هذه، بالقوة الناعمة من خلال وسائل الترغيب تارة، وتارةً أخرى تحت سطوة القوة للبلدان المدينة.

لذا فالنظام الاقتصادي العالمي المسيطر منذ الحرب العالمية الثانية هو النظام الرأسمالي، الذي يكون مربحاً بالنسبة للقطاعات المسيطرة في رأس المال، فهو أشبه برأسمالية تجمعات احتكارات مالية، تسيطر عليه حفنة من المحتكرين القابضين على القرارات الجوهرية في الاقتصاد العالمي.

---

[*] جاء النظام الاقتصادي الجديد حاملاً لبصمات القتصادي الأمريكي(وايت)، بدرجة اكبر من تأثير الاقتصادي الإنكليزي(كينز)، في إشارة صريحة الى تفوق السلطة على الفكر.

[١] رضا عبد السلام، العلاقات الاقتصادية الدولية في ظلال الازمة الاقتصادية العالمية، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، ط١، مصر ٢٠١١، ص٢١٦.

وفي ظل انتعاش العولمة، مرت المراكز الرأسمالية الكبرى وتحديداً في الولايات المتحدة الامريكية، بعملية نزع التصنيع، لتنتقل الرأسمالية بموجبها من الاعتماد على الأسواق المحلية(القومية) الى فضاء أوسع هو الفضاء المعولم، لتزداد تبعاً لذلك مخاطر السوق كون المؤسسات المالية الكبيرة والتي من المفترض ان تكون مجهزة بقدر أكبر من الضوابط للتعامل مع التوسعات النقدية، لتعمل على زعزعة استقرار السوق ودفع التيار النقدي والمالي للاضطراب بشكل حاد[1].

كذلك قاد الهوس العالي في الحصول على الأرباح كخاصية ملازمة لرأس المال، ان دفع بالمؤسسات المالية للتوسع في الإقراض دون الالتفات لمخاطر هذا التوسع، لتتظافر ثلاث عناصر في خلق الازمة المالية العالمية ٢٠٠٨(زيادة الاقتراض-تركيز المخاطر-نقص الاشراف والرقابة)، والتي كانت كافية لإحداث أزمة عميقة.

ففي ظل تحكم المؤسسات المالية الدولية، ظل وضع الاقتصاد العالمي هشاً، لأن آلية استيفاء الأموال لتلك المؤسسات لا يحصل بطريقة قهرية فقط، بل بحسب آلية طوعية بارعة، لذا سيظل القطاع المالي قنبلة موقوتة قابلة للتفجر في أي وقت وفقاً لما اصطلح على تسميته(الفقاعة المالية).

لذا عملت المؤسسات المالية الدولية على خصخصة جميع الشركات المالية ورفع الحواجز الكمركية؛ فضلاً عن تحرير التجارة الداخلية والخارجية، لتظهر العولمة كمرحلة متقدمة للنظام الاقتصادي الرأسمالي، ولتفرز آثاراً اقتصادية مدمرة على اقتصاديات البلدان النامية، الأمر الذي زاد من تعرض البنوك للأزمات وشيوع أجواء المضاربات وما نجم عنها من هروب لرؤس الأموال الوطنية للخارج وغسيل الأموال.

أما على صعيد التجارة، كانت(الجات) قد حكمت كافة العلاقات التجارية في النظام الاقتصادي الدولي، لتأتي نهاية الحرب الباردة بمثابة فاتحة الطريق لإكمال بناء هذا النظام بمؤسسة جديدة للتجارة العالمية تقف على قدم المساواة مع البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، مستكملةً بذلك اركان النظام الاقتصادي العالمي، كما تم التخطيط له من قبل الحلفاء قبل نهاية الحرب العالمية الثانية.

مما تقدم نجد ان المؤسسات المالية الدولية تشكلت من داخل العلاقات الاقتصادية، بسلطات فوق قومية؛ تترجم مفهوماً ليبرالياً من خلال الأسس التي استند اليها النظام النقدي الدولي، كون

[1] عبد علي كاظم المعموري، الطوفان القادم:توالد الازمات في الاقتصاد الرأسمالي، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط١، عمان ،٢٠١١، ص٦٩.

هذا النظام يوفر السيطرة على الموارد الاقتصادية دون الحاجة للاستيلاء المادي المباشر عليها، من خلال التحكم بالأسواق المالية وأسعار الفائدة وأسعار الصرف وتدفقات رؤوس الأموال.. الخ.

المبحث الثاني: موقف النظام الرأسمالي من الازمات:

يسعى نظام بريتون وودز كترتيب رأسمالي للقبض على شؤون الاقتصاد العالمي في أزمة مستعصية، وما يحدث هو بسبب طبيعة النظام الاقتصادي القائم حالياً، فالترتيبات التي إرساها المنتصرون في الحرب العالمية الثانية لأكثر من سبعة عقود من الهيمنة السياسية والاقتصادية والعسكرية، تعد لحظة مفترقه عما سواها، فتراكمات الصراع مع القوى الأخرى، وتأجيل الحلول للأزمات أو ترحيلها، واستسهال بعض الإجراءات لتخفيفها، تكون قد أوصلت الحال عما عليه الآن.

المطلب الأول: إشكالية النظام الرأسمالي:

الرأسمالية وعبر تأريخها انتجت ظروفاً من عدم الاستقرار الدائم كمرادف لها، فلقد اثبت الطرح القائم على وجود سوق منضبط ذاتياً انه امر مبالغ فيه، اذ لا تحكمه قوانين اقتصادية حقيقية.

يسجل التاريخ الاقتصادي أن للأزمات سجل ممتد[١]، غير أن اول ما حصل منها في التاريخ يعود يعود إلى عام ١٨٠٤، تلتها العديد من الازمات في القرن التاسع عشر، وهي في جلها تأخذ طابع نقص العرض، الا ان التحول حدث مع أزمة الكساد العظيم عام ١٩٢٩ التي كانت أزمة نقص في الطلب، والتي كشفت عورة النظرية الاقتصادية الكلاسيكية القائمة على الرفض القاطع والاستبعاد النظري للإختلال ما بين(العرض الكلي والطلب الكلي)، الذي لم يجري ايلاءه اهتماماً منذ عهد "آدم سميث"، نتيجة لقانون الأسواق الذي جاء به(جان باتسيت ساي) والذي ينص على أن "العرض يخلق الطلب المساوي له"[٢].

وجاءت أزمة الكساد العظيم لتطيح بهذا القانون، وتكشف عن عدم قدرة ميكانزمات الأسعار على ضبط التوازنات الكلية، عندها ألقى(جون مينارد كينز) بحلوله السحرية للركود المزمن الذي تعرضت له الاقتصادات الرأسمالية آنذاك؛ مدركاً أنه لا خيار بإزاء الاقتصادات الرأسمالية، إلا اعادة تقييم الكثير من الادوات والمفاهيم الخاطئة، ولابد من قبول تدخل الدولة و(تنشيط الطلب الكلي)

---

[١] جواد كاظم البكري وعدنان العذاري، اكتشاف دورات الإعمال في الاقتصاد الأميركي، دار اليازوري، عمان– الاردن، ٢٠١٤، ص ٢٣.

[٢] جون كينيث جالبريث، تاريخ للفكر الاقتصادي، الماضي صورة الحاضر، ترجمة: احمد فؤاد بلبع، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٠.

عن طريق الانفاق الحكومي، كما جاء في نظريته الذائعة الصيت(النظرية العامة في التشغيل والفائدة والنقود)[١]، وبهذا أصبح الطلب هو تعويذة الخروج من الأزمات في المنظومة الرأسمالية.

لقد وظفت الرأسمالية وانظمتها الاطروحات الجديدة لتضمن معالجة إشكالية عدم التوافق ما بين الإنتاج والاستهلاك، والذي كان مؤملاً ان تحله آليات السوق، غير أن الملاحظ من ظروف الازمة ولغاية الآن، ان هذه الآلية لا تستطيع ان تنأى بالاقتصاد الرأسمالي عن الازمات.

ولذا يوسم النظام الرأسمالي بأنه يتعايش مع علته الداخلية المرتكزة على عدم قدرة الطلب المتحقق داخلياً من ملاحقة القدرة الإنتاجية المتوسعة، فالإشكالية التي يعاني منها النظام الرأسمالي تكمن في حاجته المستمرة لخلق الطلب سواء اكان داخلياً أو خارجياً بغية تخليص منظمات اعماله من الركود.

المطلب الثاني: نذر الازمة الاقتصادية الجديدة:

تذهب الأطروحات المعاصرة، إلى أن الاقتصاد العالمي مرشح للدخول في أزمة جديدة، هي امتداد لسابقتها وليست منفصلة عنها، فالأزمة القادمة تابع من التوابع الارتدادية للأزمة المالية العالمية ٢٠٠٨، وهو ما تدعمه مؤسسات وخبراء اقتصاديين أمريكان؛ إذ يشير فيرنون سميث(الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد عام ٢٠٠٢)، "يجب علينا أن نعيش على الأرجح مخاضاً طويلاً جداً قبل أن نخرج من الأزمة"[٢]، مما يؤكد أن مرحلة الانكماش والركود ستطول، لعدم القدرة على أنعاش الاقتصاد من ناحية، وصعوبة استجابته في الآجل القصير من ناحية أخرى.

كما سبق وان انقذت الرأسمالية نفسها من ازمة ٢٠٠٨، واغرقت البشرية في المزيد من الكوارث البيئية والمناخية، ها هي تسعى اليوم لأن تنقذ نفسها من دون الالتفات لمصائر الناس وحقوقهم الأساسية.

إن جائحة كورونا هي اختبار تأريخي للنظام الرأسمالي في المقام الأول، فأحد أضعف جوانب النظام هو أنه لم ولن يتمكن من حل مشكلة فشل رأس المال والمدخرات في الانتشار إلى القاع، فأصبحت قضية عدم المساواة بين أصحاب المصلحة الاقتصاديين ومشكلة التباين في الميراث والثروة الناتجة عن الأنظمة القانونية والعدالة في الرأسمالية أكثر وضوحًا مع المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي تصاعدت آثارها بسبب تفشي الفيروس العالمي.

---

[١] إسماعيل سفر وعارف دليلة، تاريخ الأفكار الاقتصادية، مديرية الكتب والمطبوعات، جامعة حلب، ط١، سوريا، ١٩٧٧، ص٥٤.

[٢] صالح ياسر حسن، الاقتصاد السياسي للأزمات الاقتصادية في النسق الرأسمالي العالمي، دار الرواد المزدهرة، ط١، بغداد ٢٠١١، ص٤٨١

لقد حدثت أول صدمة كبرى في سوق الأسهم في ديسمبر ٢٠١٨ في "وول ستريت" وتحت ضغط من حفنة من البنوك الخاصة الكبيرة وإدارة "دونالد ترامب"، بدأ الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي في خفض أسعار الفائدة مرة أخرى، وقد أشادت به تلك الشركات الخاصة الكبيرة القليلة التي تهيمن على القطاع المالي، مما انعش ارتفاع قيم سوق الأسهم مرة أخرى، واستمرت الشركات الكبرى في إعادة شراء أسهمها في سوق الأسهم لتضخيم هذه الظاهرة، مع الاستفادة من انخفاض أسعار الفائدة ، زادت الشركات الخاصة الكبيرة من ديونها، وزادت صناديق الاستثمار الكبيرة من عمليات شرائها لجميع أنواع الشركات، بما في ذلك الشركات الصناعية، من خلال اللجوء إلى الديون[١].

ولقد سعت الرأسمالية مع بدأ انتشار فيروس كورونا، الى الاستهانة به ومن تداعياته المحتملة، تاركةً أبواب المصانع والمحال التجارية دون اغلاق، وسعى "دونالد ترامب" ويمينه الى بعث رسائل التطمين حول وجود العقاقير الطبية القادرة على القضاء على الفيروس، لكن الحال أخذ بالتغير، ومع ازدياد حدة الفيروس وتزايد تداعياته وبعد ان ساء الوضع الصحي في الولايات المتحدة الامريكية، وتراجعت تبعاً لذلك البورصات وطالت خسائرها حتى الشركات الكبرى، ليذعن "ترامب" الى تمرير حزمة الإجراءات الصحية والمالية والضريبية تستهدف في الظاهر الأسواق وتوفير الإعانات للعاطلين عن العمل وفي جوهرها تهدف الى الحد من خسائر الأغنياء والشركات كبيرة.

وبرغم كل ذلك لازال "ترامب" واتباعه اليمينيون يسعون جاهدين للانتصار للنظام الرأسمالي بإعلان قرب التوصل الى علاج للفيروس.

المبحث الثالث: آثار جائحة كورونا على الاقتصاد العالمي وآفاق المستقبل:

منذ تشخيص تفشي فايروس كورونا للمرة الاولى، وانتشاره في أكثر من (٢٠٠) دولة وجميع "الولايات الأمريكية"، أفرز آثاره السلبية على النمو الاقتصادي العالمي بما يتجاوز أي شيء شهدناه منذ ما يقرب من قرن، اذ تشير آخر التقديرات إلى أن الفيروس يمكن أن يخفض النمو الاقتصادي العالمي بنسبة ٣.٠٪ إلى ٦.٠٪ في عام ٢٠٢٠ ، مع انتعاش جزئي في عام ٢٠٢١ ، بافتراض عدم وجود موجة ثانية من الإصابات، وتثير التداعيات الاقتصادية للوباء مخاطر حدوث ركود اقتصادي عالمي مع مستويات بطالة لم يشهدها العالم منذ الكساد الكبير في الثلاثينيات.

أيضاً ستؤثر الخسائر البشرية في الأرواح المفقودة بشكل دائم على النمو الاقتصادي العالمي بالإضافة إلى تكلفة ارتفاع مستويات الفقر، وتقلب الحياة، وانحراف الوظائف عن مسارها، وزيادة

---

(١) Eric Toussaint, The Capitalist Pandemic, Coronavirus and the Economic Crisis, at: https://www.cadtm.org/The-Capitalist-Pandemic-Coronavirus-and-the-Economic-Crisis

الاضطرابات الاجتماعية، وستنخفض التجارة العالمية أيضًا بنسبة ١٨٪، اعتمادًا على عمق ومدى الانكماش الاقتصادي العالمي، مما يفرض عبئًا اقتصاديًا ثقيلًا على الاقتصادات النامية والصاعدة المعتمدة على التجارة، لن يكون التأثير الكامل معروفًا حتى تصل تأثيرات الوباء إلى ذروته.

المطلب الأول: الأثر على المؤشرات الاقتصادية العالمية:

من المعروف جيداً ان مؤشرات الاقتصاد العالمي قد أرسلت اشارتها في كل الاتجاهات، بتوافر البيئة لحلول ازمة اقتصادية كبرى، نتيجة التباطؤ في معدلات النمو الاقتصادي، وحصول هزات في الأسواق المالية، بجانب تصاعد المديونية العالمية والعجوزات المالية، وتوجه الولايات المتحدة الى الحماية التجارية لمعالجة الضغط في مواجهة الاقتصادات المنافسة، هذه جميعاً خلقت أجواء غير إيجابية(عدم تيقن) من إمكانية استمرار الاقتصادات المحفزة "الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية" بتحقيق معدلات نمو مقبولة.

أولاً: النمو الاقتصادي العالمي:

لا يزال الوضع الاقتصادي شديد التقلب على مستوى العالم، وحالة عدم اليقين بشأن طول وعمق الآثار الاقتصادية المرتبطة بالأزمة الصحية يغذي تصورات المخاطر والتقلبات في الأسواق المالية وصنع القرار في الشركات، بالإضافة لذلك، قادت الشكوك المتعلقة بالوباء العالمي وفعالية السياسات العامة، التي تهدف إلى احتواء انتشاره ومنع موجة ثانية من العدوى، إلى زيادة تقلبات السوق.

في عدد متزايد من الحالات ، تقوم الشركات بتأجيل قرارات الاستثمار، وتسريح العمال، وفي بعض الحالات تصل لحد الإفلاس، ومما زاد من تعقيد الوضع الاقتصادي حدوث انخفاض تاريخي في أسعار النفط الخام، بينما تعافت الأسعار إلى حد ما من أدنى مستوى لها بنحو ٢٠ دولارًا للبرميل منذ أبريل ٢٠٢٠، إلا أنها استمرت في التأرجح حول ٤٠ دولارًا إلى ٤٥ دولارًا للبرميل ، مما يعكس تراجع النشاط الاقتصادي العالمي ، في الوقت الذي تساهم في تراجع الاقتصاد العالمي من خلال قنوات مختلفة، ففي ٢٩ أبريل ٢٠٢٠ ، صرح رئيس مجلس الاحتياطي الفيدرالي "جيروم بأول" أن بنك الاحتياطي الفيدرالي سيستخدم "مجموعة كاملة من الأدوات" لدعم النشاط الاقتصادي حيث انخفض معدل النمو الاقتصادي الأمريكي بنسبة ٣٣.٠٪ بمعدل سنوي.

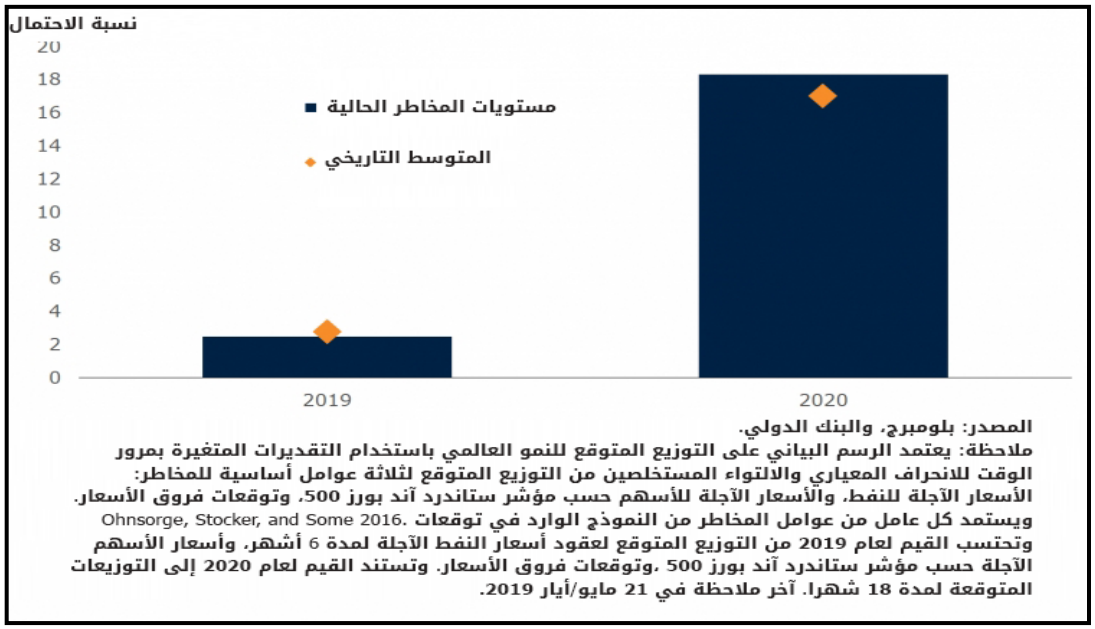

المصدر: بلومبرج، والبنك الدولي.
ملاحظة: يعتمد الرسم البياني على التوزيع المتوقع للنمو العالمي باستخدام التقديرات المتغيرة بمرور الوقت للانحراف المعياري والالتواء المستخلصين من التوزيع المتوقع لثلاثة عوامل أساسية للمخاطر: الأسعار الآجلة للنفط، والأسعار الآجلة للأسهم حسب مؤشر ستاندرد آند بورز 500، وتوقعات فروق الأسعار. ويستمد كل عامل من عوامل المخاطر من النموذج الوارد في توقعات Ohnsorge, Stocker, and Some 2016. وتحتسب القيم لعام 2019 من التوزيع المتوقع لعقود أسعار النفط الآجلة لمدة 6 أشهر، وأسعار الأسهم الآجلة حسب مؤشر ستاندرد آند بورز 500، وتوقعات فروق الأسعار. وتستند القيم لعام 2020 إلى التوزيعات المتوقعة لمدة 18 شهرا. آخر ملاحظة في 21 مايو/أيار 2019.

شكل-١ توقعات المخاطر على النمو الاقتصادي العالمي لعام ٢٠١٩-٢٠٢٠

ويظهر من الشكل(١) ارتفاع درجة المخاطر الحالية في الاقتصاد العالمي لعام ٢٠٢٠، واقترابه من أعلى مستوى للمقياس، وعليه فأن أمكانية تحقيق الاقتصاد العالمي لمعدل نمو بنسبة(١%)، تكون فرصتها المتوقعة هي أقل من(٢٠%)[١]، نتيجة حالة عدم التيقن في السياسات الاقتصادية العالمية وارتفاع درجات الحواجز التجارية، مما يرفع من تكاليف التجارة ليتسبب بتراجع نمو الصادرات العالمية، وهو ما ينعكس بشكل مباشر على الأسواق المالية، وهبوط مؤشرات الأسهم للشركات بما يسمى(السوق النائم)[*].

وفي الربع الثاني من عام ٢٠٢٠ في تقييم حالة الاقتصاد الأمريكي، أصدرت لجنة السوق بياناً أشارت فيه إلى أن "أزمة الصحة العامة المستمرة سوف تثقل كاهل النشاط الاقتصادي والتوظيف والتضخم في المدى القريب ويشكل مخاطر كبيرة على التوقعات الاقتصادية على المدى المتوسط.

ثانياً: حركة الاستثمارات العالمية:

وفقاً لمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية فان الانخفاض في تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر بلغت ما نسبته ٣٠% في النصف الأول من عام ٢٠٢٠، ومن المتوقع ان تؤدي صدمات العرض

[١] كارلوس ارتيتا و كوليت ويلر، التوقعات العالمية، ضعف الزخم وتزايد المخاطر، مدونات البنك الدولي، على الرابط:
تاريخ الزيارة: ٢٠٢٠-٢-٢٠.

[*] تعبير مجازي لبيان حال الأسواق والركود الذي تعانيه من انخفاض شديد في التعاملات مع سيادة التشاؤم لدى المستثمرين.

والطلب وانخفاض أسعار النفط وكذلك انخفاض ثقة المستثمرين؛ الى انخفاض أكبر في الاستثمار الأجنبي المباشر، وقد تسهم القروض بين الشركات وضخ رأس المال من الشركات الأم إلى الشركات التابعة الأجنبية المتعثرة إلى تعويض هذه الانخفاضات جزئيًا[١].

من الممكن حدوث مزيد من الانخفاضات في تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر على المدى المتوسط إلى الطويل، اعتمادًا على مدى جودة عمل تدابير الصحة العامة والسياسات الاقتصادية، يمكن أن تساهم عمليات التصفية في الانخفاض إذا اضطرت الشركات المتعثرة مالياً إلى بيع أو تصفية بعض عملياتها الخارجية .

ثالثاً: التجارة العالمية:

قدرت منظمة التجارة العالمية أن حجم التجارة العالمية قد انخفض بنسبة ١٨.٥٪ في عام ٢٠٢٠ ، لكنها ستتعافى ببطء في عام ٢٠٢١، اذ خلصت منظمة التجارة العالمية إلى أن التأثير على أحجام التجارة العالمية قد يتجاوز الانخفاض الذي حصل للتجارة العالمية خلال ذروة الأزمة المالية ٢٠٠٨-٢٠٠٩[٢].

لقد كانت التجارة العالمية تتباطأ بشكل واضح في عام ٢٠١٩ قبل أن ينتشر الفيروس، متأثرة بالتوترات التجارية، لاسيما بين "الولايات المتحدة" والصين، وتباطؤ النمو الاقتصادي، سجلت التجارة السلعية العالمية انخفاضًا طفيفًا لذات العام -٠.١٪ من حيث الحجم بعد ارتفاعها بنسبة ٢.٩٪ في العام السابق، في غضون ذلك ، تراجعت القيمة الدولارية لصادرات البضائع العالمية في عام ٢٠١٩ بنسبة ٣٪ إلى ١٨.٨٩ تريليون دولار أمريكي[٣].

تشير التقديرات إلى أن جميع المناطق الجغرافية ستشهد انخفاضًا مضاعفًا في أحجام التجارة ، باستثناء "المناطق الأخرى" التي تتكون من إفريقيا والشرق الأوسط ورابطة الدول المستقلة، كذلك يمكن أن تشهد أمريكا الشمالية وآسيا أكبر انخفاض في حجم الصادرات، اذ تشير التوقعات أيضًا إلى أن القطاعات ذات سلاسل القيمة الواسعة مثل منتجات السيارات والإلكترونيات يمكن أن تشهد هي الاخرى انخفاضاً أشد، ومع ذلك ، فإن خدمات مثل تكنولوجيا المعلومات تنمو لتلبية طلب

---

(١) http://www.oecd.org/investment/FDI-in-Figures-April-2020.pdf.

٢ https://www.wto.org/english/news_e/pres20_e/pr855_e.htm

(٣) Ibid.

الموظفين الذين يعملون من المنزل، كما يثير الوباء تساؤلات حول تكاليف وفوائد سلاسل التوريد العالمية التي أقيمت على مدى العقود الثلاثة الماضية، اذ تشير الدلائل إلى أن النمو في سلاسل التوريد قد تباطأ قبل انتشار الوباء، ولكن هناك القليل من الإجماع على التأثير طويل المدى للأزمة، في بعض الحالات ، تعيد الشركات تقييم تعرضها للمخاطر التي تشكلها سلاسل التوريد الواسعة التي يحتمل أن تكون عرضة للعديد من نقاط الاضطراب، كما تقوم بعض الحكومات بتقييم المخاطر التي تشكلها سلاسل التوريد على الإمدادات الوطنية من المواد التي تعتبر مهمة للأمن القومي نتيجة قيام الشركات بنقل الإنتاج إلى الخارج.

رابعاً: معدلات الإنتاجية:

ينظر تقرير الآفاق الاقتصادية العالمية لشهر يونيو ٢٠٢٠ إلى ما هو أبعد من التوقعات على المدى القريب إلى التداعيات المستمرة للركود العالمي العميق، انتكاسات الناتج المحتمل - مستوى الإنتاج الذي يمكن أن يحققه الاقتصاد بكامل طاقته وتوظيفه الكامل - وإنتاجية العمالة، يمكن أن تؤدي الجهود المبذولة لاحتواء الفيروس في الاقتصادات الناشئة والنامية[١] ، بما في ذلك الاقتصادات منخفضة الدخل ذات القدرة المحدودة على الرعاية الصحية، إلى حدوث ركود أعمق وأطول - مما يؤدي إلى تفاقم اتجاه متعدد العقود لإبطاء النمو المحتمل ونمو الإنتاجية، فالعديد من الاقتصادات الناشئة والنامية تعاني بالفعل من ضعف النمو قبل هذه الأزمة ؛ مما يجعل التحديات التي تواجهها هذه الاقتصادات متساوية.

خامساً: أسعار النفط:

من بين المؤشرات الاخرى هي الانهيار التاريخي في الطلب على النفط وأسعار النفط، من المرجح أن توفر أسعار النفط المنخفضة ، في أفضل الأحوال، دعماً أولياً مؤقتاً للنمو بمجرد رفع القيود المفروضة على النشاط الاقتصادي، ومع ذلك، حتى بعد تعافي الطلب، قد تفوق الآثار السلبية على مصدّري الطاقة أي فوائد للنشاط في مستوردي الطاقة.

يوفر انخفاض أسعار النفط فرصة لمنتجي النفط لتنويع اقتصاداتهم، بالإضافة إلى ذلك، قد يوفر الانخفاض الأخير في أسعار النفط مزيدًا من الزخم لإجراء إصلاحات دعم الطاقة وتعميقها بمجرد انحسار الأزمة الصحية الفورية.

---

[١] https://www.worldbank.org/en/publication/global-economic-prospects

لقد استمرت الأسعار في الانخفاض ، تحت ضغط انخفاض الطلب المرتبط بقيود السفر بسبب فيروس كورونا وعمليات الإغلاق ، فضلاً عن زيادة المعروض من "أوبك"، لينخفض خام غرب تكساس الوسيط إلى ٤٠ دولارًا أمريكيًا ، وإن كان ذلك مؤقتًا لأسباب فنية ، وانخفض خام برنت إلى ٢٠ دولارًا للبرميل، كان هذا أكبر خفض متفق عليه على الإطلاق لإمدادات النفط الخام عند ٩.٧ مليون برميل يومياً، أو ما يقرب من ١٠٪ من السوق بأكمله[١].

سيتعين على تخفيضات الإنتاج في نهاية المطاف أن تتطابق مع تخفيضات الطلب أو تتجاوزها لإعادة السوق إلى التوازن ، وكان انخفاض الأسعار اللاحق حكماً على أن السوق لم يعتبر ٩.٧ مليون برميل يوميًا بما يكفي تقريباً، وكان الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" قد دعا إلى ١٥ مليون برميل يومياً، ودعت "أوبك" اضافةً للمنتجين الآخرين في المقابل لخفض خمسة ملايين برميل يوميًا على الأقل، وفي ذات الوقت، وعدّ وزراء الطاقة في مجموعة العشرين بالعمل معاً لتحقيق الاستقرار في أسعار النفط ، لكنهم لم يقدموا أي التزامات محددة بشأن قيود الإنتاج - تاركين التخفيضات لقوى السوق ، والتي قد تستغرق أكثر من ٥ ملايين برميل يوميًا، وفقًا لآخر التقديرات (أواخر يوليو).

سادساً: الأثر على البلدان النامية:

لن تبقى المنطقة العربية بمنأى عن الآثار المدمرة لفيروس كورونا، الذي عطل اقتصادات العالم؛ فمن المتوقع أن يسجل الاستثمار الأجنبي المباشر فيها انخفاضا بنحو ٤٥% في عام ٢٠٢٠، وهو التراجع السنوي الأكبر لتدفقات الاستثمار حتى الآن.

وسيكون هذا الانخفاض المقلق أكثر حدة من الذي سجلته المنطقة عام ٢٠١١ نتيجة الاضطرابات السياسية التي شهدتها بلدان عربية عدة؛ مما سيؤجج المخاوف بشأن تمويل المشاريع التجارية. وفي هذا السياق، دعت الأمينة التنفيذية للإسكوا "رولا دشتي" الحكومات العربية إلى دعم المشاريع التجارية للحد من تسريح العاملين ومواصلة الأنشطة الأساسية.

يؤدي تراكم الآثار السلبية الناتجة عن جائحة كورونا إلى انتكاسات شديدة لجهود التنمية في البلدان النامية بما في ذلك التراجع عن المكاسب التي تحققت في الحد من الفقر على مدى السنوات العشرة الماضية ، وتفاقم حالة عدم المساواة، بما في ذلك عدم المساواة بين الجنسين، وبالتالي

[١] A review of the impact of Covid-19 corona virus on the oil sector, 26 May 2020, https://onlinelibrary .wiley.com/doi/full/10.1111/oet.12773

سيكون تحقيق أهداف التنمية المستدامة أكثر صعوبة، لذا يعتبر دعم المجتمع الدولي أمر أساسي لتمكين البلدان النامية منخفضة الدخل من التصدي لفيروس كورونا.

من الملاحظ ان تأثيرات الوباء تختلف من قطاع لآخر، ففي الوقت الذي انتعشت قطاعات المعلومات والاتصالات، تضررت قطاعات التصنيع والقطاع الاولي وقطاع السكن وخدمات الطعام والنقل والتخزين، التي باتت تساهم بشكل ضئيل في الاستثمار الأجنبي المباشر.

المطلب الثاني: الأثر على العولمة والتحررية الاقتصادية:

تتسم الرأسمالية بكونها نظاماً عالمياً بطبيعتها، لذا فإنها تحتاج إلى التوسّع المستمر وتقسيم العمل دوليا؛ ما يجعل التجارة الدولية إحدى أهم ركائزها، حتى إن كثيرا من المُنظِّرين لا يرون العولمة شيئا جديدا، بل مجرد تعزيز للميل العالمي المتأصل في الرأسمالية منذ نشأتها، يسّرته ووسّعت نطاقه ثورة الاتصالات لا أكثر، هذه التجارة الدولية التي تعود التنظيرات لها إلى عهد منظّري الرأسمالية الأوائل(أدم سميث وديفيد ريكاردو)[١].

لقد أثرت جائحة كورونا على العلاقات الدولية وتسببت بحدوث توترات دبلوماسية، فقد تأثرت العلاقات الدبلوماسية كثيرًا بسبب التوترات حول تجارة ونقل الأدوية والاختبارات التشخيصية ومعدات المستشفيات لمرضى فيروس كورونا، كما اتهم قادة بعض الدول دولًا أخرى بعدم احتواء المرض بشكل فعال مما أدى إلى انتشار الفيروس بشكل غير منضبط، لا تستطيع الدول النامية في أمريكا اللاتينية وأفريقيا العثور على مواد كافية لاختبار مرض فيروس كورونا ، ويرجع ذلك جزئيًا إلى بلدان أخرى في أوروبا والولايات المتحدة وتنفق الموارد بشكل كبير[٢].

أن الاتجاه المعارض للعولمة أخذ يحتل دائرة الاهتمام العالمي بدءاً من التغير الذي جرى في الولايات المتحدة، صعود "دونالد ترامب"، وهي التي كانت المنطلق الأساسي لأفكار العولمة، بعد أن تبنت بقوة حرية التجارة وأسهمت بشكل فاعل في إنشاء "منظمة التجارة العالمية"؛ وعملت بشتى الوسائل على الضغط على الدول التي تبنت أفكارًا تعزلها عن الاقتصاد العالمي والسوق العالمية[٣]، وتشير العديد من الدلائل الى أن انهيار الاتحاد السوفياتي كان في جوهره راجعًا إلى ضغوط العولمة التي لم تتحملها الخصائص الاقتصادية للدولة الاشتراكية؛ وحتى عندما لم يحدث

---

[١] عبد علي كاظم المعموري، الطور الجديد للرأسمالية: مقايضة العولمية بالشعبوية ام الانتقال لما بعد الرأسمالية، أبحاث استراتيجية، مركز بلادي للدراسات والأبحاث الاستراتيجية، العدد ١٧، نيسان ٢٠١٧، ص١٦.

[٢] https://en.wikipedia.org/wiki/Impact_of_the_COVID-19_pandemic_on_international_relations

[٣] أريك كازدين وامري زيمان، مابعد العولمة، ترجمة اميرة احمد امبابي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،ط١،القاهرة ٢٠١٦،ص٢٠.

الانهيار في الصين فإن بديله كان التحول الشامل نحو اقتصاد السوق والاندماج في السوق العالمية حتى الدخول إلى منظمة التجارة العالمية.

وتتوالى الاحداث المعجلة لتراجع العولمة تباعاً، بعد ان استشعر الجميع الوجه الآخر لها، وعلى صعيد الدول فإن فقدانها الدول لسيادتها لا زال موضوع سجال بين المفكرين، إذ يرى الاقتصادي الأمريكي (داني رودريك) (Dany Rodrik)، بأن مسار العولمة اخذ يتجه شيئاً فشيئاً نحو تسييل سيادة الدول-الأمم، حين يُخضعها لقوى اقتصادية ومالية (قوى السوق)، وفي الأغلب تكون موجهةً لخدمة مصالح (النخب)، ومن هذا المنطلق يجد رودريك أن السيادة الوطنية أو القومية، في ظل الديمقراطية والعولمة المفرطة، هي أمور لا يمكن أن تتعايش مجتمعةً في اقتصادٍ ما، وهو ما يسميه رودريك المعضلة الثلاثية، كما في الشكل (٢).

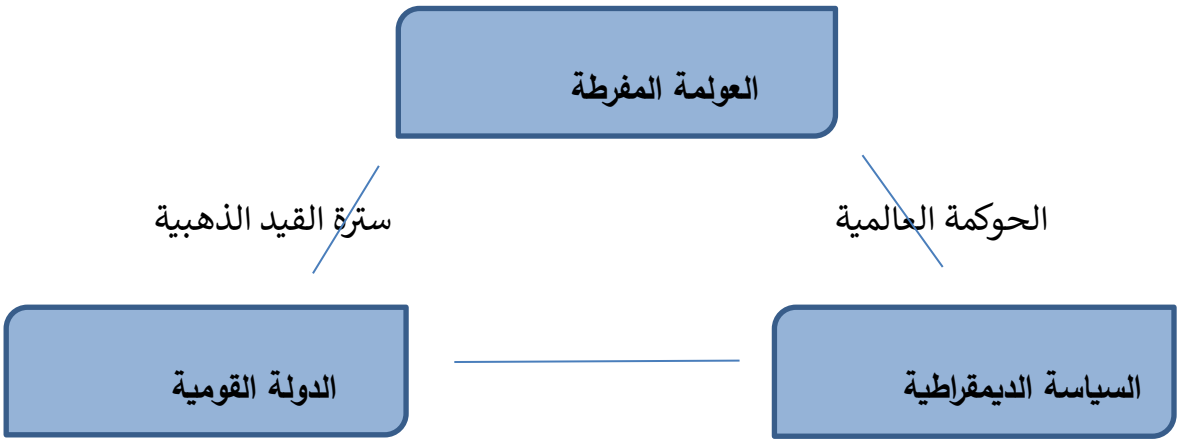

تسوية بريتون وودز

الشكل (٢) المعضلة الثلاثية السياسية للاقتصاد العالمي

المصدر: داني رودريك، معضلة العولمة، ترجمة: رحاب صلاح الدين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، القاهرة ٢٠١٤، ص٢٢٢.

لقد تسببت الأزمة الجارية في أكبر وأسرع انخفاض في التدفقات الدولية على مر التاريخ الحديث، بالرغم من صعوبة التوقعات الحالية في هذه المرحلة ، إلا أنها دفعت إلى انخفاض بنسبة ١٣-٣٢٪ في تجارة البضائع ، وانخفاض بنسبة ٣٠-٤٠٪ في الاستثمار الأجنبي المباشر ، وانخفاض بنسبة ٤٤-

٨٠٪ في عدد ركاب الخطوط الجوية الدولية في عام ٢٠٢٠، تشير هذه الأرقام إلى تراجع كبير في مكاسب العولمة الأخيرة ، لكنها لا تشير إلى انهيار أساسي في تكامل السوق الدولية[١].

ان مصير العولمة الاقتصادية أصبح على المحك، مع كل التطورات السابقة التي قادت مواطن الرأسمالية الى المطالبة بالحمائية التجارية، والتطورات الحالية(جائحة كورونا) وفي ظل انجراف الشعوب في هذه الانعزالية، التي افرزت آثارها على ما اصطلح على تسميته ب"الحريات الثلاث"، حرية حركة البضائع، وحرية عنصر العمل وتنقله، وحرية حركة رؤوس الأموال، ولكون هذه الحريات هي عماد النظام الاقتصادي المعولم، فإن تراجعها وانحسارها يقوض جذور هذا النظام، وان انهيارها يقود الى انهياره[٢].

لذا يكون التساؤل الأشد الحاحاً هو، هل تتجه الرأسمالية نحو مستقبل تعطي الأولوية فيه للإنتاج والمنتجين والعمل الجاد؟ وبما يعزز المكانة التي لا غنى عنها للشركات الصغيرة والمتوسطة في اقتصادات البلدان ، حيث توفر موارد متساوية للجهات الفاعلة الاقتصادية من حيث "الفرص" أو نحو مستقبل تستخدم فيه تفشي الفيروس العالمي من أجل كسب الحقول والتحدث عن الفاعلين والمجتمعات الاقتصادية من أجل الحفاظ على هيكلها الإشكالي الحالي؟

المطلب الثالث: مستقبل النظام الاقتصادي العالمي في ظل جائحة كورونا:

إن النظر إلى السرعة التي تجاوزت بها الأزمة الاقتصاد العالمي، قد يوفر دليلًا على مدى عمق الركود، اذ تشير الوتيرة الحادة لتخفيضات توقعات النمو العالمي إلى إمكانية إجراء مزيد من التنقيحات النزولية والحاجة إلى اتخاذ إجراءات إضافية من قبل صانعي السياسات في قادم الايام لدعم النشاط الاقتصادي.

ونتيجة لعدم اليقين بشأن مسار الاقتصاد العالمي خلال الفترة المتبقية من عام ٢٠٢٠ ، وفي ضوء درجة عدم اليقين الكبيرة حول شدة الوباء وتأثيره الاقتصادي، تم طرح مسارين معقولين: الأول متفائل نسبيًا يتقلص فيه حجم التجارة العالمية للبضائع في عام ٢٠٢٠ بنسبة ١٣٪ ، و الثاني متشائم تنخفض فيه التجارة بنسبة ٣٢٪. كما هو الحال حاليًا ، لن تحتاج التجارة إلا إلى النمو بنسبة ٢.٥٪ كل ربع سنة للفترة المتبقية من العام لتلبية التوقعات المتفائلة، ومع ذلك ، بالنظر إلى

[١] https://hbr.org/2020/05/will-covid-19-have-a-lasting-impact-on-globalization#_edn1

[٢] محمد الصادق، الحرب التجارية الامريكية الصينية، مركز البحوث والتواصل المعرفي، ط١، المملكة العربية السعودية ٢٠١٨، ص٣٩.

عام ٢٠٢١ ، فإن التطورات السلبية ، بما في ذلك الموجة الثانية من تفشي الفيروس، أو النمو الاقتصادي الأضعف من المتوقع ، أو اللجوء على نطاق واسع إلى القيود التجارية ، قد يؤدي إلى فشل التوسع التجاري في تحقيق التوقعات السابقة ، وتقدر منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية أيضًا أن من المتوقع أن يرتفع معدل البطالة بين دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية إلى ٩.٢٪ في ظل سيناريو الموجة الواحدة و ١٠.٠٪ في ظل سيناريو الموجة الثانية، لكن خلال الربع الأول من عام ٢٠٢٠ ، لم تشهد معظم بلدان منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي زيادات كبيرة في معدلات البطالة ، ويرجع ذلك جزئيًا إلى الدخل القومي وبرامج الحفاظ على الأجور ، وكانت الاستثناءات الرئيسية هي الولايات المتحدة وكندا ، حيث ارتفعت معدلات البطالة بدءاً من نهاية الربع الأول وحتى الربع الثاني من عام ٢٠٢٠. في فارق كبير بين الولايات المتحدة وبيانات الاتحاد الأوروبي ، ففي الاتحاد الأوروبي ، يُحسب العمال المتغيبون عن العمل بسبب التسريح المؤقت كموظفين ، بينما في الولايات المتحدة ، يُحسبون كعاطلين عن العمل[١].

ان من بين أهم النتائج التي ستنجلي عن جائحة كورونا انها ستفضي الى تعالي الأصوات المنادية بنهاية الرأسمالية، وستزداد الطروحات المشككة بجدوى هذا النظام وقدرته على التعامل مع التحديات، غير ان مسألة وجود بديل لهذا النظام شبه مستحيلة ولفترة طويلة، فغالبية المعارضين لن تتعدى ردود افعالهم عن إضفاء بعض الجوانب الإنسانية عن طريق منح المزيد من المساعدات، ايضاً انتجت الجائحة ان الدولة ستظل حجر الأساس في بنية الاقتصاد العالمي، فنظام ما بعد كورونا سيشهد المزيد من الاكتفاء الذاتي، والعودة الى الحواجز الكمركية والضوابط المالية، ايضاً سنشهد المزيد من المنافسة والاستقطاب الاقتصادي، ليتزامن ذلك مع تراجع معدلات النمو في الأسواق الناشئة، وسيتصاعد العداء بين قطبي الاقتصاد العالمي بين الصين والولايات المتحدة. تبعاً لذلك سيتنامى وعي متناقض تجاه عالمية النظام الرأسمالي، فمن ناحية، ستستعيد الدولة القومية بعض قوتها وأهميتها في المدى القصير، ويتراجع التعاون الدولي وربما تتقلّص التجارة الدولية وحرية حركة رأس المال جزئيا، لكن من ناحية أخرى كذلك، سيزداد الوعي بأهمية التنسيق الدولي في الملفات ذات التأثيرات العالمية العابرة للحدود. ومع ذلك، لن يكفي هذا التغيّر المحتمل في نظرتنا للاقتصاد لإحداث تغيّر موازٍ في واقعنا معه، فهذا يشترط فعلا اجتماعياً وتوازنات قوى، وبالمُجمل نضالات شعبية ربما لا تتراكم القوى الكافية لها في المدى المنظور، وإن ظلّت النظرة الجديدة خطوة مهمة على طريقها.

١ Trade falls steeply in first half of 2020, 22 JUNE 2020, HTTPS://WWW.WTO.ORG/ENGLISH/NEWS_E/PRES20_E/PR858_E.HTM

الخاتمة:

تواصل جائحة كورونا إلحاق الخسائر الفادحة والمتزايدة في الأرواح في مختلف بلدان العالم، وحتى يتسنى حماية الأرواح وإتاحة الفرصة لنظم الرعاية الصحية لكي تواكب الأزمة، كان من الضروري اللجوء إلى عمليات العزل والحظر العام والإغلاق واسع النطاق لإبطاء انتشار الفيروس وبالتالي تتمخض الأزمة الصحية عن انعكاسات حادة على النشاط الاقتصادي، فنتيجة لهذه الجائحة، اشارت التوقعات الى أن يشهد الاقتصاد العالمي انكماشا حادا بواقع -٣% في عام ٢٠٢٠، وهو أسوأ بكثير مما ترتب على الأزمة المالية العالمية في ٢٠٠٨-٢٠٠٩ وفي أحد السيناريوهات الأساسية، الذي يفترض انحسار الجائحة في النصف الثاني من عام ٢٠٢٠ وإمكانية تخفيف جهود الاحتواء بالتدريج، من المتوقع أن ينمو الاقتصاد العالمي بمعدل ٥,٨% في ٢٠٢١ مع عودة النشاط الاقتصادي إلى طبيعته، بمساعدة الدعم المقدم من السياسات.

يشير هذا الوضع إلى أنه "يجب ترويض الرأسمالية" أو حتى "تشديدها"، كما يجب على النظام الرأسمالي ، الذي نفترض أنه موجود منذ خمسينيات القرن الثامن عشر، "تجديد" و "إصلاح" منهجه في موضوعات أساسية للغاية مثل العرض والطلب ؛ المدخرات والاستهلاك والاستثمار ؛ والقوة الشرائية وظروف المعيشة وعادات الاستهلاك، إن السلوك الرأسمالي هو الذي يجعل مواطني العالم "ينفقون" أكثر مما "يكسبون" ويعطي الأولوية لاحتياجات الاستهلاك ، مع "أساليب التسويق الشريرة" ، بدلاً من احتياجات الناس ، تعمل على الأبخرة. الآن ، يجب أن يكون لدينا نهج جديد يتم فيه توزيع القوة الشرائية الوطنية والدخل الناتج عن النظام الاقتصادي بشكل أكثر عدالة بين جميع أصحاب المصلحة.

مصادر ومراجع الفصل الخامس:

اولاً: الكتب العربية والمترجمة:

١- حازم الببلاوي، النظام الاقتصادي الدولي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانية الى نهاية الحرب الباردة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ٢٠٠٠.
٢- رضا عبد السلام، العلاقات الاقتصادية الدولية في ظلال الازمة الاقتصادية العالمية، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، ط١، مصر ٢٠١١.
٣- عبد علي كاظم المعموري، الطوفان القادم: توالد الازمات في الاقتصاد الرأسمالي، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط١، عمان ،٢٠١١.
٤- جواد كاظم البكري وعدنان العذاري، اكتشاف دورات الإعمال في الاقتصاد الأميركي، دار اليازوري، عمان- الاردن، ٢٠١٤.
٥- جون كينيث جالبريث، تاريخ للفكر الاقتصادي، الماضي صورة الحاضر، ترجمة: احمد فؤاد بلبع، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٠.
٦- إسماعيل سفر وعارف دليلة، تاريخ الأفكار الاقتصادية، مديرية الكتب والمطبوعات، جامعة حلب، ط١، سوريا، ١٩٧٧.
٧- صالح ياسر حسن، الاقتصاد السياسي للأزمات الاقتصادية في النسق الرأسمالي العالمي، دار الرواد المزدهرة، ط١، بغداد ٢٠١١.
٨- أريك كازدين وامري زيمان، ما بعد العولمة، ترجمة اميرة احمد امبابي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،ط١،القاهرة ٢٠١٦.
٩- محمد الصادق، الحرب التجارية الامريكية الصينية، مركز البحوث والتواصل المعرفي، ط١، المملكة العربية السعودية ٢٠١٨.

ثانياً: البحوث والمجلات:

١- عبد علي كاظم المعموري، الطور الجديد للرأسمالية: مقايضة العولمية بالشعبوية ام الانتقال لما بعد الرأسمالية، أبحاث استراتيجية، مركز بلادي للدراسات والأبحاث الاستراتيجية، العدد ١٧، نيسان ٢٠١٧

ثالثاً: الانترنت:

1.http://www.oecd.org/investment/FDI-in-Figures-April-2020.pdf.

2. Eric Toussaint, The Capitalist Pandemic, Coronavirus and the Economic Crisis, at: https://www.cadtm.org/The-Capitalist-Pandemic-Coronavirus-and-the-Economic-Crisis

3. https://www.wto.org/english/news_e/pres20_e/pr855_e.htm.

4. https://www.worldbank.org/en/publication/global-economic-prospects

5. A review of the impact of Covid-19 corona virus on the oil sector, 26 May 2020, https://onlinelibrary . wiley.com/doi/full/10.1111/oet.12773.

6. https://en.wikipedia.org/wiki/Impact_of_the_COVID-19_pandemic_on_international_relations

7. https://hbr.org/2020/05/will-covid-19-have-a-lasting-impact-on-globalization#_edn1.

الفصل السادس: تأثير جائحة كورونا على العلاقات الدولية:

د. فلاح مبارك الفهداوي*

المقدمة:

من حيث الواقع قد تبدو جائحة كورونا قضية صحيّة وتأثيراتها لا تتعدى الصحة العامة، لكن واقع الحال اثبت ان لهذه الجائحة تأثيرات مختلف الأوجه تمس صميم الحياة بجميع النواحي ومنها النشاط الإنساني السياسي، لذلك تكن العلاقات الدولية بجميع اتجاهاتها ومحاورها بعيدة عن تأثير الجائحة.

تستهدف هذه الورقة البحثية دراسة تأثير الجائحة على العلاقات الصراعية الدولية، وذلك بتسليط الضوء على العلاقات الصينية-الأمريكية كنموذج لعلاقات شهدت توترًا ما قبل الجائحة، كما تستهدف الورقة البحثية دراسة تأثير الجائحة على أوجه التعاون الدولي، بتسليط الضوء على سياسات المساعدات الطبية بين الدول الحلفاء والصديقة، وكذلك على أداء منظمة الصحة العالمية، والأمم المتحدة، والاتحاد الأوروبي كنماذج للعلاقات التعاونية خلال الجائحة.

إلى هذا اليوم فأن غالبية الرؤى الاكاديمية وغيرها، تتعامل مع أزمة كوفيد ١٩ الحالية من منطلق حل المشاكل وليس منطلق التفكير والتأمل في المستقبل، بعبارة أخرى، فإن أغلب تلك الرؤى تحاول أن تجاوب على سؤال: كيف يمكن حل مشكلة جائحة كورونا لكي نستطيع العودة إلى وضعنا الطبيعي السابق، ونستكمل حركتنا ضمن نسق الهياكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتعارف عليها؟، بدلاً عن السؤال: كيف وصلت الجائحة إلى هذا المستوى؟ أين وقعت الأخطاء؟ ما هي الرؤى السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والصحية البديلة التي قد تقودنا إلى طريق أكثر مسؤولية وتحقيقاً للأمن الانساني؟ وكيف ستؤول الأمور مستقبلاً؟ وما هي انعكاساتها على المستوى السياسي الداخلي والخارجي؟

و يكاد أن يتفق الرأي من قبل المختصين في مجال العلاقات الدولية إلى أن عالم ما بعد فايروس (Covid 19) من الناحية الجيوستراتيجية، ليس هو نفسه عالم ما قبل ظهور فيروس Covid 19، ومع ذلك أن التباين في الرؤى يعود إلى تحديد مسار المتغيرات و ماهي مستويات التأثيرات التي ولدتها ازمة فايروس كورونا؟ .

* –مركز الدراسات الاستراتيجية/ جامعة الانبار.

على الرغم من ان التباين في الرؤى والاختلافات شيء منطقي في علم السياسة والعلوم الإنسانية بشكل عام، لكن بالتأكيد فأن هذا الاختلاف يعود اصله إلى كون هذه الجائحة لم تنتهي بعد، ولا نعرف كم ستدوم؟ وما هي الآثار السلبية التي سيخلفها بالتحديد على مختلف المستويات، الاقتصادية والجيوسياسية، والصحية وغيرها من المجالات الأخرى.[١]

ومن بين اهم الآثار المحتملة المهمة التي سنبحثها في هذه الدراسة هي:

١- آثار كورونا على مستوى العلاقات الدولية بجانبيها (الصراع والتعاون)

٢- المفهوم التقليدي للعولمة و جائحة كورونا

٣- الممارسات الدبلوماسية في عصر جائحة كورونا

٤- مفهوم سيادة الدولة في ظل جائحة كورونا

٥- تأثيرات جائحة كورونا على مستوى الأمن الدولي

[١] – نور الدين عفان، تأثير جائحة كوفيد ١٩ على بنية النظام الدولي:
https://www.aljazeera.net/blogs/2020/4/19/%D9%87%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%B4%D9%87%D8%AF%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A%D8%AA%D8%AD%D9%88%D9%84%D8%A7%D8%A8%D8%B9%D8%AF

أولاً: آثار كورونا على مستوى العلاقات الدولية بجانبيها (الصراع والتعاون

يكاد أن يتفق رأي أغلب الباحثين والمحللين على القول (إنَّ ما بعد جائحة كورونا لن يكون كما كانَ ما قبلها)، فهل هذه التحولات الحالية والمتوقعة تتوافق أيضاً على مجال العلاقات الدولية أم أنَّ الوضع مختلف في هذا المجال.

وإذا اتفقنا عن إمكانية حدوث تغيير كبير، فهل هذا التغيير كان قد بدأ واقعياً قبل كورونا وما تلاها بعد ذلك، ما هو إلا تسريع حركة واتجاه التغيير، وربما قد ساهمت جائحة كورونا في كشف النقاب عنها؟ وهل سيصبح العالم في وضع أكثر أمننا واستقراراً مما كان عليه قبل الجائحة، أم ربما قد يأتي الأسوأ عما كان عليه في الماضي، وكيف سيؤثر ذلك على شكل الهيكلية الدولية التقليدي؟ وهل سيحل نظام تعدد الأقطاب بديلاً عن الأحادية القطبية[١].

وعلى أساس ما سبق ذكره، فأننا سنحاول في هذا المحور البحث عن انعكاسات جائحة كورونا على العلاقات الدولية في شقها الصراعي بعيداً عن الجانب التعاوني، فمن المعلوم للمختصين في العلاقات الدولية انها تتمثل بجانب الصراع والتعاون، واذا كان البحث في موضوع التعاون الدولي يعد بحث تقليدي ولا يضفي شيء جديد بحكم أن عالم اليوم هي اصبح بمثابة قرية صغيرة تترابط بمجموعة كبيرة من روابط التعاون في ظل الاعتمادية المتبادلة التي تعد من أهم ما يميز عالم اليوم.

ومن اهم الانعكاسات التي احدثتها جائح كورونا على مستويات الصراعات والتنافسات الدولية بين القوى الكبرى هو ما حدث بين الولايات المتحدة والصين من توتر كبير في العلاقة التي كانت أساساً قد دخلت مرحلة العلاقات الصراعية، لكن جائحة كورونا لم تخفف منها بل على العكس، وبذلك اصبح من المرجح أن يتعايش التعاون والصراع المفتوح بينهما لزمن طويل، و يمكن أن نفترض أن الصراع الإيديولوجي بين الصين والدول الغربية يشحذ في جوهرها هذا هو حول المنافسة بين أنظمة الحكم المختلفة والعلاقة بين الدولة والمجتمع.

وعلى الرغم من الانتقادات الأميركية وبعض الدول الأوربية للصين باعتبارها مسؤولة بصور مباشرة أو غير مباشرة على هذه الجائحة وأن احد أسباب تفشي الوباء الفايروسي هو اتباعها سياسة دكتاتورية مع شعبها التي تتيح للحكومة مراقبة وسائل الاتصالات ووسائل الاعلام وتقيد خروج المعلومات ودخولها وفقاً لتقنيات متطورة استحدثتها الحكومة من أجل ذلك، كلها عوامل ساهمت في الكشف عن الوباء في بدايته وبالتالي حصره في مكان معين ومنع انتشاره، رغم ذلك، فأن قيام الصين باتباع سياسة القوة الناعمة بواسطة تقديم كميات كبير من المساعدات الطبية للكثير من

[١] – محمد علي السقاف: https://aawsat.com/home/article/2333121/

دول العالم الأثر الواضح في تقديم نفسها نموذجاً لقيادة دولية تسهم في بناء السلام والاستقرار خاصة بعد أن نجحت الصين في السيطرة على الفايروس بشكل سريع وعادت إلى وضعها الطبيعي السابق بعد رفع الاغلاق الشامل الذي كانت تعيشه وفي المقابل فأن غالبية دول العالم لم تخرج بعد من مرحلة الاغلاق ولم تزل مقيدة صحياً.[١]

"وعلى النقيض من ذلك، لم تحاول الولايات المتحدة حتى تنسيق الاستجابة الدولية . مما زاد من تقليص صورتها كقوة عظمى لطيفة .Benign بل إن الرئيس ترامب قدّم بلاده على أنها "وحيدة قومية". وشمل ذلك محاولة لشراء شركة ألمانية للمستحضرات الصيدلانية من أجل تأمين لقاح "للولايات المتحدة الأمريكية فقط"، فضلاً عن رفض تخفيف العقوبات المفروضة على إيران. كما أن البلدان التي تشهد صراعات مسلحة وحروب، لم يلتفت لها، وجاءت الاستجابة الإيجابية الوحيدة لنداء الأمين العام للأمم المتحدة "بإغلاق النزاع المسلح" والتركيز على مكافحة "كوفيد-١٩" من الفلبين. ولم تلق هذه الاستجابة آذاناً صاغية في ليبيا واليمن وشمال سوريا، وكذلك من قبل داعش وبوكو حرام، مع استمرار كوريا الشمالية بالقيام باختبار الصواريخ."[٢]

وضمن سياق ما سبق ذكره فقد كتب ميشال ديكلوس Michel Duclos ، تقريراً مطولاً يحمل عنوان: "هل فيروس كورنا المستجد مغيّر للّعبة الجيوبوليتيكية ؟ وقد تحدث فيه عن أن هناك تلازم بين التنافس على نموذج النظام السياسي الأفضل و المنافسة الجيوبوليتكية بين القوى الكبرى و الناشئة، و هذا التنافس قد حركته أزمة فيروس كورونا، ... ويظهر "النموذج الصيني" في هذه الحالة كمرجع للتيار العالمي المناهض لليبرالية، في حين تحاول الصين الاستفادة من "انتصار البلاد ضد الفيروس" لتعزيز نظامها السياسي. هذا النوع من الحرب الباردة غير المعلنة التي كانت تختمر لبعض الوقت تظهر جليا تحت ضوء وباء.Covid-19 "[٣]

---

[١] – أليكسندر دغين،فيروس كورونا وأفق عالم متعدد الأقطاب الإحتمالات الجيوبوليتيكية للوباء، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والإستراتيجية، ترجمة ثامر نادي على الرابط التالي:
https://www.politics-dz.com/%D9%81%D9%8A%D8%B1%D9%88%D8%B3-%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7-%D9%88%D8%A3%D9%81%D9%82-%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D9%85%D8%AA%D8%B9%D8%AF%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%82%D8%B7%D8%A7%D8%A8-%D8%A7/?fbclid=IwAR1Fcc0J6UOBDSKv8DUPJSbujJAjvCesxC3TdDFQVnKNi5Koq_aoRMyoU

[٢] – https://www.europarabct.com/?p=70657

[٣] – المصدر السابق نفسه.

ثانياً: العولمة وجائحة كورونا:

كما هو متعارف عليه ان العولمة: هى مصطلح يطلق على مفهومين[١]

المفهوم الأول: هو عملية الترابط والتشابك بين الاقتصادات والمجتمعات والناشئة عن الثورة العلمية والتكنولوجية المتسارعة الحالية، خاصة في مجالي النقل والاتصالات. وفي الواقع هي عملية تتصف بالديمومة وقد تكثفت فى الحقبة الزمنية الاخيرة لذلك اكتسبت مصطلحا خاصا بها، ولكنها تاريخية وكانت لها اكتشافات عظيمة الشأن فى القرون السابقة مثل الدوران حول رأس الرجاء الصالح، واكتشاف مكائن البخار كقوة محركة للسفن الكبيرة، واختراع التلغراف وغيرها الكثير.

أما المفهوم الثاني للعولمة: هو كل ما يتعلق بالقواعد الحاكمة لها فى مجالات التجارة للسلع والمنتجات والخدمات المتنوعة وحركة رأس المال والخبرات، وكل ما يرتبط بهذه الأسس ويعززها من سياسات مالية واقتصادية نيوليبرالية تعمل إلى الاتساع المستمر في التفاوت بين الثروة والدخل، فيما بين مختلف الدول وفى داخل كل دولة. ومن الأدوات الأيديولوجية لهذه السياسات هي التنكيل المستمر بالدولة وتحقير الدور الذى تمارسه ويمارسه القائمون بتسييرها في تلبية جميع احتياجات المواطن في جميع الدول، وهذه لا تتأتى إلا بعملية اتباع إعادة توزيع الموارد التي تخصصها السوق الحرة للمستفيدين منها وللعاملين فيها، ومن ضمن هذه الاحتياجات تلك الخاصة برعايتهم الصحية. لذلك فأن الأزمة الحالية لجائحة كورونا لم تكشفت عن تهافت أنظمة الرعاية الصحية في البلدان المتخلفة فقط ولكن ايضاً كشفت هذه الحقيقة في عدد من البلدان المتقدمة، وبشكل خاص أكثرها تطوراً، وهى الولايات المتحدة الاميركية، وفي قلب الرأسمالية مدينة نيويورك.

وفي ظل الأزمة الحالية لجائحة كورونا تبدو "العولمة" في أشد حالاتها تراجعاً وهشاشة، وهي "الوصفة السحرية" التي طالما قدّمها عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية على أنها السبيل الوحيد لتحقيق التطور والتقدُّم الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، ورغم أن العولمة كانت كذلك فعلاً في عالمنا المعاصر، لكن جائحة "كورونا" أتت لتكشف أهم مراكز الوهن المذهلة للعولمة، وبالتالي يمكن أن ترجع بسببها قوى دولية واتحادات وتجمعات دولية كاملة عقوداً نحو الوراء، وفي ذات الوقت قد تستغلها بعض الدول لتقود العالم وفقاً لما يُعرف بـ "الإدارة بالأزمة واستثمارها".

أن ما يجري حالياً في العالم إثر انتشار جائحة كورونا من خلال تأثير ذلك الانتشار للجائحة على المفهوم التقليدي لـ"العولمة" وتشابك العالم الرأسمالي، وهنالك أمثلة كثيرة توضح هذا الأثر

---

١ - إبراهيم عوض، الصراع والتعاون والعولمة في زمن كورونا، https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=04042020&id=f36399e8-450a-4f17-a8e5-0914408a9a6b

على وحدات سياسية وشركات عابرة للقومية قامت بخرق مبدأ وقواعد العولمة تماماً في ظل هذه الازمة العالمية، في محاولة منها للسيطرة على الجائحة ومنعت تدفق مساعدتها عن شعوب أخرى، ومن جانب أخر قامت بعض القوى بتعطيل ذلك المبدأ إلى وقت وظرف يناسبها، كأنما جاءت أزمة كورونا لتكون اختبار حقيقي لمدى قوة ورسوخ العولمة ولم تنجح في اثبات هذه القوة والثبات الذي طالما "تغنى" به الكثير من المفكرين والمختصين.[١]

وعلى النقيض من هذه القوة والرسوخ للعولمة وقدرتها على مواجهة الأزمات، فقد كشفت ازمة كورونا عن تداعي أهم شرايين الإمداد، وتنافست الدول لتكديس إمدادات منتجاتها الطبيّة والصحية وحظر الحركة والسفر، وباتت الجائحة تُحتِّم إلى عمل مراجعة عامة إعادة تقييم شاملة للاقتصاد العالمي الذي يتميز بالاعتمادية المتبادلة، فلم تتوانى العولمة عند تقديم المساعدة بالانتشار المتسارع لهذا الفايروس الخطير، لكن بالمقابل عملت أيضا على رعاية أواصر وثيقة بين الدول والشركات جعلت من الدول أكثر عُرضة لتلقّي الصدمات المفجعة. والآن فقط يتكشَّف للدول والشركات مدى ضعفها وهشاشتها.

وتبقى العبرة من جائحة كورونا ليست إخفاق العولمة، بل هشاشتها، على الرغم مما تمتلكه من فوائد ومزايا، فلعقود طويلة من الزمن أدت جهود الشركات في التخلص من فائض الثروة بصورة غير مسبوقة، وفي المقابل فأن هذه الجهود أيضا حددت من كميات الموارد غير المستثمرة -وهو ما يسميه خبراء الاقتصاد باسم "الفائض"- في الاقتصاد العالمي. وفي الأوقات الطبيعية، عادة ما تعد الشركات "الفائض" مؤشراً لإمكانيات إنتاج ربما تكون مُعطَّلة، أما في عصر الأزمات، يمكن للفائض المحدود جداً أن يُفتِّت النظام الأكبر بالقضاء على الاحتياطات الضرورية التي تحول دون انهياره.

أن النقص في احتياطيّ لبعض البدائل المصنعة قد يؤدي إلى انهيار سلاسل الإمدادات، مثلما حدث لبعض القطاعات الصحية بسبب تفشي فيروس كوفيد١٩، أذ واجهت الدول المزوّدة بالخدمات الصحية والعلاجية ارتفاعاً كبيراً في الطلب العالمي مما دفعها للتنافس فيما بينها على الموارد، لينتج بسبب ذلك تحوّل في ديناميكيات القوة في أوساط اقتصاديات القوى الكبرى، حيث تعمل الدول المستعدة لمواجهة جائحة كورونا إما على تكديس المنتجات والموارد لنفسها فقط أو لمساعدة الدول العاجزة عن الأمر، وهذا حتماً سيؤدي بهذه الدول في نهاية المطاف إلى توسيع نفوذها على المستوى العالمي.

أن"هذه الديناميكيات الاقتصادية تُهدِّد بتصاعد الأوضاع وتعميق الأزمة بعرقلة سلاسل الإمداد الخاصة بالمستلزمات الطبية العاجلة. وتبدو الأزمة أكثر ترويعا في حالة الولايات المتحدة

[١] – ألكسندر دوغين، مصدر سبق ذكره.

الأميركية التي تأخرت في الاستجابة بشكل متماسك للوباء، كما أنها تفتقد للعديد من المستلزمات الطبية التي ستحتاج إليها، ورغم أن أميركا تمتلك خزانا قوميا من الأقنعة الطبية فإنه توقّف عن التعبئة المستمرة منذ عام ٢٠٠٩، كما أنه يحتوي على جزء من الرقم الذي قد تحتاج إليه البلاد"[١].

وباختصار، "يُعاني صُنّاع السياسة حول العالم في التعامل مع فيروس كورونا ونتائجه، حيث سيكون عليهم مواجهة حقيقة أن الاقتصاد العالمي لا يعمل كما كانوا يتخيلون. فالعولمة تنادي بالتخصصية المتزايدة في أرجاء البلدان كنموذج يكتنف على العديد من المزايا، لكن نقاط ضعفه مذهلة أيضا، حيث يمكن لمزود الخدمة الوحيد، أو مناطق محددة في العالم تختص بمنتج واحد فحسب، أن يتسببوا في هشاشة مفجعة في أوقات الأزمات بانهيار سلاسل الإمداد، وربما تتكشف المزيد من نقاط الضعف هذه في الشهور القادمة، ولعل النتيجة تكون تحوُّلا في السياسات العالمية، فقد تُقرِّر العديد من البلدان بما أن صحّة وسلامة مواطنيها على المحك أن تحظر الصادرات أو تُصادر إمدادات ضرورية للخارج، حتى إن عنى الأمر إلحاق الضرر بدول حليفة أو جارة لها. ويمكن لانسحاب بهذا الحجم من العولمة أن يحوِّل السخاء إلى أداة أكثر فعاليّة في التأثير للدول التي تستطيع تحمل تكلفتها. وحتى اللحظة لم تكن الولايات المتحدة هي القائد في الاستجابة العالمية لفيروس كورونا الجديد، فقد تنازلت عن بعض من هذا الدور، على الأقل، لصالح الصين، ويعيدُ الوباءُ تشكيل الجغرافيا السياسية للعولمة، لكن الولايات المتحدة لا تتكيّف مع الأمر، إنها عوض ذلك مريض يتوارى تحت أغطية السرير".[٢]

ثالثاً: الدبلوماسية وجائحة كورونا

لم يكد يمر على "الدبلوماسية" زمن أصعب مما تمر به الآن منذ توقيع معاهدة وستفاليا في العام ١٦٤٨، التي يعدها المختصون أول اتفاقية دبلوماسية، يعرفها العالم في العصر الحديث، فمنذ ذلك التاريخ أخذت الممارسة الدبلوماسية مكانتها المهمة كونها أداة مثلى لحل النزاعات وتحقيق السلم وصون المصالح بين الدول، وتوسعت مفاهيمها وأساليبها بشكل كبير، خاصة بعد قيام منظمة الأمم المتحدة في العام ١٩٤٥ وما أقرته من أهداف ومقاصد أهمها "حفظ الأمن والسلم الدوليين وإنماء العلاقات الودية بين الأمم، كما جاء في المادة الأولى من ميثاق الأمم المتحدة"، وطبقاً لذلك انخرطت الدول في الكثير من المؤتمرات والاجتماعات الدبلوماسية التي كانت تبتغي لتوسيع التعاون بين دول العالم، فظهرت التكتلات الإقليمية والدولية، وتم تشجيع التعاون

[١] – العولمة تتراجع...هل سيغير كورونا خارطة التصنيع وسلاسل الامداد العالمية؟ منشور على موقع الجزيرة نت:
https://www.aljazeera.net/midan/reality/community/2020/6/29/%D8%B9%D9%88%D9%84%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7

[٢] – https://www.aljazeera.net/midan/reality/community/2020/6/29

وتحقيق الاعتمادية المتبادلة، وعمدت كثير من الدول على فتح حدودها وتشجيع اتاحه حرية الحركة مع غيرها من الدول، ولقد استمر الحال على هذا المنوال حتى ظهور جائحة فيروس «كورونا» في بدايات العام ٢٠٢٠، لتؤدي إلى تعطيل الاجتماعات الدولية وألغاء الزيارات الرسمية أو أجلت إلى أجل لاحق غير محدد، واقتصر الدور الدبلوماسي في مختلف اصقاع العالم على متابعة تطورات انتشار فايروس كورونا أو مساعدة مواطنيهم في البلدان المعتمدين لديها للعودة إلى بلدانهم[١].

ووفقاً لما ذكر أعلاه، يدفعنا هذا للنظر من زاوية أخرى إلى ماهية أوجه التعاون الدبلوماسي، التي قد تتطور وتنمو بين الوحدات السياسية في ضوء هذه الاوضاع غير المسبوقة- وحتى ما بعد جائحة كورونا، وتبرز "الدبلوماسية التكنولوجية" باعتبارها أحدى أهم المجالات التي من المتوقع أن تشهد توسعاً كبيراً في إطار مفهومها وتطبيقاتها، وفي القدر ذاته من الأهمية فإن "الدبلوماسية الطبية" ستكون لها مكانتها ونصيبها الكبير من الاهتمام، أذ إن العالم سيعمل خلال المرحلة الزمنية المقبلة على الوصول إلى مرحلة متقدمة من تطبيق البروتوكولات الصحية والطبية المشتركة وذلك بعد أن أثبتت جائحة فايروس كورونا عدم جدوى الحلول الفردية في مواجهة مثل هذه التحديات[٢].

ويرى البعض إن الدبلوماسية قد انتقلت تماما لتصبح عبر الإنترنت وذلك مع احتدام تفشي فيروس كورونا، وهنا يطرح سؤال مهم عما إذا كانت دبلوماسية أصلا تلك التي تتم عبر تطبيق زوم (ZOOM)؟، وهذا ما دفع مجلس الأمن الدولي أمضى مع بداية أبريل/نيسان في ذروة تفشي الفيروس أسبوعا في مداولات مكثفة حول البروتوكولات التي طالبت بعقد اجتماعات رسمية فقط في غرفة خاصة في مقر الأمم المتحدة، ورغم أن روسيا قد وافقت بعد تعنت طويل على التداول بالفيديو، فإن إجراء المناقشات عبر الإنترنت لم يفعل الكثير لإنهاء المأزق السياسي الأوسع الذي يمنع الإجماع المنتظم بين الأعضاء الخمسة الدائمين في المجلس، وهذا ما يجعل البعض يقول: أن مجلس الأمن الدولي المسؤول عن "صون السلم والأمن الدوليين" قد فشل في تبني قرار واحد في أكبر أزمة عالمية منذ الحرب العالمية الثانية.

أن فيروس كورونا فرض قيودا جديدة على المهنة الدبلوماسية، حيث لا يمكن للدبلوماسيين الاجتماع بشكل شخصي، أو القيام برحلات خارجية، أو تنظيم ارتباطات رفيعة المستوى، وكان على الخدمات الأجنبية في جميع دول العالم أن تعتاد على إجراء جانب مهم من اعمالها بواسطة

---

[١] – احمد عبد الرافع عبد المجيد، الممارسات الدبلوماسية ما بعد كورونا، صحيفة البيان الإماراتية بتاريخ ١١ نيسان ٢٠٢٠:
https://www.albayan.ae/opinions/articles/2020-04-11-1.3827455

[٢] – المصدر السابق نفسه.

الإنترنت، من خلال شبكات غير آمنة، وأصبحت الاجتماعات الثنائية والمتعددة على المستوى السياسي شائعة، وحيث بدأ يتسع نطاق المؤتمرات الكبيرة المتعددة الأطراف، و أن ظاهرة ما يسمى بـ "الزومبلوماسي" حققت بالفعل الكثير من النتائج، أذ شهدت أوائل شهر أبريل/نيسان الماضي نجح وزراء الطاقة في منظمة أوبك -الذين اجتمعوا بدعم خارجي من مجموعة العشرين- في التوصل إلى قرار تاريخي بشأن خفض إنتاج النفط، ورغم أن مؤتمرات قمة G7 وG 20 عبر الانترنت لم تنتج عنهما أي قرارات ومواقف مؤثرة، لكن من المرجح أن يكون السبب في هذه الإخفاقات يعود حتماً إلى تصادم المصالح وليس بسبب ان اللقاءات قد جرت عبر الإنترنت[١].

وفي الواقع لا يمكننا اغفال حقيقة مهمة وهي أنه على الرغم من أن الثورة التكنولوجية مارست طوال العقود السابقة دوراً مهماً في تغيير أساليب عمل وتفاصيل مهمة في أنماط الحياة والممارسة العملية في مختلف القطاعات، إلا أنها بقيت تواجه وفيما يخص العمل الدبلوماسي، مقاومة من المدرسة التقليدية التي يرى اصحابها أنه لا غنى عنها لأداء العمل الدبلوماسي على الوجه الأكمل، وأن إقامة واستدامة العلاقات والتواصل بين الدول يتطلب التواصل المباشر بين ممثليها.

وختاماً يمكن القول إنه وفي الوقت الذي قد تشهد فيه الممارسة الدبلوماسية تغييرات كبيرة على مستوى الممارسة والشكل والبروتوكولات الحاكمة لها، لكن يبقى جوهر وصلب المهام الدبلوماسية سيزداد ويتضاعف، لأن عالم اليوم أكثر إلحاحاً وضرورة لأهمية تكاتف جميع الجهود الدولية، للعمل على تجاوز المرحلة المصيرية الراهنة في تاريخ البشرية التي تمثل تهديد للوجود الانساني.[٢]

رابعاً. جائحة كورونا وسيادة الدولة

أن تفشي فيروس كورونا أعاد مسألة الحدود الوطنية من جديد إلى الواجهة، حيث استعادت العواصم السيادة الوطنية في القارة الأوروبية بشكل فعال دون طلب الأذن من الاتحاد الأوروبي في اتخاذ إجراءات مثل إغلاق الحدود الوطنية، وهو ما يحمل رمزية كبيرة تعزز من فكرة "عودة الدولة"، ولذا فقد تميل الدول إلى الاحتفاظ بحدود صلبة بعد نهاية فيروس كورونا، خاصة في ظل الإحباط من دعم التكتلات الاقليمية في مواجهة تفشي الفيروس لاسيما في القارة الأوروبية مع تصاعد الخلافات بين دول الاتحاد حول السبيل الأمثل لتحجيم التداعيات السلبية للفيروس.

---

١ – https://www.aljazeera.net/news/2020/5/19/%D9%81%D9%8A-%D8%B8%

٢ – احمد عبد الرافع عبد المجيد، مصدر سابق.

ومن المرجح أن تتسم مرحلة ما بعد كورونا، بتصاعد قضايا السياسات الدنيا لتحتل الأولوية في ظل ما كشفته الأزمة من أهمية إيلاء الأولوية لقضايا مثل الصحة والتعليم والعمل. وتشير بعض التقديرات إلى أن المرحلة المقبلة من المرجح أن تشهد تصدراً لقضايا الصحة العامة، جنبا مع جنب مع العمل على تقليل البطالة التي تزايدت بشكل كبير إثر تفشي كورونا، وتعزيز الاهتمام بالبحث العلمي ومستويات التعليم في الدول المختلفة.

ورأى أن الأزمة كشفت ضعف البنية التحتية لتكنولوجيا الاتصالات في العديد من البلدان والمجتمعات، ما عزز الطبيعة الحرجة لهذه البنية التحتية، وقد أظهرت الأزمة أيضاً هشاشة نظم المعلومات أمام التضليل والتلاعب الأجنبي، كما أثارت مخاوف تتعلق بالخصوصية إزاء زيادة استخدام الحكومة للتكنولوجيا لتتبع وإدارة تفشي فيروس كورونا. ومن المرجح أن يتم إعادة فتح باب النقاش مرة أخرى حول المخاوف من المراقبة الحكومية، وحامية المعلومات الشخصية والخصوصية، ودور الحكومة في قطاعات الاقتصاد والأعمال، والعلاقة بين الحكومات المحلية والاتحادية وحتى الوطنية، والسيادة الإلكترونية الوطنية. ومن المتوقع أيضا زيادة الاهتمام بتمويل وإدارة البنية التحتية للاتصالات وتكنولوجيا المعلومات مع تصاعد الدعوات لمزيد من التمويل الوطني والسيطرة على الشبكات.

وخلص إلى أن الدولة الوطنية في مرحلة ما بعد كورونا من المرجح أن تختلف عما كانت عليه في السابق، مع تباين التأثيرات المحتملة وفقا لخصوصية وطبيعة كل نظام سياسي والبيئة التي يتفاعل بها، ومع شيوع حالة عدم اليقين إزاء التطورات المرتبطة بالمرحلة المرتبطة بالمرحلة اللاحقة، خاصة وأن تفشي الفيروس لا يزال قائما ولم ينته بعد، ولم يتم التوصل إلى لقاح فعال، فإن كل التطورات القائمة والمحتملة حتى يتم القضاء بشكل كامل على الفيروس من شأنها أن تمثل قوة دفع باتجاه تعزيز أدوار الدولة بشكل أكبر، خاصة وأن أغلب الاختصاصات التي اكتسبتها الدولة خلال مرحلة فيروس كورونا قد لا تتخلى عنها، لاسيما في الدولة الأكثر تضررا من تداعيات الجائحة.

خامساً: تأثيرات جائحة كورونا على الأمن الدولي:

باتت جائحة كورونا أهم خطر يهدد الوجود البشري بسبب سرعة انتشار الفايروس المستجد وحجم الإصابات وعدد الوفيات التي يحدثها وانعدام العلاج او اللقاح الفعال وقدرته على عبور الحدود الدولية وبالتالي لا يمكن حصره في مكان معين، لذلك ما كان للدول من بد إلا الاعتماد على أساليب وقائية قديمة وتقليدية تتمثل بفرض قيود الحركة واتخاذ الإجراءات الوقائية وفرض التباعد الاجتماعي وفرض عزلة تامة داخلياً وخارجياً منع السفر وغلق الحدود وإيقاف حركة الطيران...الخ.

أن جميع ما ذكر أعلاه يمثل جانب محدود من آثار العولمة ومخاطرها على الدولة من خلال التحديات التي تفرضها الجائحة على الأمن الفردي والأمن المجتمعي بجميع اشكاله الاقتصادية والسياسية والصحية، لذلك مثلت جائحة كورونا التحدي العالمي الأول للأمن الدولي بعد أن كان تهديد الجماعات الإرهابية هي الشغل الشاغل للمجتمع الدولي الذي دأب منذ عقود لمواجهته حيث كان يمثل العدو الأول للعالم المتحضر[١].

أما اليوم فأن العالم يواجه خطراً وجودياً أثر على جميع جوانب الحياة العامة في جميع دول العالم على اختلاف اشكالها ومواقعها واحجامها، فقد فرض الفايروس الذي لا يرى بالعين المجردة أسلوب حياة جديدة لم يعهده المجتمع المتحضر وبالتالي هذا مثل تحدي جديد يضاف إلى مجموعة التحديات الأمنية التي تواجه العالم ويتطلب وضع خطط واستراتيجيات بعيدة المدى لمواجهة هذا الوباء الحالي ومنع تكرار حدوث جائحة مشابهه أو ربما تكون أشد فتكاً في المستقبل القريب.

"ومن المرجح أن تلجأ الدول في مرحلة ما بعد جائحة كورونا، إلى استحداث او تطوير (الاستخبارات المضادة للأوبئة) لضمان عدم تعرضها لمفاجأة أخرى كما حصل مع فايروس كورونا، أذ أدت الأزمات والكوارث العالمية السابقة إلى لجوء الدول إلى تطوير قدرات أجهزتها الاستخباراتية، وقد قامت الولايات المتحدة بعد حوادث كبرى، مثل الهجوم على بيرل هاربر، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول ٢٠٠١، بإصلاحات استخباراتية للحيلولة دون تكرار أي من تلك الكوارث مرة أخرى، وستفعل كورونا الأمر نفسه وستصبح الاستخبارات الوبائية جزءا محوريا من الأمن القومي في العالم إلى جانب مجالات أخرى مثل مكافحة الإرهاب، ومكافحة التجسس والأمن السيبراني".

أن ما سبق ذكره يتطلب من المجتمع الدولي أن يتكاتف ويعمل بروح الفريق الدولي الواحد لمواجهة العدو المشترك أذ ان هذا الفايروس يمثل تهديد للجميع وبالتالي هو عدو مشترك ويتطلب من العالم على اختلاف مشاربهم السياسية والايديولوجية التماسك والوحدة امام هذا العدو (فايروس كوفيد ١٩)[٢].

وعلى هذا الأساس، ستكون قضية مواجهة الفايروسات والجوائح التي قد تحدثها هي من اهم قضايا العالم للعقود القادمة، بعدما استخف الجميع بالآثار السلبية التي يفرزها هذا التحدي

---

١ - Foreign Policy: MARCH 25, 2020. . Micah Zenko: The Coronavirus Is the Worst Intelligence Failure in U.S. History- https://foreignpolicy.com/2020/03/25/coronavirusworst intelligence-failure-us-history-covid-19/ (04/04/2020).

٢ - Thursday March 05 2020, 5.00pm ,Ed Conway, Coronavirus can trigger a new industrial revolution, The Times GMT. https://www.thetimes.co.uk/edition/comment/coronavirus-has-a-silver-lining-cz8wpc6xj .

الفايروسي على مستوى الصحة والاقتصاد ونمط الحياة اليومية الطبيعية وربما نتائجه غير المباشرة على مستوى تأجيج الصراعات الدولية والانكفاء وفرض العزلة الدولية واتساع هوه الخلافات كما هو الحال بين الصين والولايات المتحدة الامريكية.

سادساً: تصورات مستقبلية لطبيعة العلاقات الدولية ما بعد كورونا:

وفي سياق هذا الموضوع تحديداً هناك اتجاهين ترتكز نحوها التحاليل الإستراتيجية لبناء سيناريوهات مستقبلية في الكيفية التي ستتجه إليها العلاقات الدولية ما بعد أزمة جائحة فايروس كورونا[١]:

فالإتجاه الأول، يتجه نحو اتخاذ سياسة الانكفاء الداخلي واتباع استراتيجية العزلة على مستوى الاجتماعي والاقتصادي، في حين قد يتفاعل التنافس السياسي شدة بين الدول وتتفاقم حدة الخلافات الدولية المبنية على الايدولوجية بين مختلف المعسكرات (الغربية – الغربية) و(الغربية – الشرقية). وأن ما يعمق الخلافات السياسية بين هذه الايديولوجيات المتناقضة حول عدة قضايا بما يصعب الوصول إلى حلول وبشكل خاص وجود خلافات مسبقة حول قضايا إقليمية ودولية معقدة سبقت قضية جائحة كورونا، وان في مجمل هذه الخلافات ما هي إلا خلافات تنبعث من التنافس والاحتكار الاقتصادي بين الدول وبشكل خاص بين الولايات المتحدة والصين، بعد إن أصبحت (الصين) تشكل منافس قوي للقوة العظمى (الولايات المتحدة) على المستوى الإقليمي و الدولي؛ بل إن (الصين) سعت بتجنيد قوتها الاقتصادية ضد الاقتصاد (الأمريكي) وتتحداها في زعامة المنظومة الدولية؛ وهذا التنافس أربك العلاقات بين البلدين اقتصادياً.. وأمنياً.. واستراتيجياً[٢].

ولهذا فان الولايات المتحد الامريكية ومعها المنظومة الغربية (الأوربية)؛ قد يلجون إلى الانكفاء الذاتي وتعزيز الانتماء والشعور الوطني والشعوبي؛ بعد إن تضع كل دولة مصالحها الوطنية فوق كل الاعتبارات؛ ولكن إن هذا الانكفاء بكل تأكيد لن يستمر طويلاً لان مهما عملت وفعلت الدول والمجتمعات والحكومات والشركات إلى تعزيز قدراتهم على الاكتفاء الاقتصادي، لن ولن يستطيعوا الصمود لفترات طويلة لان تطورات وتغييرات ستحدث في طبيعة "حركة التاريخ" بما

---

[١] – فؤاد الكنجي، كورونا والعلاقات الدولي بين استراتيجية المصالح الاقتصادية والأمن القومي:
https://www.zowaa.org/%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%/#.X4b89NUzbIU

[٢] – للمزيد ينظر: تأثيرات كورونا على التنافس الإقتصادي الأمريكي– الصيني، مركز الفكر الإستراتيجي للدراسات، ٢٣ مارس ٢٠٢٠ على الرابط:
https://fikercenter.com/assets/uploads/

يؤدي إلى تشكيل تصورات براغماتية (مصلحية) لا محال ستغير من التزامات الدول الغربية والولايات المتحدة تحديد بما اتخذته عن نفسها من التزامات بخصوص الانكفاء نحو الداخل.

أما الاتجاه الثاني: فانه يتجه نحو اتخاذ إستراتيجية المشاركة والتعاون و العمل الجماعي والارتقاء بالعلاقات الدولية بناءه بين مختلف دول العالم بما يعزز من القيم الإنسانية والاهتمام بالإنسان ووقايته من الأوبئة المفاجئة وتوفير الخدمات الصحية؛ وضرورة الوعي ألأممي بمخاطر الأوبئة على الأوضاع الاقتصادية، كما حدث اثر انتشار جائحة كورونا، لذلك فان على الدول الوعي بمخاطر التي تحدق بمصير البشرية على عالمنا والعمل على حد من إنتاج الأسلحة الفتاكة والمدمرة؛ وكل هذه الوقائع تجعل الأمم إن ترتقي بعلاقاتها الدولية؛ لان الخوف من مصير المفجع للحياة على كوكبنا هو ما يحفز الدول إلى التعاون وإيجاد مناخ مشترك لبناء أفضل العلاقات بين الدول تقوم على قاعدة المنطق والعقل والرغبة في التعاون لنتجنب بناء علاقات دولية مبنية على المصالح؛ لان هذه المصالح هي التي تخلق بين الأمم والشعوب توترات ومخاصمات نتيجة طغيان المصلحة عن قيم العقل .

وفي نهاية المطاف فأن جائحة فايروس كورونا ربما تصبح فرصة مناسبة لإعادة بناء علاقات دولية مستقرة على جميع مستوياتها ومجالاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ وهذا الوضع سيفتح المجال للدول إلى إقامة مزيدا من الندوات والمؤتمرات في هذه المجالات لمستقبل أفضل للعالم، والتي من شأنها إن تنهض بالاتفاقات الدولية الثنائية والجماعية بعيدا عن قضية القطب الواحد الذي يفرض الهيمنة على إرادة الآخرين كما فعلته الولايات المتحدة بعد إن جعلت من (النظام الدولي) قطب واحد بزعامتها فقط وفرضت إرادتها على الجميع، بعد إن تعرضت اغلب دول العالم إلى عقوبات وضغوطات أمريكية قاسية ولم تستطع معارضتها لقوتها الاقتصادية والعسكرية، ولو كان (النظام الدولي) متعدد الأقطاب لواجهت الولايات المتحدة معارضة شرسة من التكتلات دولية، وكان لهم إن يضعوا حدود لهيمنتها، واليوم بعد إن تعرضت الولايات المتحدة الامريكية لجائحة كورونا وانكماش اقتصادها وتدهور أوضاع مصانعها وإنتاجها وتعرض بورصات المال والمصارف إلى الكساد والتدهور، كما تدهورت الأوضاع الاجتماعية نتيجة تفاقم أزمة البطالة بين شرائح واسعة من المجتمع، فان إمكانية ظهور (أقطاب دولية متعددة) ربما سيتم منافستها وإزاحتها عن الهيمنة على (النظام الدولي). لان الولايات المتحدة اليوم إذ أصرت التوغل في هيمنتها واستمرارها باتخاذ الأسلوب الحماية الداخلية وتعميم حالة العزلة الاجتماعية في المجتمع، والذي ترتب عنه حدوث ارتباكا كبيرا في حركة الأسواق التجارية وحركة اقتصادها ليشكل كل ذلك نوع من (الانغلاق الذاتي) وعدم الانفتاح على دول العالم، ما ترتب عنه تحجيم النمو الاقتصادي لها.[1]

[1] – فؤاد الكنجي، مصدر سابق.

الفصل السابع: الاجراءات الاستثنائية لمواجهة جائحة كورونا في العراق واثرها على القواعد القانونية الدولية لحقوق الانسان:

م. م. سعد جمار نشمي علي*

المقدمة:

قد تواجه الدولة ظروفاً غير اعتيادية تشكل خطراً يهدد بقاءها ويعرض نظامها العام في جزء منها أو جميعها للخطر, وهذا الخطر قد يكون داخلياً أو خارجيا يتمثل بوقوع حرب أو حدوث اضطرابات داخلية وغيرها ,أما الخطر الذي يواجه العالم اليوم فيتمثل بانتشار وباء كورونا, حيث اعتبرت "منظمة الصحة العالمية" تفشّيه قد بلغ مستوى الجائحة أو الوباء العالمي, ودعت الحكومات إلى اتخاذ خطوات عاجلة وأكثر صرامة لوقف انتشاره, الأمر الذي دفع الدول ومنها العراق إلى مواجهة الظرف الطارئ باتخاذ اجراءات استثنائية تحل محل الاجراءات العادية , وقد يكتسب هذا التصرف مشروعيته من الدستور أو القوانين العادية والمواثيق الدولية التي تجيز للدولة الخروج عن المألوف من الاجراءات العادية لتحل معها قوانين الطوارئ التي يتطلب تطبيقها التقيد بجملة من الضوابط الموضوعية والشكلية التي تضمنتها المواثيق الدولية, حيث اتاحت للدول التحلل مؤقتاً من التزاماتها الدولية بما فيها الالتزامات الدولية المتعلقة بحقوق الانسان , لكن في اضيق الحدود أي في حدود ما يتطلبه الوضع.

فعلى عكس ما يسمح به للأفراد من حرية التمتع بحقوقهم في الظروف العادية فأنه تخضع هذه الحقوق في الحالات الطارئة لمزيد من القيود تقتضيه الحفاظ على الصحة العامة, مما يزيد احتمال التعسف واهدار الضمانات الداخلية والدولية المتعلقة بالحقوق والحريات, فالواقع الدولي أفرز الكثير من الانتهاكات لحقوق الانسان عند لجوء الدول إلى اتخاذ اجراءات طارئة وهو ما تم لمسه في بعض اجراءات الحكومة العراقية بالرغم من احاطة المشرع الدولي لحقوق الانسان بجملة من الضمانات تكفل حمايتها من خلال تأكيده على احترام حقوق الانسان وحرياته واضفاءه نوعاً من الحصانة على بعض الحقوق التي حرم المساس بها, واجاز تقييد بعض الحقوق وفق ضوابط يجب التقيد بها على نحو يحقق توازن بين حق الدولة في الحفاظ على الصحة العامة لأفرادها بمواجهة خطر كورونا وبين الحفاظ على الحقوق والحريات وحمايتها.

* –مركز الدراسات الاستراتيجية/ جامعة الانبار.

المبحث الاول: التأصيل القانوني للإجراءات الاستثنائية لمواجهة جائحة كورونا في العراق:

يمكن أن تجد الظروف الاستثنائية التي تبيح لسلطات الدولة استخدام اجراءات استثنائية تأصيلها ضمن أحكام القضاء الاداري متمثلة بنظرية الظروف الطارئة، كما تنظم الدساتير والقوانين الانظمة الاستثنائية, إذ يتضمن الدستور الخطوط العامة الرئيسة ويترك التفاصيل للقوانين, كما نجد تنظيماً للظروف الاستثنائية في القانون الدولي , وعليه فأن لنظرية الظروف الطارئة أساسين داخليين هما اساسها ضمن احكام القضاء الاداري والاساس المتجسد في الدساتير والقوانين العادية فضلاً عن ذلك لها اساس قانوني دولي.

المطلب الأول: التأصيل القانوني الداخلي:

أولاً: التأصيل القانوني الدستوري:

إن الانتشار السريع لفيروس كورونا والخطر البالغ الاثر الذي يترتب عليه على كافة الأصعدة يتطلب مواجهة سريعة وفعالة لهذا الخطر، وهذا لا يمكن تحقيقه باللجوء الى الوسائل الاعتيادية، انما يتطلب من الدولة اتباع سياسات غير اعتيادية (استثنائية) لمواجهة هذه الجائحة، الامر الذي دفع الدولة العراقية كغيرها من دول العالم الأخرى الى إعمال نظرية الظروف الاستثنائية التي تجد تأصيلها في احكام القضاء الإداري وفي الدساتير او التشريعات التي تنظم السلطات الاستثنائية التي تمارس مهامها في تلك الظروف، حيث تم اصدار الامر الديواني المرقم(٥٥) بتاريخ ٢٠٢٠ /٢/٢٦ الخاص بتشكيل خلية الازمة برئاسة وزير الصحة, والامر الديواني رقم (٧٩) بتاريخ ٢٠٢٠ /٣/٢٦ الخاص بتشكيل اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية برئاسة رئيس الوزراء, وتعرف الظروف الاستثنائية بانها (حالة فجائية توجد فيها الدولة مهددة بمخاطر داخلية او خارجية, الامر الذي يستوجب اتخاذ كافة الاجراءات الاستثنائية المختلفة لدرء الاخطار واعادة الامور الى وضعها الطبيعي، ويقتضي ذلك تجاوز الاجراءات والاوضاع المقررة في الظروف العادية التي يحكمها مبدأ الشرعية العادية)[١] ,كما تعرف حالة الطوارئ بانها(أنها نظام استثنائي شرطي مبرر بفكرة الخطر المحدق بالكيان الوطني) أو(أنها تدبير قانوني مخصص لحماية كل أو بعض أجزاء البلاد ضد الأخطار الناجمة عن عدوان)[٢]. وعليه نفهم مما سبق أن الظروف الاستثنائية أو حالة الطوارئ هي حالة استثنائية تستند على فكرة الخطر المحدق بالدولة من عدو قد يكون معلوم أو مجهول,

---

(١) علي هادي حمادي: حالة الطوارئ وسلطات الضبط الاداري (دراسة مقارنة), مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية, جامعة بابل ,السنة الثالثة, ص٢٠.

(٢) محبوبي محمد: الظروف الاستثنائية وحماية حقوق الانسان في ظل القانون الدولي لحقوق الانسان, رسالة ماجستير , كلية الحقوق , جامعة زيان عاشور, ٢٠١١,ص١٩.

والعدو هذه المرة ليس كيان عسكري، وإنما كائناً مجهرياً "فيروس" يهاجم النظام الحيوي للإنسان , وبموجب نظرية الظروف الطارئة تمنح السلطة التنفيذية سلطات استثنائية تختلف عن السلطات الممنوحة لها في الاوقات العادية لمواجهة الظروف الاستثنائية بما يضمن سلامة المجتمع, غير ان تطبيق هذه النظرية يستدعي تحقق شروط حددها الفقه وهي:

١- تحقق الظرف الاستثنائي المتمثل بوجود تهديد بخطر جسيم حال يهدد النظام العام , والخطر أما أن يكون طبيعياً كالزلازل والفيضانات أو الاوبئة, أو خارجياً كالحروب أو داخلياً مثل العصيان المسلح أو التمرد العسكري والمظاهرات غير السلمية, ويشترط في الخطر أن يكون جسيماً يؤدي إلى ضرر جسيم بحيث يكون غير مألوف من حيث النوع أو المدى وكذلك يشترط فيه أن يكون حالاً أي أنه وقع ولم ينته أو وشيك الوقوع[١] .

٢- استحالة مواجهة الخطر بالطرق القانونية العادية, ومسألة إثبات استحالة دفع ودرء هذه الأخطار والمخاطر بواسطة الوسائل والأحكام والاجراءات القانونية المقررة للظروف العادية التي ذهب إلى اشتراطها جانب من الفقه، تحتاج إلى تدقيق لأن الظرف الاستثنائي في حد ذاته صعب الإثبات بطبيعته

٣- ملاءمة الوسائل التي تستخدمها الادارة مع الظروف الاستثنائية

٤- ان تهدف الادارة الى تحقيق المصلحة العامة من الاجراءات والقرارات التي تتخذها

٥- أن تكون مؤقتة تنتهي بانتهاء الظرف الاستثنائي[٢].

وبعد أن تناولنا تأصيل الظروف الطارئة في القضاء الإداري وشروطها لابد من بيان أساسها في الدستور العراقي الحالي لكي نحدد الاطار القانوني للإجراءات المتخذة من قبل الحكومة العراقية, فغالبا ما تنظم دساتير الدول أنظمة الاستثناء التي تعتمدها, وبالنظر إلى نصوص الدستور العراقي نجد تأصيلاً للظروف الاستثنائية في دستور جمهورية العراق الدائم لعام ٢٠٠٥ ,إذ منح مجلس النواب صلاحية الموافقة على إعلان حالة الطوارئ وبأغلبية الثلثين بناء على طلب مشترك من رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء ، كما حدد المدة القصوى لإعلان حالة الطوارئ بـ (٣٠) يوماً قابلة للتمديد في كل مرة, كما أحال الدستور للقانون تنظيم كل ما يتعلق بحالة الحرب

(١) د. ثروت عبد الهادي خالد الجوهري، مدى ضرورة السلطات الاستثنائية في جمهورية مصر العربية والرقابة عليها، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١١٥.

(٢) محمد أحمد ابراهيم : ضمانات الأفراد في ظل الظروف الاستثنائية في المجالين الدولي والإداري– دراسة مقارنة, د.ن, ٢٠٠٨, ص٤٧.

والطوارئ, وبعد انتهاء المدة المذكورة يقوم رئيس مجلس الوزراء بعرض الإجراءات المتخذة والنتائج التي تم التوصل إليها إثناء مدة حالة الطوارئ على مجلس النواب خلال ١٥ يوماً من تاريخ انتهائها[١].

وبالتمعن في فقرات المادة (٦١) من الدستور العراقي نجد أنه لم يحدد الحالات التي بإمكان الحكومة إعلان حالة الطوارئ بموجبها, وكان الأفضل تحديدها حتى لا يخضع هذا الاعلان للتقدير الشخصي لرئيسي الجمهورية ومجلس الوزراء, و ترك لرئيس الوزراء الصلاحيات اللازمة التي تمكنه من إدارة شؤون البلاد خلال مدة إعلان حالة الطوارئ، وقيد المشرع العراقي إجراءات رئيس الوزراء بأن تكون ضمن أحكام الدستور، وان لا تشكل أي مخالفة له، ولأجل عدم التوسع بتقدير الظرف الاستثنائي والتوغل بتقييد الحريات دعت المادة الدستورية مجلس النواب بتشريع قانون ينظم صلاحيات رئيس الوزراء عند إعلان حالة الطوارئ وبما لا يتعارض مع الدستور .

ثانياً: التأصيل التشريعي للإجراءات الاستثنائية:

١- قوانين الدفاع عن السلامة الوطنية:

يمكن أن نجد تأصيلاً قانونياً للظروف الاستثنائية التي توجب اتخاذ إجراءات استثنائية من قبل السلطة العامة في التشريعات العادية المتمثلة بقانون السلامة الوطنية رقم (٤) لعام ١٩٦٥, حيث حدد الحالات التي تجيز إعلان الطوارئ في العراق أوفي منطقة عند وجود ثلاث أسباب وهي حدوث خطر من غارة عدائية أو إعلان الحرب أو قيامها ، أو هو حدوث اضطراب خطير في الأمن العام أو تهديد خطير له, أو عند حدوث وباء عام أو كارثة عامة, ووضع قيد شكلي يتمثل بضرورة إعلان حالة الطوارئ وإنهاؤها بمرسوم جمهوري بموافقة مجلس الوزراء[٢], واناط ممارسة السلطات الاستثنائية برئيس الوزراء وله بموافقة مجلس الوزراء أن يفرض قيود على حرية الأشخاص في الانتقال والمرور والتجوال, والأمر بتفتيش الأشخاص والاماكن وتفريق الاجتماعات والتجمعات بالقوة وإبعاد الأجانب من البلاد, وفرض الرقابة على الصحف والمجلات والكتب والنشرات ومراقبة الرسائل البريدية والبرقية ومواعيد فتح وأغلاق المحال العامة وفرض الحراسة على الشركات والمؤسسات[٣].

---

(١) المادة (٦١/البند تاسعاً) من دستور العراق لعام ٢٠٠٥.

(٢) ينظر المواد(١, ٢) من قانون السلامة الوطنية رقم (٤) لعام ١٩٦٥.

(٣) ينظر المادة (٤) من قانون السلامة الوطنية رقم (٤) لعام ١٩٦٥.

من خلال التمعن في نصوص القانون نجد أنه فيما يتعلق بالحقوق والحريات أنه منح السلطة التنفيذية سلطات واسعة جداً عند إعلان حالة الطوارئ تمثلت في فرض القيود على معظم الحقوق المدنية والسياسية، وفي المقابل لم ينص القانون على الضمانات الكافية للأفراد عند تعرض حقوقهم للانتهاك .

أما عن أمر الدفاع عن السلامة الوطنية رقم (١) لعام ٢٠٠٤ فقد حدد الأسباب التي تخول رئيس الوزراء اعلان حالة الطوارئ في أي مكان في العراق بعد استحصال موافقة مجلس الرئاسة بالإجماع وهي تعرض الشعب العراقي لخطر حال جسيم يهدد الأفراد في حياتهم وناشئ من حملة مستمرة للعنف, وحدد القانون مدة الطوارئ ب(٦٠) يوم مع جواز تمديدها[١].

وقد خول الأمر لرئيس مجلس الوزراء اتخاذ الإجراءات اللازمة لتدارك الاوضاع المحدقة لحالة الخطر: كفرض حظر التجوال والقيود على الاموال والاشياء, وكذلك القيود السالبة للحريات والحقوق مثل منع التنقل والتجمع والسفر, واتخاذ إجراءات احترازية على الطرود والرسائل والبرقيات ووسائل وأجهزة الاتصال السلكية واللاسلكية كافة، وفرض قيود على وسائل النقل والمواصلات البرية والجوية والمائية في مناطق محددة ولفترة محددة، وفرض قيود على المحال العامة والتجارية والنوادي والجمعيات والنقابات والشركات والمؤسسات والدوائر فضلاً عن منحه صلاحيات اخرى تتعلق بترخيص الاسلحة واتخاذ اجراءات عسكرية [٢].

وفيما يخص ضمانات حقوق الانسان تضمن الأمر قيود لاحقة على إعلان حالة الطوارئ تتمثل بوجوب عرض قرارات توقيف أو حجز الاشخاص أو الأموال على قاضي التحقيق وضرورة عرض المتهم امام القاضي خلال (٢٤) ساعة من توقيفه ,فضلاً عن إحالة جميع الجرائم المرتكبة خلال مدة سريان حالة الطوارئ إلى المحكمة الجنائية المركزية حصراً[٣], ولم يقتصر الأمر على هذه الرقابة بل تعدتها إلى الرقابة السياسية الدستورية والتي تمثلت بضرورة استحصال مصادقة هيئة الرئاسة بالإجماع على القرارات والإجراءات الاستثنائية فضلاً عن حق الجمعية الوطنية المؤقتة في مراقبة تنفيذ هذه الإجراءات ,كما عزز الأمر الضمانات بالرقابة القضائية التي تتمثل برقابة محكمة التمييز ورقابة المحكمة الاتحادية العليا التي لها الحق في تقرير إلغاء تلك القرارات والإجراءات في حالة عدم مشروعيتها أو تصديقها في حالة مطابقتها للقانون[٤] .

---

(١) المادة (١) من أمر الدفاع عن السلامة الوطنية رقم (١) لعام ٢٠٠٤.

(٢) المادة(٣) من أمر السلامة الوطنية رقم (١) لعام ٢٠٠٤.

(٣) ينظر المواد (٤, ٧) من أمر الدفاع عن السلامة الوطنية رقم (١) لعام ٢٠٠٤.

(٤) المادة(٩) من أمر الدفاع عن السلامة الوطنية رقم (١) لعام ٢٠٠٤.

٢- **قانون الصحة العامة رقم ٨٩ لعام ١٩٨١**المعدل:

يمكن القول ان الاجراءات الاستثنائية الوقائية لمواجهة جائحة كورونا تستمد شرعيتها من نصوص قانون الصحة العامة رقم (٨٩) لعام ١٩٨١ الذي خول وزير الصحة ان يعلن ببيان يصدره اي مدينة او جزء منها منطقة موبوءة بأحد الامراض الخاضعة للوائح الصحية الدولية، وخوله اتخاذ جميع الإجراءات الكفيلة بمنع انتشار المرض ومنها تقييد حركة المواطنين وغلق المحلات العامة التي تشمل المقاهي والمطاعم والفنادق وغيرها فضلاً عن المؤسسات التعليمية وغيرها, ومنع بيع الاغذية والمشروبات وعزل ومراقبة نقل البضائع والحيوانات, ولوزير صلاحية تكليف المختصين من ذوي المهن الطبية بتقديم الخدمات للمصابين [١].

كما خول القانون وزير الصحة أو من يخوله وضع اليد على أي وسيلة نقل أو مبنى رسمي على أن يتم دفع لا صحابها اجور كتعويض تحدده الجهة الصحية, وينبغي تحديد المدة اللازمة لسريان الاجراء الاستثنائي[٢], كذلك خول القانون الجهات الصحية بموافقة الوزير عند وجود مرض انتقالي أو الاشتباه به القيام بالتفتيش الصحي من خلال دخول المساكن والمحلات العامة لغرض الكشف على الأشخاص للتأكد من سلامتهم واخذ عينات من الملامسين, والقيام بإجراءات وقائية مثل رش المواد الكيميائية داخل المساكن وخارجها[٣].

وفيما يخص اجراءات العزل والحجر الصحي للمصابين فانه يوجد له غطاء شرعي ضمن نصوص هذا القانون , حيث أكد على قيام الجهات الصحية باتخاذ الاجراءات اللازمة عند الاشتباه بوجود شخص حاملا للفيروس التي تتضمن مراقبته أو عزله أو حجره لغرض فحصه للتأكد من انه سليم صحيا ومعالجته عند ثبوت اصابته لحين شفاءه مع مراعاة تقديم الغذاء للمصاب مجانا في اماكن العزل[٤] .

وباستقراء نصوص قانون الصحة العامة نجد انه منح السلطة التنفيذية متمثلة بوزير الصحة سلطات واسعة لمواجهة لمكافحة انتشار الاوبئة الخاضعة للوائح الصحية الدولية, وهو ما يتمثل في اعمال نظرية الظروف الاستثنائية كما ذكرنا, فيؤدي الى استعمال السلطات الطرق غير العادية في ادارة الازمات وذلك خروجا على الاساليب الاعتيادية التي تلجأ إليها في الظروف العادية ,حيث منح القانون للإدارة في ظل هذه الظروف القيام بإجراءات مما لا يدخل في اختصاصها في الظروف العادية لمواجهة الظروف الاستثنائية, ومما يؤخذ على قانون الصحة العامة انه لم يتضمن

---

(١) المادة (٤٦) من قانون الصحة العامة رقم (٨٩) لعام ١٩٨١. تم اضافة الفقرة ثالثاً بموجب التعديل الثامن رقم ٥٤ في ٢٠٠١.

(٢) المادة(٤٧) من قانون الصحة العامة رقم (٨٩) لعام ١٩٨١.

(٣) المادة(٥١) من قانون الصحة العامة رقم (٨٩) لعام ١٩٨١.

(٤) المادة(٥٢) من قانون الصحة العامة رقم (٨٩) لعام ١٩٨١.

ضمانات ولا تحديد مدة للقيام بهذه الاجراءات الاستثنائية حيث ترك للإدارة سلطة تقديرية في تحديدها لمواجهة انتشار الوباء مما قد تستغله السلطة العامة للمساس بالحقوق والحريات.

المطلب الثاني: التأصيل القانوني الدولي للإجراءات الاستثنائية وضمانات حماية حقوق الانسان خلالها:

أولاً: التأصيل القانوني الدولي للإجراءات الاستثنائية:

لابد من القول إن ما حدث من ظرف استثنائي في العراق نتيجة الجائحة التي عطلت مؤسسات الدولة ومرافقها العامة وفرض الشروط الاستثنائية المتعلقة بتقييد الحريات العامة تجد اساسها في القوانين الدولية أيضاً، فأنه وبإمعان النظر في نصوص الاتفاقيات الدولية والاقليمية، نجد أصل للظرف الاستثنائي في العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية من خلال تضمنه الاشارة لحالة الطوارئ والية تنظيمها, إذ نص على انه " في حالات الطوارئ الاستثنائية التي تهدد حياة الأمة والمعلن عن قيامها رسميا يجوز للدول الأطراف في هذا العهد أن تتخذ في أضيق الحدود التي يتطلبها الوضع تدابير لا تتقيد بالالتزامات المترتبة عليها بمقتضى هذا العهد شريطة عدم منافاة هذه التدابير للالتزامات الأخرى المترتبة عليها بمقتضى القانون الدولي وعدم انطوائها على تمييز يكون مبرره الوحيد هو العرق أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الأصل الاجتماعي"[1].

أما عن الاتفاقيات الإقليمية، فنجد الاتفاقية الأوروبية لحقوق الانسان قد نصت في على أنه "في حالة الحرب أو الخطر العام الذي يهدد حياة الأمة يجوز لكل طرف سام متعاقد أن يتخذ تدابير تخالف الالتزامات المنصوص عليها في هذا الميثاق في أضيق الحدود التي يتطلبها الوضع وبشرط أن لا تتناقض هذه التدابير مع بقية الالتزامات المنبثقة عن القانون الدولي"[2]

أما عن الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان فقد أكدت على "أنه يمكن للدولة الطرف في أوقات الحرب أو الخطر العام أو سواهما في الحالات الطارئة التي تهدد استقلال الدولة أو أمنها أن تتخذ من إجراءات تحد من التزامها بموجب الاتفاقية الحالية, ولكن فقط بالقدر وخلال المدة التي تقتضيها ضرورات الوضع الطارئ شريطة أن لا تتعارض تلك الإجراءات مع التزاماتها الأخرى

(1) المادة(١/٤) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام١٩٦٩.

(2) المادة (١/١٥) من الاتفاقية الاوربية لعام ١٩٥٠.

بمقتضى القانون الدولي ولا تنطوي على تمييز بسبب العرق أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الأصل الاجتماعي"[1].

وهو نفس التوجه الذي سار عليه الميثاق العربي لحقوق الانسان "إذ نص على أنه "في حالات الطوارئ العامة التي تهدد حياة الأمة، يجوز للدول الأطراف في هذا الميثاق أن تتخذ إلى المدى الضروري الذي يتطلبه الوضع تدابير لا تتقيد فيها بالالتزامات المترتبة عليها بمقتضى الميثاق"[2].

من خلال ما تم استعراضه من نصوص الاتفاقيات الدولية والاقليمية نجد أنها اشارات جميها إلى حالة طارئة استثنائية غير عادية تتعرض لها الدول ,إلا انها لم تتضمن تعريفاً للظروف الاستثنائية ويمكن استخلاص تعريفها من المادة الرابعة للعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية بانها "أوقات الطوارئ العامة التي تهدد حياة الأمة بالخطر والمعلن قيامها رسميا" ,كما يمكن أن نشير إلى تعريف اللوائح الصحية لعام2005 التي وضعتها منظمة الصحة العالمية ,إذ عرفت حالة الطوارئ بأنها" طارئة صحية عمومية تسبب قلقا دولياً بأنها حدث استثنائي كما هو منصوص عليه في اللوائح يشكل خطر محتملا يحدق بالصحة العمومية في الدول الاخرى وذلك بسبب انتشار المرض دولياً وانه قد يقتضي استجابة دولية"[3].

واباحت النصوص الدولية والإقليمية الواردة اعلاه للدول تقييد بعض الحقوق وتعطيل نصوص اتفاقية أثناء إعلان الدول الأطراف لحالة الطوارئ كتجسيد فعلي لمبدأ الضرورة القاضي في بعض الظروف الاستثنائية مخالفة الاتفاقيات بشكل مؤقت، وذلك من أجل استمرار الدولة في القيام بوظائفها، لضمان حقوق الانسان وانتظام سير المرافق العامة.

ثانياً: ضمانات حماية حقوق الانسان خلال الظروف الاستثنائية:

بعد أن تناولنا نصوص الاتفاقيات الدولية والاقليمية فضلاً عن تعريف منظمة الصحة العالمية للظروف الاستثنائية يتبين لنا أن هناك شروط للقيام بإجراءات الاستثنائية تسمح بالتحلل من بعض الالتزامات الدولية لحقوق الانسان تتضمن شروط موضوعية تتعلق بالظرف الاستثنائي والاجراءات المتخذة لمعالجته فضلاً عن شروط شكلية:

([1]) المادة(١/٢٧) من الاتفاقية الامريكية لعام ١٩٦٩.

([2]) المادة(٤/ب) من الميثاق العربي لحقوق الانسان لعام ١٩٨٢.

([3]) ينظر المادة(٤) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية, كذلك المادة (١) من اللوائح الصحية الدولية لعام ٢٠٠٥.

١- **الضمانات الموضوعية الخاصة بالظرف الاستثنائي**

أ- **وجود خطر فعلي يبلغ درجة من الجسامة:** يشترط في القانون الدولي أن تنصب حالة الطوارئ على أخطار على وشك الوقوع أو وقعت فعلا و ليس مجرد الوقاية من المواقف الاستثنائية التي لم تنشأ بعد ، فلا يمكن للدول أن تعطل مصالح الأفراد و تقيد من حقوق الإنسان لمجرد مواجهة مواقف استثنائية محتملة الوقوع أو لم تقع أصلا, بل ينبغي وجود خطر حال يؤدي مباشرة إلى المساس بالمصالح العامة [١], كما يجب أن يمثل الخطر تهديداً جسيماً وهو ما يمثل أحد المبادئ المعلن عنها في مؤتمر "سيراكيوزا" كشرط للاستثناء من تطبيق نصوص العهد الدولي, وفيما يخص حدوث الاوبئة فقد اعتبرته الاتفاقية الدولية لحقوق الانسان ظرفاً استثنائياً يتيح للدول اتخاذ إجراءات استثنائية تقيد بعض الحقوق والحريات[٢] , وهو ما ينطبق على وباء كورونا الذي اعتبرته منظمة الصحة العالمية بأنه بلغ مستويات مقلقة نتيجة لشدة انتشاره مما يعد خطراً يهدد الصحة العامة.

ب-**أن يكون الخطر عاماً:** اشترطت الاتفاقيات الدولية لحقوق الانسان في الخطر أو الظرف الاستثنائي أن يكون عاماً بحيث يؤدي إلى تهديد الامة بأكملها, وهو ما يدعونا إلى التساؤل حول إمكانية فرض اجراءات صحية استثنائية فيما يتعلق بفايروس كورنا عند تعرض جزء من البلاد للوباء ؟ يمكن الاجابة على هذا التساؤل من خلال نص اعلان منظمة الصحة العالمية الذي اعتبر فايروس كورنا قد بلغ مستوى الجائحة أو الوباء العالمي لسرعة انتشاره , وعليه فان تعرض جزء من الدولة لخطر الوباء سيؤثر على جميع اجزاء الدولة والدول المجاورة وهو ما حدث في منطقة ووهان الصينية مركز تفشي الوباء[٣], ولهذا اهتمت لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان بتكييف الطوارئ لتفادي إساءة استخدام إجراءاتها فاشترطت أن تكون الطوارئ على قدر من الجسامة بالقدر الذي يهدد حياة الأمة بأسرها من خلال الاعمال التحضيرية لصياغة نص العهد الدولي.

٢- **الضمانات المتعلقة بالإجراءات المتخذة لمواجهة الخطر الاستثنائي:**

أ- **ينبغي اتخاذ الإجراءات في حدود ما يقتضيه الظرف الاستثنائي وفي اضيق الحدود:**

إن قيام الدول باتخاذذ تدابير وقائية لمكافحة جائحة كورونا ليست مطلقة الحرية وانما ينبغي مراعاة مقتضيات حماية الحريات والحقوق الاساسية المنصوص عليها في المواثيق

---

(١) كاظم الجنابي: سلطات رئيس الدولة في الظروف الاستثنائية (دراسة مقارنة),ط١, المركز القومي للإصدارات القانونية, القاهرة ,مصر,٢٠١٥,ص ٣٨.

(٢) المادة(٥/ه) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٩.

(٣) توصلت للأخذ بهذا الرأي اللجنة الأوروبية و المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان في قضية ايرلندا ضد المملكة المتحدة ، راجع في ذلك حكم المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان الصادر في ١٩٧٨, الجزء ٢٣.

الدولية, بأن تحرص أن لا تكون اجراءاتها قسرية وتعسفية وانما بالقدر اللازم لمواجهة الخطر الاستثنائي من خلال تحقيق التناسب بين ما يتخذ من اجراءات والحماية الداخلية لحقوق الانسان[1].

ب- ضرورة عدم وجود تمييز في الاجراءات المتخذة على أي اساس

في مجال حقوق الانسان يقصد بالتمييز بانه كل معاملة أو اجراء كل ينطوي على استبعاد أو تفرقه أو تقييد أو تفضيل مبني على أساس اللون أو العنصر أو الدين أو الاصل الاجتماعي أو غيره, بأن تستهدف تلك الاجراءات أو المعاملة عرقلة مبدأ مساواة الافراد امام القانون من حيث تمتعهم بالحقوق أو من حيث وسائل حمايتها, وهو ما تم حضره في الاتفاقية الدولية لحقوق الانسان وعدته شرطاً واجب الاتباع في حالة الطوارئ[2].

ت- مراعاة عدم اخلال الاجراءات الاستثنائية بالالتزامات الدولية الاخرى المنصوص عليها:

مفاد هذا القيد انه ينبغي على الدول أن لا تتحجج بوجود ظروف استثنائية لتخالف بذلك التزاماتها الدولية بقيامها باتخاذ اجراءات استثنائية ضد حقوق الافراد بالتقييد أو الوقف بشكل يمثل انتهاكاً لالتزاماتها بمقتضى القانون الدولي, ويكون المشرع الدولي قد سد كل الذرائع امام قيام الدول بالتحلل من التزاماتها خارج نطاق الاتفاقيات التي اجازت التحلل من بعض الالتزامات لوجود ظروف طارئة[3].

٣- الضمانات الشكلية لاتخاذ الاجراءات الاستثنائية:

أ- اعلان حالة الطوارئ بصفة رسمية:

يعد اعلان حالة الطوارئ بشكل رسمي داخل الدول اجراء في غاية الاهمية لحماية حقوق الانسان من جهة ,ويتيح للدول الحق في تعليق بعض التزاماتها الدولية لكي تبقى في اطار المشروعية الدولية من جهة ثانية, وتكمن اهمية ذلك في اعلام الافراد عن الوضع الذي وصلت اليه الدولة وعن الاجراءات التي ستتخذ لمواجهته وما قد يطال حرياتهم وحقوقهم من قيود, ويسهم ذلك في الحد

(1) عباس عبد الامير: حماية حقوق الانسان في القانون الدولي, ط١,منشورات الحلبي الحقوقية, بيروت, لبنان,٢٠١٦,ص

(2) عبد الرحيم محمد عبدالرحيم محمد: الرقابة الدولية على تطبيق العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية, اطروحة دكتوراه ,مصر , اسيوط,٢٠٠٣,ص٢٠٣.

(3) عباس عبد الامير ابراهيم العامري: اعلان حالة الطوارئ واثره على حقوق الانسان,ط١, منشورات الحلبي الحقوقية, بيروت لبنان,٢٠١٦, ص٢٨٦.

من حالات الطوارئ غير المعلن عنها مما يؤدي إلى الحد من الانتهاكات لحقوق الانسان من خلال تطبيق اجراءات قهرية تتعارض مع المشروعية الدولية[١].

ب-الاخطار الدولي بالإجراءات الاستثنائية:

تضمن القانون الدولي التزامات تقع على عاتق الدول التي تستفيد من حق تعليق بعض التزاماتها الدولية, بأن تخطر الدول الأخرى بإجراءاتها الاستثنائية التي اتخذتها والاسباب التي دعتها إلى ذلك والمتمثلة بوجود خطر حال جسيم ,كما ينبغي تحديد وقت انتهاء الاجراءات والاحكام التي تريد التحلل منها, ويتم التبليغ عن طريق سكرتير الامم المتحدة ليقوم بإبلاغ الاجهزة الرقابية لتمارس دورها[٢].

المبحث الثاني: اثر الاجراءات الاستثنائية المتخذة في العراق على حقوق الانسان:

مما لاشك فيه أن قيام الدولة بإجراءات استثنائية لمواجهة الخطر المحدق بها ومحاولة اعادة الوضع لما كان عليه على نحو يكفل استقرار الدولة تصاحبه اثار على حقوق الانسان من خلال تقييد حقوق اخرى ترتبط بالقيود الاصلية المرخص بها, كما تصاحب فرض الاجراءات كثير من التجاوزات من خلال فرض قيود تتجاوز الحد المشروع المرخص به ضمن النصوص الدولية, وعليه لبيان الاثار على حقوق الانسان لابد اولاً من بيان ماهية الحقوق القابلة للتقييد وعدم التقييد ثم نتطرق إلى بحث الاثار السلبية على حقوق الانسان.

المطلب الاول: الحقوق الخاضعة للتقييد وعدم التقييد اثناء الظروف الاستثنائية:

يمكن التمييز في مجال الالتزامات الدولية لحقوق الإنسان ما بين الحقوق الفردية المطلقة والحقوق الجماعية ففيما يخص الحريات التي يمارسها الأفراد بشكل جماعي فأنها تخضع لأحكام التقييد، إذ تتمتع الدولة بسلطة وضع شروط مناسبة تقيد بها ممارستها من أجل الحفاظ على النظام أو الأمن العام أو الصحة أو الأخلاق العامة, أما بالنسبة للالتزامات الفردية المطلقة فهي لا

(١) محمد عصام عبد المنعم اسماعيل: حماية حقوق الانسان في حالة الطوارئ (دراسة مقارنة), اطروحة دكتوراه ,جامعة عين شمس, مصر,٢٠١٢,ص٩٩.
(٢) المادة(٣/٤) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام١٩٦٦.

تسمح للدولة بالتحفظ عليها؛ لأنها ترتبط بحقوق أساسية متأصلة في الكائن البشري كالحق في الحياة والحرية والسلامة الجسدية [١]

أولاً: الحقوق التي اجاز القانون الدولي لحقوق الانسان تقييدها هذه الحقوق تضمنها العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية وتشمل:

١- حرية التنقل والاقامة : سارعت الدول نتيجة لتفشي جائحة كورونا إلى غلق حدودها الجوبة والبرية والبحرية، وقد ضيقت بذلك عملية تنقل الأفراد من مكان لأخرى كتدبير وقائي لمنع انتشار الوباء وانتقاله للاماكن الآمنة, ويعد اتخاذ هكذا إجراء تعطيل لتطبيق متطلبات بعض المعايير الدولية، منها متطلبات العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية, الذي كفل لكل فرد متواجد بشكل قانوني في دولة ما حرية التنقل واختيار مكان إقامته, وحرية مغادرة أي دولة[٢] .

وقد اتاح العهد الدولي امكانية تقييد هذه الحقوق خلال الظروف الاستثنائية لأغراض حماية الأمن أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة أو حريات الاخرين وحقوقهم على أن تكون متماشية مع الحقوق المعترف بها في النص الدولي, كما اشار النص على حظر حرمان أحد من الدخول لدولته تعسفاً[٣] وعليه فأن أي قيد اخر غير منصوص عليه في النص الدولي يعطل الالتزامات المكفولة اعلاه يشكل انتهاكاً لها ويتعارض مع الشرعية الدولية لحقوق الانسان.

٢- حرية اظهار الدين والمعتقد: كفل العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية للفرد حرية الفكر و الوجدان والدين بما يتيح له حرية اظهار دينه من خلال التعبد واقامة الشعائر الدينية والتعلم والممارسة لوحدة أو مع مجموعة , إلان هذه الحقوق يمكن تقييدها بحسب ما تضمنه النص الدولي في الحالات الاستثنائية استناداً للقانون عندما تكون ضرورية لحماية الامن العام او النظام العام او الآداب العامة أو الصحة العامة او حقوق وحريات الاخرين [٤].

٣- حرية الرأي و التعبير: وتعني بأن يكون لكل إنسان رأيه الخاص به ويتمتع بحرية التعبير عن آرائه ونشرها سواء بالكتابة أو القول أو بالتصوير وتشمل الصحافة

---

(١) حسين محمد جنجين: شرعية تقييد حقوق الانسان خلال الازمات الصحية ,ص١٠ منشور على الموقع التالي:
https://www.marocdroit.com/ تاريخ الزيارة ٢ /٩ /٢٠٢٠

(٢) المادة (١٢ / ١ ,٢) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦.

(٣) المادة(١٢/ ٣ , ٤) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام١٩٦٦.

(٤) المادة(١٨/ ١, ٣) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦.

وغيرها من وسائل الاعلام, وقد كفل العهد الدولي لكل إنسان حقه في اعتناق اراء دون اكراه ، وحقه في حرية التعبير عن طريق تلقي المعلومات والافكار ونقلها بكافة الوسائل الممكنة سواء عن طريق الكتابة أو الطبع أو غيرها, إلا إن النص الدولي اتاح امكانية فرض قيود على هذا الحق اثناء الظروف الاستثنائية وفقا للقانون لغرض احترام حقوق أو سمعة الأفراد أو لحماية الأمن العام أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة[١].

٤- الحق في التجمع السلمي : يعتبر البعض أن التجمع السلمي متداخل مع حرية التعبير ويعدان من عناصر الحرية الشخصية بحيث لا يمكن تقييدها دون اتباع وسائل يتطلبها الدستور أو القانون , حيث تفقد حرية التعبير قيمتها في حال منع المشرع حق التجمع لكونه يغيب الراي الاخر, وكفل العهد الدولي الاعتراف بحق الافراد في التجمع السلمي, إلا ان هذا الحق يمكن تقييده فقط في الحالات الاستثنائية لغرض الحفاظ على الامن او السلامة العامة او النظام العام او لحماية الصحة او الآداب العامة او حقوق وحريات الافراد[٢].

٥- حرية تكوين الجمعيات: يقصد به حق الأفراد بالقيام بتشكيل جمعيات منظمة دائمة تستهدف تحقيق غاية محددة ,كما لهم الحق في حرية الانضمام إلى أي جمعية دون إكراه, وهذا الحق كفله العهد الدولي من خلال تأكيده على حق الفرد في تكوين الجمعيات مع غيره بما يشمل تأسيس النقابات والانضمام اليها, بيد إن هذا الحق يخضع للتقييد عند اتخاذ تدابير ضرورية لغرض الحفاظ على الامن العام او السلامة العامة او النظام العام او لحماية الصحة العامة او حقوق وحريات الافراد, ولم يكتفي النص الدولي بتحديد ضرورات التقييد وانما اشار إلى وضع قيود قانونية على رجال الامن عند تقييد هذا الحق , مع مراعاة عدم اخلال التدابير المتخذة للضمانات الواردة في اتفاقية منظمة العمل الدولية لعام ١٩٤٨[٣].

---

(١) المادة(١٩/ ١ , ٢, ٣) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦.

(٢) المادة(٢١) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦.

(٣) المادة (٢٢) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام١٩٦٦.

ثانياً: الحقوق التي لا يجوز تقييدها في الظروف الاستثنائية:

بعد ما تناولنا الحقوق القابلة للتقيد سوف نتناول الحقوق التي لا يمكن تقييدها, أذ يحق للفرد التمتع بها سواء في الظروف العادية أو الاستثنائية بحسب نص العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية وتشمل:

١- **الحق في الحياة:** يعد هذا الحق أسمى الحقوق بل وأساسها جميعا, إذ لا يمكن التفكير في ممارسة أي حقوق اخرى دون ضمان و حماية كافية لهذا الحق الملاصق للإنسان , ويجب توفير الضمان والحماية له أولا بنصوص القانون وثانيا من خلال التطبيق[١],وقد كفل العهد الدولي هذا الحق لكل انسان إذ نص على أن :" الحق في الحياة حق ملازم لكل إنسان وعلى القانون أن يحمي هذا الحق ولا يحوز حرمان أحد من حياته تعسفا "[٢] , كما كفل الدستور العراقي في المادة(١٥) الحق في الحياة وحظر المساس بها الا وفقاً للقانون استناداً إلى قرار قضائي .

وعليه يعد الحق في الحياة مكفولاً واصلاً ثابتاً لكل إنسان ولا يجوز المساس به وحرمان الانسان منه إلا في حالات استثنائية حددها النص الدولي, وهي امكانية جواز ايقاع الحكم بالموت على الجرائم الخطيرة جداً استناداً إلى القانون النافذ وبعد صدور حكم نهائي , ولا يمكن الاعفاء من المسؤولية إذ ما شكل الحرمان من الحياة إبادة جماعية, كما لا يجوز الحكم بالإعدام على الاشخاص دون سن الثامنة عشرة وعلى المرأة الحامل[٣].

٢- **حظر التعذيب وغيره من المعاملة السيئة:** يحظر النص الدولي المساس بالسلامة الجسدية للأشخاص حيث نص على أنه "لا يجوز إخضاع أحد للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو الحاطه بالكرامة, وعلى وجه الخصوص، لا يجوز إجراء أية تجربة طبية أو علمية على أحد دون رضاه الحر"[٤] , ويفهم من النص اعلاه عدم جواز لجوء الدولة لهذه المعاملة سواء في الظروف العادية أو الاستثنائية, وهو ما حظر الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ في المادة(٣٧).

---

(١) محمد يوسف علون, محمد خليل موسى: القانون الدولي لحقوق الانسان(المصادر ووسائل الرقابة,ج١,ط١, دار الثقافة للنشر والتوزيع ,عمان , الاردن , ٢٠٠٥, ص١٢٨ .

(٢) المادة(٦/ ١) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام١٩٦٦.

(٣) المادة(٦) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦.

(٤) المادة(٧) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام١٩٦٦.

٣- **حظر الرق والعبودية**: تضمن العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية حظر للاسترقاق والممارسات المؤدية اليه والعبودية, حيث نص على أنه"١-لا يجوز استرقاق أحد، ويحظر الرق والاتجار بالرقيق بجميع صورهما ٢-لا يجوز إخضاع أحد للعبودية"[١] ,كما تضمن الدستور العراقي حظراً للرق والعبودية وذلك في المادة (٣٧) , ويتضح من النص الدولي إنه يقع على الدول سواء في الظروف العادية أو الطارئة، واجب قانوني باتخاذ تدابير تهدف إلى منع هذه الممارسات غير المشروعة والتحقيق فيها والعقاب عليها و تعويض الضحايا.

٤- **حظر حبس الاشخاص عند عجزهم عن الوفاء بالالتزامات التعاقدية:** راعى العهد الدولي وضعية الظروف الطارئة وما تؤدي اليه من تأثير على الالتزامات التعاقدية سواء من حيث صعوبة التنقل, أو الحصول على أموال, أو وصول المواد اللازمة, أو تغير الاسعار عن التي تم الاتفاق عليها مما يجعل تنفيذ المتعاقد لالتزاماته مرهقاً أو مستحيلاً , لذا حظر النص الدولي تعطيل هذا الالتزام في الحالات الطارئة, حيث نص على أنه" لا يجوز سجن أي إنسان لمجرد عجزه عن الوفاء بالتزام تعاقدي"[٢].

٥- **حظر مبدأ رجعية القوانين إلى الماضي:** يحظر القانون الدولي لحقوق الإنسان بشدة إصدار تشريعات رجعية خلال الازمات الاستثنائية, حيث لم يجيز ادانة أحد بجريمة نتيجة قيامه بفعل أو امتناعه عن فعل لم يُعد وقت ارتكابه جريمة بحسب القانون الداخلي أو الدولي , كما حظر ايقاع عقوبة اشد من العقوبة الواجبة التطبيق اثناء ارتكاب الجريمة, كما كفل النص الدولي امكانية استفادة مرتكب الجريمة من أي نص لاحق يتضمن تخفيف العقوبة, وهذا الحظر مكفول دستورياً أيضاً[٣], والغرض من هذه القاعدة واضح، إذ يجب أن يكون في استطاعة الشخص أن يتوقع في أي وقت، بما في ذلك أثناء حالات الطوارئ، عواقب أي إجراء بعينه بما في المقاضاة الجنائية وما يقترن بها من جزاءات أي التبصير بالعواقب قبل وقوعها[٤].

---

(١) المادة(٤/ ١, ٢) من العهد للحقوق المدنية والسياسية

(٢) المادة(١١) من العهد الدولي للحقوق المدنية للحقوق المدنية لعام ١٩٦٦.

(٣) المادة (١٥) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦, كذلك المادة(١٩) من دستور العراق٢٠٠٥.

(٤) حقوق الإنسان في مجال إقامة العدل : دليل بشأن حقوق الإنسان خاص بالقضاة والمدعين العامين والمحامين ,الفصل السادس عشر ,اقامة العدل اثناء حالات الطوارئ , ص٧٥٦.

٦- حق الشخص في الاعتراف له بالشخصية القانونية:

كفل النص الدولي للشخص الاعتراف بشخصيته القانونية، وهو حق لا يجوز تعطيله, إذ نص على أنه" لكل إنسان في كل مكان الحق بأن يعترف له بالشخصية القانونية" [١] , ويتسم هذا الحق أهمية كبيرة حيث إنه لا يقتصر على منح الشخص الحق في التمتع بالحقوق والواجبات , وانما يتيح له أيضا الحق في الدفاع عن حرياته وحقوقه أمام المحاكم والأجهزة الوطنية, كما ويتيح له في كثير من الحالات تقديم الشكاوى إلى هيئات الرصد الدولية[٢].

المطلب الثاني: الاثار السلبية للإجراءات الاستثنائية على حقوق الانسان في العراق والمعايير الدولية لاحتوائها:

أولاً: تقييد بعض الحقوق والحريات ومخالفة الالتزامات الدولية:

١- **تقييد بعض الحقوق والحريات:** بينا سابقاً إن الإجراءات المتخذة لمواجهة الظروف الطارئة لا بد أن يصاحبها تقييد لبعض الحقوق والحريات بشكل مؤقت، وهو الأمر الذي اقرته الاتفاقيات الدولية المعنية بحقوق الإنسان ومنها حق التنقل والتجمع والتعبير عن الراي وحرية اظهار الدين وتكوين الجمعيات, وبالنظر إلى اجراءات الحكومة العراقية التي اتخذتها لمواجهة جائحة كورونا منذ شهر شباط وحتى شهر ايلول نجد أنها توزعت ما بين الحظر الجزئي والشامل من خلال تشكيل خلية الازمة بموجب الامر الديواني (٥٥) لعام٢٠٢٠ والتي كانت برئاسة وزير الصحة وفيما بعد تم توسعتها بموجب الامر الديواني رقم (٧٩) لعام ٢٠٢٠ لتشكل اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية برئاسة رئيس الوزراء, وقد تضمنت عدة خطوات أبرزها(حظر التجمعات في الاماكن العامة وتشمل اغلاق المقاهي والملاعب الرياضية والمولات والمطاعم وقاعات الافراح ومنع اقامة مجالس العزاء مع استثناء المحلات التجارية والصيدليات وغيرها من الاماكن الضرورية لمعيشة الافراد, منع التجمعات التي يتجاوز عدد افرادها ثلاثة أشخاص, عدم مغادرة الأشخاص لمحل سكناهم إلا للحالات الضرورية مع مراعاة الاحتياطات الوقائية اللازمة, كما منعت السفر الخارجي والداخلي والتنقل بين المحافظات, واغلقت دور العبادة, وعلقت الدوام في المدارس والجامعات والمؤسسات العامة).

---

(١) المادة(١٦) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام١٩٦٦.

(٢) اقامة العدل اثناء حالات لطوارئ ,مصدر سابق, ص ٧٥٨.

وباستقراء الاجراءات الصحية العراقية نجد أن تقييد حق التنقل والتجمع تتعلق بها حقوق أخرى تتأثر بها ومنها حق العمل، حيث يتعرض العديد من العمال والمهنيين والأجراء إلى فقدان عملهم بصورة مؤقتة طوال هذه الفترة، فقد منعت الاجراءات الصحية الكثير من الناس في العراق من الخروج للعمل منهم عمال البناء والمطاعم والخدمات وسائقو التاكسي وأصحاب البسطات وغيرهم مما جعلهم بلا مورد مالي، حيث كانوا يعتمدون كلياً على ما يجنونه من عملهم اليومي لسد معيشتهم, [١] , ومن المعلوم أن الحق في العمل مكفول دولياً إذ كفل العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لكل شخص الحق بأن تتاح له امكانية العمل وأن تتخذ الدول تدابير لضمان هذا الحق تشمل توفير برامج التدريب والتوجيه لغرض اكتساب المهارات, وحقه في التأمين الاجتماعي في حال البطالة أو العجز أو المرض[٢], كما يعد الحق في العمل وحرية انتقال الايدي العاملة من أبرز الحقوق المكفولة دستورياً[٣], وكفالة هذا الحق كونه من أكثر الحقوق التصاقا بالحق في الحياة نظراً لكون حق الإنسان في الحياة بكرامة لا يمكن أن يكتمل إلا إذا كان له مصدر رزق يحفظ كرامته ولا يعرضه للإهانة, كما اثرت الاجراءات على حرية التجارة والصناعة كالاستيراد و التصدير وابرام الصفقات بسبب حظر التنقل والسفر ووضع قيود على الاستثمار وفرض رسوم صارمة[٤].

ويثار التساؤل هنا هل راعت الحكومة العراقية عند فرض حظر التجوال معالجة الاثار الاقتصادية على المواطنين وخاصة الكسبة؟ حقيقة لم تراعي الحكومة ذلك وهو ماكدته مفوضية حقوق الانسان, حيث فرض حظر التجوال دون وجود خطة اقتصادية بديلة لمعالجة تداعيات الازمة على المواطنين بشكل عام والذين هم تحت خط الفقر بشكل خاص, حيث تبلغ نسبتهم ٢٢% بحسب احصائية وزارة التخطيط لعام ٢٠١٩[٥].

كما يتأثر الحق في التعليم في الظروف الاستثنائية نتيجة تقييد حق التجمع والتنقل وتترتب عليه اثار سلبية, ويعد هذا الحق مصان في الدستور العراقي حيث أشار إلى أن التعليم عامل أساس لتقدم المجتمع وهو حق تكفله الدولة[٦], كما أكد عليه العهد الدولي حيث أشار إلى كفالة الدول

---

(١) نوزت شمدين: فقر وبطالة وخوف كورونا يقلب حياة العراقيين ويكشف هشاشة النظام الصحي, مقال منشور على الموقع التالي: https://daraj.com/44573 تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٩/٥

(٢) ينظر المواد (٦, ٩) من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لعام ١٩٦٦.

(٣) ينظر المواد (٢٢, ٢٤) من الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥.

(٤) محبوبي محمد, مصدر سابق ص٦٤_٦٥.

(٥) تقرير المفوضية العيا لحقوق الانسان في العراق ,(تقييم الاستجابة لمكافحة كوفيد (19) في العراق للفترة من ٢٤شباط إلى ٨ نيسان),٢٠٢٠, ص١٠.

(٦) المادة(٣٤) من دستور العراق لعام ٢٠٠٥.

حق كل شخص بالتعليم, وأن يستهدف تنمية شخصية الفرد واسهامه بدور نافع في المجتمع ولتحقيق ذلك تضمن الدول جعل التعليم متاحاً للجميع[١] .

ويثور التساؤل هنا هل كفلت الحكومة العراقية الحق في التعليم من خلال اتاحة بدائل ضرورية للطلبة؟

بحسب تقرير المفوضية العليا لحقوق الانسان لم تتخذ الحكومة اجراءات بديلة لتعويض الطلبة عن المناهج الدراسية فيما يخص التعليم الاولي حيث اتسمت اجراءاتها بالضعف, أما فيما يخص التعليم الجامعي فأنه اتخذت الحكومة اجراءات لتعويض الطلبة عن المناهج عن طريق التعليم الالكتروني لكنها لا ترقى إلى المستوى المطلوب[٢].

٢- مخالفة الالتزامات الدولية:

بينا سابقاً أن القانون الدولي لحقوق الانسان قد حدد عدداً من الحقوق والحريات التي لا يجوز تقييدها في الظروف الاستثنائية منها حظر المساس بحق الانسان في الحياة وشدد على حمايته, وهنا يمكننا التساؤل هل يعد الاهمال والتقصير في ضمان الحق في الصحة من جانب الدول في ظل انتشار جائحة كورونا انتهاكاً للحق في الحياة ؟ يمكن القول أن الحق في الصحة من الحقوق الجماعية والفردية في ان واحد مما يمنع الحاق الاذى بالحياة من خلال القيام بالتصرفات التي تؤدي إلى الحاق الضرر بالصحة إلى الدرجة التي اعتبرت فيها عدم تقديم الدولة الرعاية الصحية الضرورية من أجل المحافظة على حياة الأفراد انتهاكاً للحق في الحياة[٣] .

وقد كشفت جائحة كورنا ضعف استجابة النظام الصحي في العراق لمواجهة تداعياتها سواء من حيث تدني الخدمات المقدمة للمصابين, أو ضعف تجهيز الادوية, أو قلة اجهزة التنفس الاصطناعي, ونظراً لتزايد عدد المصابين فأن الخطورة تشمل الفئات العمرية الكبيرة في السن أو الذين لديهم امراض مزمنة مما يجعلهم يحتاجون عناية كبيرة , ونتيجة لعدم اتخاذ الحكومة اجراءات سريعة ومناسبة لحماية هذه الفئات الهشة مناعياً فأنه يعد انتهاكاً للحق في الحياة[٤] .

كفلت الاتفاقيات الدولية حق كل إنسان في أن يتمتع بأعلى مستوى من الصحة الجسمية والعقلية يمكن الوصول إليه بما يكفل حماية حقه في الحياة, ولتحقيق ذلك تتخذ الدول تدابير

---

(١) المادة (١٣ /١ ,٢) من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لعام ١٩٦٦.

(٢) تقرير المفوضية العليا لحقوق الانسان, مصدر سابق, ص١٢.

(٣) ينظر حكم المحكمة الاوربية بتاريخ ٢٦ اكتوبر ,٢٠٠٠, المرقم 1x/94- 2000, بشأن واجب الدولة في تقديم الرعاية الصحية.

(٤) تقرير المفوضية العيا لحقوق الانسان في العراق, مصدر سابق, ص ١٥.

للوقاية من الامراض الوبائية, والعمل على خفض معدل الوفيات ,وتهيئة الظروف المناسبة لتأمين تقديم الخدمات والعناية لجميع المرضى, وقد كفل الدستور العراقي هذا الحق أيضاً[١].

وفيما يتعلق بالتزام الحكومة العراقية بالضمانات الدولية التي تسمح بتقييد بعض الحقوق , نجد أنه فيما يتعلق بأن تكون القيود قانونية فأنه جميع ما تم ادراجه من اجراءات وقائية لمواجهة جائحة كورونا تتوافق مع ما منصوص عليها في الاتفاقيات الدولية أو التشريع العراقي المتمثل بقانون الصحة العامة رقم (٨٩) لعام ١٩٨١.

أما فيما يخص الضمانات الاخرى التي تشير إلى أن تكون القيود في اضيق الحدود وضرورية إي متناسبة وغير تعسفية أو تمييزية, فأنه أشارت الجهات المعنية بحقوق الانسان انتهاك الحكومة العراقية لهذه الالتزامات في بعض الجوانب, فعن تقييد حرية التعبير فأن القيود المسموح بها ينبغي الا تعرض هذا الحق للخطر, ففي أوائل شهر نيسان عام ٢٠٢٠، علقت هيئة الاعلام والاتصالات ترخيص "رويترز" وغرّمتها ٢٥ مليون دينار عراقي بسبب مقال نشرته بتاريخ ٢ /٤/٢٠٢٠ يشير إلى أن عدد حالات الإصابة المؤكدة بفيروس كورونا في البلاد أعلى بكثير من الإحصاءات الرسمية المُعلَنة نقلاً عن مصادر موثوقة (اطباء), وتم اجراءات التعليق دون تحقيق بالموضوع مع العلم أن ضعف الجانب الاحصائي لوزارة الصحة مشخص من قبل ديوان الرقابة المالية الاتحادي بحسب تقريره[٢] , ونشير هنا أن تقييد حرية التعبير ينبغي أن يكون ضرورياً للحفاظ على الصحة العامة, وما لاحظناه أن هناك تعسف في اجراء الحكومة العراقية فمن المعلوم أن احصاءات وزارة الصحة ضعيفة ومشخصة, وكان الأولى التحقيق في هكذا معلومة لغرض بذل الحكومة اجراءات اضافية لمواجهة هذه الزيادة في الاصابات ان كانت صحيحة .

وفي ذات الاتجاه تم تسجيل انتهاك اخر لضمانات تقييد حرية التعبير وبعض الحقوق التي لا يجوز تقييدها المتمثلة بحظر التعذيب في ان واحد, ففي ٦ /٤/ ٢٠٢٠ دعا منظم حركة احتجاج في منشور على "فيسبوك"، الحكومة المحلية في المثنى إلى التحقيق في مزاعم الفساد في دائرة الصحة بشأن شراء كمامات لفيروس كورونا, وعلى اثرها تم اعتقاله وتعرّضه للضرب وأُرغِم على التوقيع على وثيقة تفيد بأن الولايات المتحدة قد موّلت حركة الاحتجاج[٣], ونلاحظ هنا أنه تم انتهاك حرية التعبير بمخالفة المادة (١٩) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية؛ لأن اجراء

---

(١) المادة(١٢) من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ١٩٦٦, والمواد(٣٠,٣١) من دستور العراق ٢٠٠٥.

(٢) تقرير هيومن رايتس ووتش: العراق: الحاجة مُلّحة إلى حماية حرية التعبير, منشور على الموقع التالي:
https://www.hrw.org/ar/news/2020/06/15/375374, تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٩/١٥ , كذلك ينظر تقرير المفوضية العليا لحقوق الانسان, مصدر سابق ,ص١١.

(٣) تقرير هيومن رايتس ووتش, المصدر نفسه.

الحكومة غير متناسب وتعسفي لا يهدف إلى حماية الصحة العامة بل يسهم في المساس بها من خلال تشجيع افة الفساد , كما تم انتهاك التزام منع التعذيب المحظور المساس به في الظروف العادية والاستثنائية بمخالفة المواد (٤, ٧) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية, وتجدر الاشارة إلى أن هذه الانتهاكات هي على سبيل المثال لا الحصر.

ثانياً: المعايير الدولية الواجبة التطبيق لاحتواء الاثار السلبية للإجراءات على حقوق الانسان:

إن أبرز المعايير الواجبة التطبيق عند اتخاذ اجراءات استثنائية في الظروف الطارئة تتمثل بما يلي:

١- مراعاة تطبيق المعايير الدولية في تقليل الاثار السلبية لتقييد حرية العمل اثناء فرض الاجراءات الاستثنائية مما ينتج عنه عدم مقدرة الافراد على الحصول على قوتهم اليومي, الأمر الذي يؤثر على مستواهم المعيشي من خلال اتساع دائرة الفقر والجوع نتيجة البطالة, ويمكن الحد من هذه الاثار السلبية بإعمال تطبيق نص المادة (١١) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية التي اقرت بحق كل شخص بمستوى معيشي لائق له ولأسرته يؤمن له حاجته من الغذاء والكساء والمأوى ,وتتعهد الدول الاطراف بالقيام بالتدابير اللازمة لتحقيق هذا الحق منها تحسين طرق توزيع الغذاء, كما يعد الضمان الاجتماعي الذي تدفعه الدولة أحد الوسائل التي تكفل للشخص الحد الأدنى من المستوى المعيشي اللائق بما يحقق اعمال نص المادة(٩) من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي كفلت هذا الحق.

وبناءا على ما سبق إن الحق في ضمان صحة الافراد في الظروف الاستثنائية لا تقتصر على توفير الدولة الرعاية الصحية فقط بل على العكس من ذلك؛ لأن صياغة المادة ١٢ وألفاظها الدقيقة يقران بأن الحق في الصحة يتطلب قيام الحكومة العراقية بتهيئة طائفة عريضة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي تهيئ الظروف التي تسمح للناس بأن يعيشوا حياة صحية, وتشمل المقومات الأساسية للصحة مثل الغذاء والتغذية والمسكن, وعليه لا يعني الحق في الصحة أن يكون الانسان موفور الصحة وحسب[١].

(١)اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية, الدورة الثانية والعشرون (٢٠٠٠),التعليق العام رقم ١٤الحق في التمتع بأعلى مستوى من الصحة يمكن بلوغه (المادة ١٢).

٢- تطبيق المعايير الدولية لحقوق الانسان من خلال مراعاة الضمانات الدولية المتعلقة بتقييد بعض الحقوق اثناء الظروف الاستثنائية منها حرية التعبير بما يحقق الالتزام بما ورد بالنصوص القانونية الدولية وعلى وجه الخصوص المواد (٤, ٩) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية , فبموجب القانون الدولي لحقوق الإنسان يقع على عاتق الحكومة العراقية التزاماً بحماية الحق في حرية التعبير بما في ذلك الحق في التماس وتلقّي ونقل المعلومات بجميع أنواعها, أما القيود المسموح بها للحد من حرية التعبير لأسباب تتعلق بالصحة العامة فيجب ألاّ تعرّض هذا الحق للخطر بأيّ حال من الأحوال من خلال اللجوء إلى اتخاذ إجراءات ضد الصحفيين ؛ لأن تلك الإجراءات قد تحد من التواصل الفعّال بشأن ظهور المرض وتعدم الثقة في الإجراءات الحكومية مما يجب مراعاة أن تكون القيود في اضيق الحدود وغير تعسفية أو تمييزية.

وفي هذا الصدد تشير اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية إلى وجوب التزام الحكومات التزاماً أساسياً بتوفير التوعية والتثقيف المتكامل، واتاحة الحصول على المعلومات المتعلقة بالمشاكل الصحية الرئيسية في المجتمعات المحلية بما في ذلك أساليب الوقاية من الأمراض ومكافحتها, كما أكدت مفوضة الأمم المتحدة لحقوق الانسان (باشليه) " أن المساس بالحقوق مثل حرية التعبير قد يلحق ضررا كبيرا بالجهود لاحتواء وباء كوفيد-١٩ وآثاره الاجتماعية والاقتصادية الجانبية السيئة"[١] .

٣- مراعاة الالتزام بالضمانات الدولية بعدم مساس الاجراءات الاستثنائية الحكومية ببعض الحقوق منها السلامة الشخصية للأفراد باللجوء للتعذيب أو المعاملة أو العقوبة اللاإنسانية مما يشكل مخالفة للمادة(٧) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية, كما يشكل مخالفة للاتفاقية الدولية لمناهضة التعذيب لسنة ١٩٨٤، التي حظرت التعذيب في جميع الظروف الاستثنائية تحت أي ذريعة وذلك في المادة الثانية منها.

وعليه يعد حق الانسان في المعاملة الانسانية من الحقوق التي يجب مراعاتها عند حرمانه من الحرية حسب المادة (١٠) من العهد الدولي , وعلى الرغم من عدم ذكر هذه المادة من الحقوق التي لا يجوز تقييدها إلا أن اللجنة المعنية بحقوق الانسان تعلن عن اعتقادها أن العهد هنا يعبر عن معيار عام في القانون الدولي لا يجوز إخضاعه للتعطيل، وهو ما تدعمه الإشارة إلى الكرامة

---

(١) تقرير المفوضية السامية لحقوق الانسان بشأن مدى استجابة اجراءات الحكومات لمعايير حقوق الانسان منشور على الموقع التالي: https://annabaa.org/arabic/rights/23298 تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٩/٢٠.

المتأصلة في شخص الإنسان في ديباجة العهد والصلة الوثيقة بين المادتين (٧ و١٠), وفي هذا الصدد تؤكد محكمة

البلدان الأمريكية لحقوق الإنسان أن الدولة مسؤولة في الظروف الاستثنائية مثل الظروف العادية عن ضمان حقوق الإنسان للأشخاص المجردين من حريتهم, وهي بذلك مسؤولة أيضا عن الأوضاع في منشآت الاحتجاز مما يمنع معه استعمال التعذيب أو غيره من ضروب سوء المعاملة للحصول على

معلومات أو اعترافات من الأفراد المجردين من حريتهم [١] .

٤- مراعاة تطبيق المعايير الدولية لحقوق الانسان عبر كفالة الحكومة العراقية حق الافراد في التعليم اثناء الاجراءات الاستثنائية من خلال تطبيق نص المادة(١٣) التي حددت عدة تدابير لضمان ممارسة هذا الحق تشمل جعل التعليم الابتدائي والثانوني والتعليم العالي متاحاً للجميع ,والتركيز بشكل خاص على جعل التعليم الابتدائي الزامياً ومتاح بشكل مجاني , والعمل بشكل تدريجي على اتاحة التعليم الثانوني والعالي بشكل مجاني, وعليه فقيام الحكومة العراقية بفرض قيود على الحق في التعليم من خلال اغلاق المؤسسات التعليمية لحماية الحق في الصحة العامة فأنه لا يبرر تقصيرها في تنفيذ التزاماتها المتعلقة بالحق في التعليم .

فمن خلال تعليق اللجنة الدولية المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على نص المادة (١٣) فأن حق الافراد في الحصول على التعليم يتحقق عبر عدة عناصر منها: تمكين الافراد من الالتحاق بالتعليم من خلال التمكين من الالتحاق مادياً بأن يكون التعليم في المتناول مادياً وبطريقة مأمونة، وذلك إما عن طريق الحضور للدراسة في مدرسة وهو ما تعذر تحقيقه من خلال اغلاق المؤسسات التعليمية ,أو من خلال استخدام التكنولوجيا العصرية مثل الوصول إلى برنامج للتعليم عن بعد, وهو ما يستدعي قيام الحكومة العراقية بتعزيز هذه الوسيلة كبديل عن التعليم التقليدي من عبر انشاء منصات للتعلم الالكتروني وتخصيص فرق متخصصة لمساعدة الطلبة ولاسيما التلاميذ من الفئات العمرية الصغيرة لتجنب تسربهم من التعليم وخاصة إن التعليم الزامياً في هذه المرحلة[٢] , أما التمكين الاخر من الالتحاق بالتعليم فهو من الجانب الاقتصادي بأن يكون في متناول الجميع, وهذا البعد يخضع لصيغة المادة(١٣) التي تميز بين التعليم الابتدائي والثانوي والعالي, ففي حين أنه يجب أن يوفر التعليم الابتدائي "مجاناً للجميع" فإن الدول الأطراف

---

(١)اقامة العدل اثناء الطوارئ , الفصل السادس ,مصدر سابق ,ص ٧٧٤ وما بعدها.

(٢) اللجنة الدولية المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية, الدورة الحادية والعشرون,١٩٩٩, التعليق رقم (١٣) الحق في التعليم,ص٦٩.

مطالبة بالأخذ تدريجياً بمجانية التعليم الثانوي والعالي, وهو ما يستدعي قيام الحكومة العراقية بتذليل العقبات فيما يتعلق بإتاحة التعلم عن بعد في الظروف الاستثنائية من خلال جعل خدمة الانترنت مجانية أو برسوم منخفضة ,كما يراعى عدم امتلاك الطلبة المقدرة المالية لامتلاك التكنولوجيا من اجل التواصل ,كذلك يتطلب مراعاة تخفيض الاقساط الدراسية أو الغاءها فيما يخص المدارس والكليات الاهلية[١] .

٥- مراعاة تطبيق المعايير الدولية بشأن ضمان الحق في الحياة وعدم المساس به المكفول في المادة (٦) من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية ليس فقط عن طريق قيام الدولة العراقية بواجباتها في الحفاظ عليه من خلال منع انتهاكه بإعدام الأشخاص تعسفاً أو خارج نطاق القانون , وإنما يتعين عليها القيام بتدابير ايجابية اخرى منها ضمان تمتع الأفراد بأعلى مستوى صحي يمكن بلوغه المكفول في المادة (١٢) من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

فالحق في الحياة يرتبط بالحق في الصحة فبموجب رأي اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لاحظت اللجنة أن الحق في الحياة قد فسر في كثير من الحالات تفسيراً ضيقاً, فعبارة "الحق الطبيعي في الحياة" لا يمكن فهمها على نحو صحيح بطريقة تقييدية, حيث يتطلب حماية هذا الحق اعتماد الدول تدابير إيجابية منها أن تتخذ الدول جميع التدابير الممكنة لتخفيض الوفيات وزيادة المتوسط العمري المتوقع، بما يتطلب اتخاذ تدابير للقضاء على الأوبئة[٢] .

وعليه فأن من واجبات الدولة الايجابية للحفاظ على الحق في الحياة ضمان اعلى مستوى من الصحة لكل شخص في مواجهة الاوبئة ومنها وباء كورونا, إذ يشمل الحق في الصحة بحسب تعليق اللجنة المعنية بحقوق الانسان على أنه الحق في التمتع بمجموعة متنوعة من المرافق والسلع والخدمات والظروف الضرورية يتاح الاستفادة منها بشكل متكافئ من قبل الجميع وتكون متوفرة ومقبولة تحترم اخلاقيات الطب وعالية الجودة لبلوغ أعلى مستوى ممكن من الصحة[٣].

وبناءً على ما سبق يتعين على الحكومة العراقية قدر المستطاع تجنب الاهمال والتقصير في التزاماتها الدولية فيما يتعلق بضمان مستوى عالي من الصحة للأفراد بحسب المادة(١٢) من العهد الدولي, عن طريق اتخاذ اجراءات وقائية سريعة وفعالة لمكافحة وباء كورونا تشمل تهيئة جميع

---

(١) اللجنة الدولية المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية , مصدر سابق, ص ٧٠.

(٢) الصكوك الدولية لحقوق الانسان, الأمم المتحدة ,المجلد الأول, تجميع للتعليقات العامة والتوصيات العامة التي اعتمدتها هيئات معاهدات حقوق الإنسان, ص١٨١(HRI/GEN/1/Rev.9 (Vol. I 27May2008) رقم الوثيقة.

(٣)التعليق العام رقم ١٤الحق في التمتع بأعلى مستوى من الصحة يمكن بلوغه (المادة ١٢),مصدر سابق,ص٣.

الظروف لتأمين تقديم الخدمات والعناية الطبية للجميع وخاصة كبار السن والذين يعانون من امراض مزمنة وغيرهم.

الخاتمة:

في ختام بحثنا عن اثر الاجراءات الاستثنائية لمواجهة جائحة كورنا في العراق على القواعد القانونية الدولية لحقوق الانسان توصلنا إلى العديد من النتائج والمقترحات تتمثل بما يلي:

أولاً: النتائج:

١- اتاح القانون الدولي لحقوق الانسان للدول امكانية فرض قيود على الحقوق والحريات عند وجود خطر استثنائي يهدد حياة الافراد, لكنه لم يجعل هذه الرخصة متاحة بشكل مطلق وانما حدد ضمانات لتلافي حصول انتهاكات لحقوق الانسان, وذلك بأن تفرض القيود في اضيق نطاق وأن تكون ضرورية وغير تمييزية, كما حظر القانون الدولي المساس ببعض الحقوق, فالغاية من فرض الاجراءات الاستثنائية الحفاظ على الصحة العامة وليس استخدامها مبرراً لانتهاك حقوق الانسان.

٢- اتخذ العراق اجراءات استثنائية وفقاً لقانون الصحة العامة رقم (٨٩) لعام ١٩٨١ تضمنت في بعض جوانبها انتهاكاً لبعض حقوق الانسان سواء من حيث التعسف في تقييد هذه الحقوق, أو التقصير في ضمان حمايتها, أو التعدي على بعض الحقوق المحظور تقييدها خلال الظروف الطارئة.

ثانياً: المقترحات:

١- يجب على الحكومة العراقية أن تراعي في فرض القيود الضمانات الدولية بما يتطلب الاحترام الكامل لحرية التعبير عبر ضمان وصول المعلومات وأن تقيدها في أضيق الحدود, وأن تراعي في تقييد حرية التنقل عدم التعسف والتمييز في حرمان الأشخاص من العودة لمناطقهم, كما يجب معالجة الاثار السلبية لتقيد حرية التنقل على اصحاب الدخل المحدود عبر صرف الاعانات, كذلك ضمان الحق في الصحة بما يؤمن عدم انتهاك الحق في الحياة عبر توفير المؤسسات

والمعدات فضلاً عن عدم المساس بالحقوق المحصنة باللجوء إلى العذيب لتكميم الافواه وانتزاع المعلومات.

٢- ضرورة تعزيز الضمانات الداخلية لحماية حقوق الانسان خلال حالات الطوارئ والقيام بسن قانون ينظم حالة الطوارئ يشمل جميع الاخطار التي تهدد الدولة, ويتضمن تحديد الصلاحيات الاستثنائية المخولة لرئيس الوزراء, وتضمينه نصاً يشير إلى مسؤولية سلطة الطوارئ عن أعمالها غير المشروعة

٣- لأجل تعزيز الضمانات الدولية في الظروف الطارئة ينبغي على منظمة الأمم المتحدة تكريس حقوق الأنسان بوجود ضمانات فعلية على ارض الواقع, عبر تفعيل الوسائل الدولية منها الرقابية الموجودة في الاتفاقيات أو اجهزتها المتعلقة بحقوق الانسان لكي لا تصبح حمايتها مجرد حبراً على ورق.

ضرورة التدخل لوقف أي انتهاكات لحقوق الانسان أينما وجدت ودون تمييز وضد أياً كان عبر الوسائل الدولية مع مراعاة اجراء تحقيقات فورية وشاملة تكفل الكشف عن مرتكبي الانتهاكات.

مصادر ومراجع الفصل السابع:

أولاً: الكتب العربية والمترجمة:

١- ثروت عبد الهادي خالد الجوهري، مدى ضرورة السلطات الاستثنائية في جمهورية مصر العربية والرقابة عليها، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥.

٢- عباس عبد الامير ابراهيم العامري, اعلان حالة الطوارئ واثره على حقوق الانسان,ط١, منشورات الحلبي الحقوقية, بيروت لبنان,٢٠١٦.

٣- عباس عبد الامير, حماية حقوق الانسان في القانون الدولي, ط١,منشورات الحلبي الحقوقية, بيروت, لبنان,٢٠١٦,ص

٤- كاظم الجنابي, سلطات رئيس الدولة في الظروف الاستثنائية (دراسة مقارنة),ط١, المركز القومي للإصدارات القانونية, القاهرة ,مصر,٢٠١٥.

٥- محمد أحمد ابراهي, ضمانات الأفراد في ظل الظروف الاستثنائية في المجالين الدولي والإداري- دراسة مقارنة, د.ن, ٢٠٠٨.

٦- محمد يوسف علون, محمد خليل موسى: القانون الدولي لحقوق الانسان(المصادر ووسائل الرقابة,ج١,ط١, دار الثقافة للنشر والتوزيع ,عمان , الاردن , ٢٠٠٥.

ثانياً: الرسائل والاطاريح:

١- عبد الرحيم محمد عبدالرحيم محمد, الرقابة الدولية على تطبيق العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية, اطروحة دكتوراه ,مصر , اسيوط,٢٠٠٣.

٢- محبوبي محمد, الظروف الاستثنائية وحماية حقوق الانسان في ظل القانون الدولي لحقوق الانسان, رسالة ماجستير, كلية الحقوق , جامعة زيان عاشور,٢٠١١.

٣- محمد عصام عبد المنعم اسماعيل, حماية حقوق الانسان في حالة الطوارئ (دراسة مقارنة), اطروحة دكتوراه ,جامعة عين شمس, مصر,٢٠١٢.

ثالثاً: المجلات والدوريات:

١- علي هادي حمادي: حالة الطوارئ وسلطات الضبط الاداري (دراسة مقارنة), مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية, جامعة بابل ,السنة الثالثة.

رابعاً: الوثائق والمنشورات الدولية والتقارير:

١- اللجنة الدولية المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية, الدورة الحادية والعشرون,١٩٩٩, التعليق رقم (١٣) الحق في التعليم.

٢- اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية, الدورة الثانية والعشرون , ٢٠٠٠,التعليق العام رقم (١٤)الحق في التمتع بأعلى مستوى من الصحة يمكن بلوغه (المادة ١٢).

٣- حكم المحكمة الاوربية بتاريخ ٢٦ اكتوبر ,٢٠٠٠, المرقم 1x/94- 2000, بشأن واجب الدولة في تقديم الرعاية الصحية.

٤- الصكوك الدولية لحقوق الانسان, الأمم المتحدة ,المجلد الأول, تجميع للتعليقات العامة والتوصيات العامة التي اعتمدتها هيئات معاهدات حقوق الإنسان, (HRI/GEN/1/Rev.9 (Vol. I 27May2008) رقم الوثيقة.

٥- حقوق الإنسان في مجال إقامة العدل: دليل بشأن حقوق الإنسان خاص بالقضاة والمدعين العامين والمحامين صادر عن المفوضية السامية لحقوق الانسان, الفصل السادس عشر ,اقامة العدل اثناء حالات الطوارئ .

٦- تقرير المفوضية العيا لحقوق الانسان في العراق ,(تقييم الاستجابة لمكافحة كوفيد (19)في العراق للفترة من ٢٤شباط إلى ٨ نيسان),٢٠٢٠.

خامساً: الاتفاقيات واللوائح الدولية:

١- الاتفاقية الاوربية لعام ١٩٥٠.

٢- العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام١٩٦٦.

٣- العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لعام ١٩٦٦.

٤- الاتفاقية الامريكية لعام ١٩٦٩.

٥- الميثاق العربي لحقوق الانسان لعام ١٩٨٢.

٦- اللوائح الدولية الصادرة من منظمة الصحة العالمية لعام٢٠٠٥.

سادساً: القوانين:

١- قانون السلامة الوطنية رقم (٤) لعام ١٩٦٥.

٢- قانون الصحة العامة رقم (٨٩) لعام ١٩٨١.

٣- أمر الدفاع عن السلامة الوطنية رقم (١) لعام ٢٠٠٤.

٤- دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

سابعاً: المواقع الالكترونية:

١- حسين محمد جنجين: شرعية تقييد حقوق الانسان خلال الازمات الصحية ,ص١٠ منشور على الموقع التالي:https://www.marocdroit.com/ تاريخ الزيارة ٢ /٩ /٢٠٢٠

٢- تقرير المفوضية السامية لحقوق الانسان بشأن مدى استجابة اجراءات الحكومات لمعايير حقوق الانسان منشور على الموقع التالي: https://annabaa.org/arabic/rights/23298 تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٩/٢٠.

٣- نوزت شمدين: فقر وبطالة وخوف كورونا يقلب حياة العراقيين ويكشف هشاشة النظام الصحي, مقال منشور على الموقع: التالي: https://daraj.com/44573 تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٩/٥

٤- تقرير هيومن رايتس ووتش: العراق: الحاجة مُلّحة إلى حماية حرية التعبير, منشور على الموقع التالي:

٥- https://www.hrw.org/ar/news/2020/06/15/375374, تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٩/١٥

الخاتمة:

تمثل أزمة كورونا أزمة حقيقية وواقعية طبقا للمعايير العالمية التي تصنف فيها الأزمات، إذا أنه تعذر معها ايجاد حلول سريعة من قبل المعنيين بذلك من صناع قرار واطباء، وبينت

بوضوح ضعف القدرات البشرية أمام هذا النوع من الهجمات البيولوجية، ودفعت العالم الى وضع هذه الخطر في مقدمة التهديدات التي يتوجب على الانسان- في هذه المرحلة وفي المستقبل- ان يواجهها ويطور قدراته العلمية والطبية، والقدرات الساندة الأخرى لكي يكون دائما مستعدا لمثل هذه المواجهة غير التقليدية.

واعادت الجائحة التذكير بأهمية العلماء والأطباء والخبراء في هذه الحرب الاستثنائية، فدائما يترتب على الأحداث الكبرى والأزمات التي تهدد الوجود الانساني تغيرات جوهرية تؤثر مباشرة في طبيعة الفكر الانساني، وفي السياسة، والاقتصاد، والأمن ، والمجتمع. وعلى هذا فالدراسة قد أكدت حقيقة هذه التغيرات، وأن الفكر السياسي الليبرالي الذي يحكم العالم يتحمل مسؤولية أولية في هذه الازمة لأنه ركز على مفهوم الربح على حساب حياة الانسان، باعتماده منطق اقتصاد السوق، والعولمة، والتصنيع الذي لا يؤخذ بالاعتبار مراعاة الشروط الانسانية والبيئة في سعيه المحموم نحو الانتاج والارباح.

لهذا كانت الأزمة مناسبة للتذكير بغياب البعد الانساني في الممارسة السياسية والاقتصادية للرأسمالية وجناحها السياسي الديمقراطية الليبرالية، على أن النقد الموجه لها لا يعفي من تحميل المسؤولية لكل القوى الصناعية الكبرى بما فيها الصين التي تتبنى فلسفة سياسية شيوعية، غير ليبرالية، ولكنها في الوقت ذاته تعتمد ذات الممارسات الاقتصادية والصناعية التي تنتهجها الدول الرأسمالية الليبرالية.

وترتب على الجائحة أيضا اعادة الحديث عن مفهوم الامن القومي، وكيف تحولت الدول المعولمة فجأة الى دول تنتقد العولمة وآلياتها، وتدافع عن سياساتها القومية للحد من انتشار الجائحة. معتمدة على منطق الدولة والسلطة والسيادة لفرض مزيد من القيود على حركة الناس، الحال الذ وجده كثير من المراقبين بأنه يمثل خطرا حقيقيا على الحريات العامة وحقوق الانسان وبخاصة وأن دول كثير فرضت حالات طوارئ وشددت الرقابة على حركة الناس، و تدفق المعلومات.

وتؤكد الدراسة على أن الظروف التي رافقت الجائحة مثلت فرصة كبيرة للجماعات المتطرفة لاستغلالها، وتنشيط حركتها، وتوجيه اتباعها بضرورة التكيف معها منطلقين في ذلك من فتاوى شرعية، ومعطيات واقعية. وتلفت الدراسة أنظار المسؤولين في كل العالم، ولاسيما في العراق الى ضرورة التنبه الى هذه المعطيات، خاصة مع تراجع الاهتمام الاعلامي والامني بالجماعات الارهابي والتركيز في هذه الأيام على جائحة كورنا التي شغلت العالم ومؤسساته الاعلامية.

وحاولت الدراسة أيضا أن تقدم رؤية استشرافية لمستقبل العراق السياسي، وماهي السيناريوهات المتوقعة في حال استمرار الجائحة أو انتهائها. وماذا يتوجب على صانع القرار العراقي في مجال السياسات العامة، والسياسات الأمنية والصحية المرتبطة بموضوعة مواجهة الفايروس.

ولم تنس هذه الدراسة متابعة آثار الجائحة على العلاقات الدولية، ووضعت ثلاث سيناريوهات لما ستؤول اليه العلاقات الدولية في ظل الجائحة. وتوقعت أن تنزع الدول الى مزيد من العلاقات المستقرة في ظل المؤشرات التي تتحدث عن احتمالية تغير موازين القوى، وتبدل القطبية الى ما يمكن تسميته بالقطبية المتوازنة.

وفي مجال حقوق الانسان، وعلاقاتها بالجوانب القانونية، أكدت الدراسة على تأثر حقوق الانسان بالإجراءات المتخذة من قبل الدول والحكومات والمؤسسات الامنية، وبينت درجة تأثير الجائحة على اللوائح والقوانين المتعلقة بمبادئ حقوق الانسان في العالم والعراق، وحاولت أن تتبع القواعد القانونية الدولية، والمحلية، وماهي مبررات فرض القوانين الاستثنائية، أو حالات الطوارئ. مبينةً أن ظروف تصنف بأنها ظروف ذات مخاطر عالية تتيح للدول والحكومات فرض مزيد من القوانين الاستثنائية، وإن كانت تتعارض مع جوهر حقوق الانسان. ولكن يجب على هذه الدول والحكومات العمل على ضبط الياتها السلطوية والرقابية لكي لا تتمدد السلطات على حساب الحقوق والحريات.